حسن العلوي

شيعة السلطة وشيعة العراق

صراع الأجناس



2009

دار الزوراء لندن

حسن العلوي

شيعة السلطة و شيعة العراق

صراع الأجناس

الكتاب: شيعة السلطة.. وشيعة العراق / صراع الأجناس

الكاتب: حسن العلوي

الطبعة الأولى: 2009.

الناشر: دار الزوراء ــ لندن

4-CHARTERSCOURT
GREENFORD
UB6-8BP
LONDON – U.K
TEL:00442088131066

نيقوسيا ـ قبرص: 0035799437224

13 GRA MOU.S.T
2006ACROPOLIS

دمشق ـ مزة غربية ـ جادة قريش رقم (1)

00963116123977
00963116119511

بيروت ـ لبنان 009613830383

الحدث ـ الليسية ـ بيلوت

التوزيع في كافة انحاء العالم حصرياً

قسم التوزيع / دمشق/ 00963116127396

موافقة وزارة الإعلام: 100619
تاريخ: 2008/11/5

شيعة السلطة و شيعة العراق

صراع الأجناس

حسن العلوي

الإهداء

إلى بغداد أرملة أبي جعفر المنصور

إلى معماريها العباسي محمد مكية مجدد جامع الخلفاء.

إلى فقيه بغداد ناشر موروثها الشعبي الشيخ جلال الحنفي.

إلى عميد الصحافة البغدادية سجاد الغازي ضمير أبي حنيفة ومستلهم «الصحيفة السجادية»!

إلى رائد الصحافة الرياضية البغدادي إبراهيم إسماعيل وتلميذه مؤيد البدري، وشيخه الأديب الصحفي عبد الوهاب الأمين جد بناتي هنوف وشوق وهاديا.

إلى الراحل الأبيض سعود الناصري صديق الحرف الأبيض والحياة البيضاء.

إلى شهيد بقائها الصحفي، ونقيبها شهاب التميمي.

إلى حي مسيحي مهجور... إلى حيث كان الشقيقان:

كوركيس عواد وميخائيل عواد حاملين أرثها الحضاري

إلى فقيه الكرادة السيد خلف وحفيده السيد نوري.

إلى الحاج ناجي اللامي، غارس الجادرية التي اغتصبتها موجات المستوطنين في العهود الغابرة والحاضرة.

إلى الأعظمية والسفينة وشارع العشرين ومقهى النعمان وصديق الحياة طارق العوسج.

إلى آخر رجال بغداد الراحل في ثرى الغربة:

الزعيم الركن عبد الوهاب الأمين جد حفيداتي ريم وريا وداليا.

إليهم عناوين إبداع، وحماة موروث، وبناة شخصيتها المعاصرة فلعل في أخلافهم خلفاً يستعيد... الضائعات.

حسن العلوي

دمشق الشام في 3- 10- 2009

شهادة عربيّة

❖ المقدمة... والخاتمة

❖ شيعة السلطة أجناس وسلالات سحيقة
وشيعة العراق جنس واحد بأكثرية ساحقة.

❖ شيعة السلطة وسنة القاعدة: يوسعان بنا أكلا...!

شهادة عربية

هذه مرافعة صحفية... مكتوبة بلغة الناس، ومبسوطة على بساطتهم بلا تنظير أو تنطّع.

وعلى صفحات الكتاب مذكرات عابر سبيل قادمة من الحاضر السياسي على ذاكرة ينعشها الأرق، ولا تغرقها الدموع، وفيها يوميات محمولة على ظهر أيام حزينة، وأعز ما فيها عنوانها..

شيعة السلطة، وشيعة العراق.

فلعل فيه، إجلاء الغموض، ودرء الأذى عن شيعة العراق في العالمين العربي والإسلامي، المتهمين بأوزار سلطة تعمل بهويتهم، وهم لو راجعنا تاريخ الأمس العراقي، مثل سنة السلطة الذين حكموا في العراق البريطاني، فاستأثروا بامتيازات الدولة دون سنة العراق، وعقدوا المعاهدات والأحلاف، واتفقوا مع القوى الأجنبية ضد مصالح شعبهم، فتصدى لهذه السياسة الخرقاء، معارضون وطنيون سنة، وقادة عسكريون سنة، وشكلوا أحزاباً تتسع للعراقيين الوطنيين، إلى أن تمكن سنة العراق من إنهاء حكم سنة السلطة، بعد سلسلة حركات وطنية كان قادتها ومعظم ضحاياها من أهل السنة. كحركة اللواء بكر صدقي في عام 1936، وحركة رشيد عالي الكيلاني عام 1941، وثورة 14 تموز 1958، التي كان معظم قادتها ضباطاً من سنة العراق، كزعيمها عبد الكريم قاسم ونائبه عبد السلام عارف، وزملائه رجب عبد المجيد، وعبد الوهاب الأمين ومجيد سبع، وآخرين...



الكتاب مشروع لفصل شيعة السلطة عن شيعة العراق، وتبني كاتب وسياسي شيعي فكرة أن ينهض شيعة العراق لتصحيح أوضاعهم مثلما حدث لسنة العراق الذين أنهوا عصر العراق البريطاني، وإشاعة مفهوم شعبي لدى عامة الشيعة بضرورة العمل على نيل حريتهم، ورفاههم، وتمتعهم بخيرات

بلد نفطي، وشمولهم بتوزيع ديمقراطي عادل لتمثيل عادل في إدارة الدولة، وإخراجها من حيازة ضيقة وفاسدة.

إن شيعة السلطة أجناس وسلالات سحيقة... وشيعة العراق جنس واحد يريدونه مسحوقاً... وهو لا شك ساحق!

وباسم هذا الجنس ننطق ونكتب مثلما كتبنا العشرة السائرة في الدفاع عن نصيب شيعة العراق بحقوق المشاركة العادلة، وحماية انتسابهم العربي... ومن أجل بقائه.. نبقى... ويبقى الكتاب.. فإذا بلينا فلا تبلى السطور الطوالع.

وبغداد دار الصراع.

فمن خيل إليه أنه انتهى بها طللاً عباسياً، فقد فات عليه، أن طللاً مر عليه امرؤ القيس في جاهلية العرب، قد دخل سجل الخالدين إلى يومنا، وما بعد يومنا هذا.. والعرب لا تنسى ديارها وأطلالها، حيث يستحيل بعرُ الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل! والفلفل في زمن امرئ القيس كان يباع بمثقال الذهب.. فلا أظن العرب ستترك لغيرها فلفلة بغداد!

❖❖❖❖

لكن الغبن العربي قائم منذ أن كان غبناً شيعياً في الماضي! فالشريك الكردي يطرح عنوانه القومي، والطرف الآخر يطرح عنوانه المذهبي؟!.. ويرفض مسعود البارزاني رئاسة دولة متعددة الأقوام شاسعة الأرجاء، لكي يحتفظ برئاسة قومه..

وهذا يوجب على الشريك الآخر، المتبرئ من عروبته أن «يغتصب» وجدانه ليجامل الأكثرية العربية فيتحدث باعتباره منها! أسوة بالقاعدة الإسلامية التي توجب على الحاكم أن يتخلق بأخلاق رعيته، ولهذا فقد استعرب حكام العرب من الأعاجم، وعندما لم يستعرب الولاة العثمانيون ويحترموا طابع رعيتهم العربية تأسست حركات التنوير العربي، وحمل لواء المعارضة شيوخ الإسلام من محمد عبده إلى عبد الرحمن الكواكبي.

وجواب شيعة السلطة.. وجيه، فهم يسألون في الجواب عن موقف آخر سيلجأون إليه، وسنة القاعدة تفجر أحياء العرب وأسواقهم، وتقتل الصابرين بانتظار الحصول على لقمة أطفالهم في مراكز العمل.. لأنهم شيعة؟ فلماذا لا يكون الرد شيعياً بدافع طبيعي من حماية النفس، وقد تجاهل سنة القاعدة عروبة الضحايا وأنسابهم؟!

أنه نصف الحقيقة.. والنصف الآخر أن شيعة السلطة وسنة القاعدة... نهار وليل يوسعان بنا أكلا...

وأنهما متفقان على تمزيق الآصرة، وضرب العصب المركزي للعراق المتمثل في بغداد... وأظنهما يتناغمان، ويتساندان، وكل منهما مرتاح لشغل غريمه!

فبأصوات المتفجرات التي تمزق أجساد المدينة العباسية، وترعب الأحياء المكروبة، فازت شيعة السلطة، وليس بأصوات المقترعين الذين لم يعرف تاريخ العراق أنهم حريصون على فئة لا تحرص على مصالحهم، ولا تعرف أي ناخب على اسم المرشح المغمور.

❖❖❖❖

وشيعة السلطة في مواجهات دامية، لكن أعظم أيامها كانت في مجزرة الصدر والشعلة! وكأن الذاكرة غير الراكدة تستعرض شريط التجربة اللبنانية، وقوات جعجع ومن قبله تهاجم صبرا وشاتيلا!

ولأني أفضل الألف الآرامية وهي ابنة عم العرب على تاء التأنيث العربية، أصررت على كتابة اسم ابنتي هاديا بالألف الآرامية وليس هادية بالتاء العربية... فإن مدينة الصدر ستصبح بقواعد الآرامية.. صدرا... والشعلة... شعلا!!ومجزرة صدرا وشعلا... وهي مخيمات تدعى مدناً على سبيل المجاز، تحتاج إلى رجال من طراز سمير جعجع... وقوات مثل قواته، ولعلي أبشركم أن قوات جواد المالكي وحزبه ستتشكل على هذا الغرار قريباً، مستفيدة من استراتيجيا الهدف الموحد والتدريب والتمويل...

وفي هذا بعض سر عن علاقات لشيعة السلطة مع اليمين اللبناني.. بإيعاز المصدر المشترك، والعمل في مدن التشيُّع جار لتأسيس ميليشيا يسد بها حزب الدعوة ـ فرع المالكي ـ حاجته لقواعد تواجه التيار الصدري، والمجلس الأعلى، بأموال الدولة وسلاحها، وبتدريب ومساعدة القوات اللبنانية.. وهذا بعض سر العلاقات الحارة مع اليمين اللبناني.

وأعاهد القراء أن جواد سينجح نجاحاً باهراً، لأنه مهيأ نفسياً.. وثقافياً لإدارة ميليشيا حزبية وليس لإدارة دولة بحجم العراق.

لقد كشفت حروف العربية، النقاط، وتشابهت الأسماء والأدوار فقوات جواد بدور قوات جعجع.

وصدرا وشعلا... هما الشقيقتان العراقيتان لصبرا وشاتيلا...

❖❖❖❖

هذا يقودنا إلى تقييم الأداء السياسي والاجتماعي للسلطة الشيعية إزاء شيعة العراق خلال السنوات الخمس الماضية إذ يمكن التأكيد أنها أسوء مراحل التاريخ الشيعي في العراق، من عدة وجوه:

فشيعة العراق ولمدة ثلاث سنوات لم يستطيعوا تأمين طريق دفن الموتى في مقبرة وادي السلام في النجف.

ولأول مرة في تاريخ الجنائز الشيعية يتعرض الجنازون للقتل وحرق الجنازة على قارعة الطريق وعلى بعد عشرين كيلومتراً من مقر رئيس الوزراء الشيعي ووزير داخليته الشيعي.

ولأول مرة في تاريخ التشيع العراقي يجري تهجير عوائل شيعية من أحيائها، وتركها مع الأقدار!

ولأول مرة تتحكم أقلية من تنظيم القاعدة بمدينة شيعية كاملة.

ولأول مرة في تاريخ التشيُّع، يجري تفجير معمارية لضريح إمام من أهل

البيت بتخريب ضريح الإمامين العسكريين على مرأى من عدسات التلفزيون، في ظل سلطة يقودها شيعة!

ولأول مرة في حياة المأتم الحسيني، تتوقف أحياء في العراق عن طقوس العزاء في الحسينيات، لأن مجموعة صغيرة من تنظيم القاعدة تهدد القائمين على هذا الشأن... ولولا التيار الصدري وقوات الصحوة لما قامت لشيعة العراق قائمة...!

وسنتوقف عن الحديث في الأوضاع المعيشية لدولة نفطية لديها 79 مليار دولار في البنوك الأميركية لا يعرف أحد كيف سيجري التصرف بها.

وقد أعطى شيعة السلطة أجلى صور الفساد وسقوط الذمم على مرأى من رجال هيئة النزاهة...

هذه.. وفصول أخرى... سنعرضها في هذه الشهادة العربية... وكم تبدو الحاجة ملحة لإيضاح منهجي حول إصداراتنا منذ العام 1983، وهي موصولة الهدف ببعضها، وعليها بصمة الكاتب وروحه النقدية، وأساسيات أفكاره على مشتركات واحدة تبصم جميع هذه الإصدارات فهي:

* لا تخادع الذات الوطنية، إذ تطرح الطائفية عاملاً أساسياً مستخدماً في الصراعات السياسية المحلية.

* وأن المجتمع العراقي لم يكن طرفاً في صناعة الخلاف الطائفي وأنه فعل خاص لسنة السلطة سابقاً، وشيعة السلطة حالياً.

* وتدور هذه الكتب حول العروبة، كهوية عراقية لأغلبيتها العربية والخسائر التي أحدثتها الطائفية في سمعة العروبة ومستقبلها الراهن.

* لا تخلو فصول أي كتاب منها، من دفاع حار عن العروبة الشيعية، سواء تحدثت عن خطأ في سياسة التمييز الطائفي وحرمان الشيعي العربي من تمثيل عادل في السلطة، أم في خسائر الأمة العربية من مشروع تعجيم الشيعة، المعمول به منذ أيام المس بيل في عشرنيات القرن الماضي حتى هذه الساعة.

وإن كان الدفاع عن الشيعة قد اتخذ أسلوباً آخر في كتابنا عمر والتشيع.

والتشيع أفهمه وجوداَ في التاريخ والحاضر مرتبطاً بالسيماء العربية، حافظاً لعروبة العراق، مما أغرى الباحث اللبناني الموسوعي السيد حسن الأمين الذي أشرف على وضع دائرة المعارف الإسلامية الشيعية بالتزام هذا المنهج وتكريسه في المجلد الأول الجديد من موسوعته الصادر سنة 1992، والاستئذان مني لاعتماد وجهة نظري وتعريفاتي وفهمي للتشيع أساساً معرفياً وتاريخياً ومنهجياً في هذا السياق، فحمل المجلد الأول من الموسوعة فصولاً من كتبي ودراساتي الشيعية استغرقت الصفحات من 7 إلى 30، في الوقت الذي يخصص شيعة السلطة أجهزة الإعلام الرسمية، ومواقع الأنترنيت لمهاجمتي متنكرين لتلك الأبحاث الشجاعة التي ساهمت بإجلاء الصدأ وإزالة اللبس عن كثير مما لحق وألحق بالتشيع والشيعة من طعون. لكن الفرق يبقى منهجياً... والخلاف سياسياً.. وهو ذات الفرق بين تشيع الشريف الرضي وتشيع محمد باقر المجلسي.

وهذا الكتاب أخيراً: جريدتي اليومية الأخيرة، فيه عناوين الجريدة، ولغة الجريدة، وعقلية الصحفي الممزوجة بعقلية قارئه فيتحد الاثنان... الشخصي والعام، الكاتب والقارئ، والتجربة الذاتية بالواقع السياسي، ولا تُترك الفكرة هائمة على وجهها، فهي عندنا تتسربل بالناس والأحداث والأسماء والعناوين.. وهذا فعل الصحفي.. لا فعل المنظِّر الذي قد لا يكون مكانه مناسباً على هذه السطور السافرة.

حسن العلوي

الجمعة الثالث من تشرين الأول 2008

اليوم الأخير من عيد الفطر المبارك 1430 / **دمشق الشام**

• الشيعة والجنوب انطباع لغوي!.

من الخطأ السائد، الاعتقاد بأن شيعة العراق، هم سكان جنوبه، والجنوب العراقي، ثلاث محافظات، هي البصرة والعمارة، والناصرية فيما منازل الشيعة تتجه منها إلى السماوة والديوانية والحلة (بابل) وتتجه غرباً إلى نهايات بادية نجد، حيث الكوفة والنجف..وتنزل قليلاً منها إلى كربلاء فضلاً عن أحياء في بغداد، غربها وشرقها، ومدن إلى شمالها.

ومفردة الجنوب تثير حاستي اللغوية والعودة إلى أيام اعتكفت فيها على دراسة اللغة والنحو بعوامل المجتمع ومؤثراته الاقتصادية والجغرافية والروحية.

ففي البحث عن علاقة الجهات الأربع، لاحظت أن العرب تحب الشرق مطلع النور والفجر الأبيض، وترتاح للشمال لطيب الريح القادمة من شمال الجزيرة والتي يسمونها الشمول.

لكنها تفتقر لمشاعر طيبة إزاء جهة الغرب فتنفر منها، وتستحيل المفردة إلى ما يشبه العدو. فالقادم من الغرب غريب! وأهل الغرب غرباء، فأخذت جهة الغرب مدلولاً اجتماعياً وليس جغرافياً، وإن كان السبب جغرافيا، وقد يكون ذلك التطور اللغوي ناجماً من كون غرب الجزيرة يقع في إفريقيا الغريبة عنها. أما جنوب الجزيرة ففيه أهل اليمن، أقحاح العرب، وعنوان فخرهم الأول، ومنبت أصولهم، وهؤلاء يسكنون في جنبنا وخاصرتنا! وليس أقرب إلى الإنسان من مكان في جنبه وأجمل استخدام شعري لمفردة الجنوب ورد في قول القائل:

قالت أميم القلب يا كم تودنا؟ ألا يا جنوب القلب كم عدد القطر؟

وقول الآخر:

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها لنبأ عجيبا

أما مصطلح الأجنبي والأجانب، فقد يكون حديثاً أو أنه من ألفاظ العكس، فيصبح الأجنب وهو من يصطف إلى جانبي ويقف معي أجنبياً، وهذا لا ينسجم مع مفهوم الجنوب.

وفي العراق يتحول الجيم عند أهل الجنوب ياء حيث تستمد إحدى لهجات الجزيرة التي قرأت تحت الشجرة في الآية الكريمة (تحت الشيرة)، وحتى يومنا هذا يستخدم الجنوبيون في العراق مفردة (ينبي) بمعنى (جنبي) و(دياية) بمعنى (دجاجة) وانتقل منه إلى بعض مناطق الخليج.

أما بقية أهل العراق فينطقون كلمة (يمي) بعد أن تتحول النون والباء إلى ميم عند النطق كما جرت العادة. ويمي ولدي هادي وشقيقته هيا.[1]

واستناداً إلى الاصطلاح الحديث في قسمة العالم إلى جنوب فقير، وشمال ثري، تكتسب هذه المفردة بعداً إنسانياً جديداً فتكاد تشم رائحة التضامن، وحمية العلاقات، تفوح في لحظة وصولك إلى مرفأ البصرة، ومرورك على أعشاش العمارة.

(1) ولد التوأم في يوم الذكرى الأولى 1999/9/27 لرحيل عمهم المفكر الكبير هادي العلوي فأخذ الصبي اسم عمه.

بغداد... الولاية الأرملة... بلا ولي!

❖ أولو الأمر فيها ليسوا منها

❖ صدام حسين: رؤية أمنية ألغت بغداد العباسية.

❖ تدخلها جيوش الاحتلال.. وبغداد على فراش الموت!

● بغداد... تشابك العصور!.

بغداد نقطة الالتقاء، ومركز العصب، وقطب الرحى والوسط المدل، والمدينة الجامعة القائمة على العالمية قبل لندن بألف عام.

يقول الخطيب البغدادي، ورددت قوله أجيال المؤرخين العرب، إن الصناعة بالبصرة والفصاحة بالكوفة والخير في بغداد.

وسأل الإمام الشافعي صاحبه يونس: يا يونس أدخلت بغداد؟ قال: لا.. قال يا يونس ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس.

وقد ظن العامة أن الأرض كلها بادية، وبغداد حاضرتها، والغريب أن من أقاموا عمرانها، ولمعت بها أسماؤهم قد ماتوا خارجها.. فلا ضريح ولا قبر لمؤسسها وبانيها أبو جعفر المنصور إذ توفي وهو يؤدي فريضة الحج في مكة، ومات المهدي بماسندان ومات الهادي في عيساباد، أما أعظم من اعترش على عرشها، فقد مات ودفن في طوس، ومات ابنه المأمون قرب مدينة طرسوس في تركيا حالياً، قبل أن تنتقل العاصمة إلى سامراء، فيدفن فيها المعتصم والواثق والمنتصر والمتوكل والبقية الأخرى.

أرهقت بغداد بعد خمسة قرون من تأسيسها بالكيد والإغفال والإهمال فضعفت قدرتها على الممانعة.

وكانت أسهل مدينة دخلها التتار في زحفهم نحو العراق!

وتلا سقوطها في منتصف القرن السابع للهجرة، أربعة قرون من العزلة والتخلف، فكانت أسهل مدينة يدخلها الإنكليز عام 1917 فيما استمرت ممانعة المدن بينها وبين البصرة لما يقرب من ثلاث سنوات.

وهنا يندلع سؤال بحجم التهمة، وتساؤل طالما مشى على لسان مراقبين، ومنهم أهل العراق عن سر هذه السهولة التي دخل فيها جيش الاحتلال إلى بغداد، بينما أوقفت زاوية على مدينة البصرة تسمى أم قصر القوات الغازية

لمدة أسبوعين على الأقل، وهي تشاغلها نداً بغير ندية؟

سيأتي الجواب متسربلاً بثياب المؤامرة، وسيتحدث آخرون عن خيانة قادة عسكريين، وستمتد أصابع اتهام إلى المنظمة الحزبية وإلى قادة عسكريين ومدنيين لم يدافعوا عن عاصمتهم.

فهل يَربط الدخول الأميركي السهل لبغداد مع الاحتلالات الكبرى التي أشرنا إليها، وتسبيب السهولة بضعف الممانعة، وضعف الممانعة يرتبط باحتمال واضح أن هذه المدينة كانت مرهقة، وقد ضعفت مقاومتها نتيجة لخلل كانت السلطة العراقية مسؤولة عنه؟!

لا شك أنني أميل إلى هذا التحليل وما زلت عند ظنوني أن خطة الحرب في عهد صدام حسين قد تسببت بشكل مباشر في الوصول إلى مشهد الهزيمة السهلة.

● بغداد والتيارات السياسية المعاصرة.

ومع الحديث عن علاقة حزب البعث بمدينة بغداد نشير إلى ظاهرة في التيارات السياسية العراقية وسننتهي إلى فجيعة بغدادية.

فالأيديولوجيات المتحكمة في الشارع العراقي، والتي وصل معظمها إلى السلطة، لا تنظر إلى بغداد كمدينة لمشروعها السياسي، بمعنى أن بغداد لا تملك مشروعاً سياسياً وعلى الوجه التالي:

إن السيادة الفكرية للحزب الشيوعي العراقي، وتحوله إلى مدرسة وطنية منذ منتصف الثلاثينات الماضي، لم تتجه إلى هذه المدينة فيما مدينة الحلم الأيديولوجي يمتد إلى ما وراء الجغرافيا الغربية والآسيوية، وصولاً عند موسكو مدينة الحزب، ومركز الثورة الأممية، مدينة لينين حيث تدار الدولة العظمى الثانية، وحولها تلتف عواصم أوروبا الشرقية!.

وبعيداً عن طعون سياسية، فالوجدان الشيوعي سيرتبط باسم موسكو، بما

يرضي هذا الحلم الكبير، ولا يدخل مثل هذا الولاء في باب العمالة كما تحكي مرافعات الطعون السياسية ضد الشيوعيين.

وربما شكلت الصين الشعبية وعاصمتها بكين خيوطاً في وجدان الشيوعي العراقي، ستظهر لاحقاً عندما يرفع القوميون في العراق شعار الوحدة الفورية مع القاهرة ودمشق، فتنطلق الأهازيج الشعبية وقد حرفت النشيد القومي الحالم برجل فوق الأهرام وأمامه بساتين الشام إلى نص آخر[2].

إن مدينة القوميين هي القاهرة، وليست بغداد، ومسقط رأس الحزب في الوجدان البعثي هي دمشق، وليست بغداد النموذج الليبرالي الذي يحلم به الليبراليون العراقيون وهو في لندن، ولندن أيضاً مدينة الحاكم في العهد الملكي، أما باريس فكانت مدينة العلمانيين الأولى.

وحتى إلى ربع قرن بعد تأسيس العراق الحديث كانت مدينة رجال السلطة هي اسطنبول وليست بغداد.

لقد انتهى الأمر ببغداد أن مدينة الإسلاميين الحاكمين حالياً تقع في الشرق الأقصى من بغداد في وسط بلاد فارس.

وتغفل بغداد في التمثيل السياسي الراهن لأن مدينة رئيس الجمهورية وجغرافيته القومية تقع إلى شمالها الشرقي عند السليمانية.

ومدينة رئيس وزرائها تشتط به إلى بلدة «طويريج» ومدينة رئيس الائتلاف السيد عبد العزيز الحكيم هي النجف الأشرف، بلا شك مثلما تشكل كربلاء مدينة إبراهيم الجعفري رئيس الوزارة الثانية للاحتلال.

إن دفاتر نفوس رجال السلطة وأعضاء البرلمان تشير إلى مسقط رؤوس بعيدة عن بغداد.

غير أن المآل المزري الذي وصلت إليه بغداد ستعزى مسؤوليته إلى رؤية

(2) تقول الأهزوجة: أنا واكف فوك الملوية وكدامي الصين الشعبية.

صدام حسين ذلك أن هذه التيارات السياسية قد تحمل ذاكرة أو حلماً وجدانياً يتمركز حول المدن التي تأسس فيها مشروعها السياسي، لكنها لم تساهم في تخريب الشكل البغدادي ومعمارية بغداد وإجراء تغييرات ديمغرافية أساسية فيها.

أن هذه المرحلة قد تبناها بوعي أو بغير وعي صدام حسين شخصياً، وعليه تقع الأثقال الكبرى من المسؤولية.

● إلغاء بغداد العباسية.

وعلى ما تعرضت له بغداد العباسية من خراب القرون، منذ الموجة التترية وما تبعها من موجات خضعت فيها لحكومات وافدة من إيران وآسيا الوسطى، وبلاد الأناضول، فأن المدن العريقة ومنها بغداد لا تفقد منظومتها النفسية وعمقها الحضاري إلى الأبد، وأنها لا بد أن تنهض من كبوتها.

حدث هذا خلال ثلاثة أعوام، وبعد ثلاثمائة عام من العزلة، عندما انتدب لولايتها مدحت باشا، فانتعشت عروق المدينة وتشكلت بؤر ثقافية، وأصدرت جريدتها الزوراء، بعد أن دخلت إليها المطبعة الآلية.

حدث أكبر من ذلك وقد مرت على العراق أربعة قرون تقريباً من الانهيار، عندما توج الملك فيصل الأول فاستعادت بغداد في اثني عشر عاماً جوانب من عصورها الغابرة.

● البعث وبغداد في عصرهما الذهبي.

لا تشكل بغداد لإتباع المشروع القومي مدينة حلم إذعاناً لتربية وثقافة قوميتين، يربو عليها الأتباع وهي تعتبر العناية بما هو قطري، خروجاً عقائدياً على عناصر الوعي القومي، فكيف إذا كان الاهتمام سينصب على مدينة بغداد؟

لكن هذا الوعي الكبير، والنزوع نحو البعد القومي، العامل لوطن عربي

موحد يتساوى فيه صيادو طنجة مع صيادي الكوفة ونساء بيروت مع نساء اليمن، قد يكبو ملتفاً حول أضيق دوائر الجغرافيا الصغيرة، فيدور التفاضل عند الترشيح بين عضو شعبة في سامراء وعضو شعبة في الدور وبينهما مرمى حجر، ويدور صراع مماثل بين العاني والراوي، ويعرض العضو على الفحص الطائفي بعد فحص الجغرافيا الصغيرة، فتتشكل على هذه الاعتبارات قيادات الحزب والدولة.

من الصدف التاريخية التي استجمعت نهاياتها لتصب في بغداد، عند استلام السلطة في 1968، أن الإبداع العراقي استجمع عبقرياته التي ولد بعضها في العهد الملكي، وولد الآخر في السنوات الجمهورية العشرة، فإذا حكومة الحزب أمام بغداد، في عصر المأمون، ولم يكن عليها سوى القطاف، وما بين الستينات والثمانينات كانت عبقريات بغداد تتفجر في مختلف العلوم والآداب والفلسفة والتاريخ والشعر، وتفيض مكتباتها بالنتاج النوعي، لمبدعين لم يتكرروا منذ عصر المأمون، فالشاعر العباسي مستمراً في الجواهري، وطه باقر، يفك رموز اللغة السومرية، ويترجم كلكامش إلى العالم ومهدي المخزومي يعيد مدرسة الكسائي، ويجدد نحو الكوفة، بعد انقطاع القرون، وشيخ اللغويين محمد بهجت الأثري يعتكف عشرين عاماً مع الأدريسي وخارطته ومعجمه وعبد العزيز الدوري مرجع العرب في التاريخ الاقتصادي للعصور العباسية ونازك الملائكة ما تزال في عنفوانها، وعبد الوهاب البياتي يصول على منصات أعرق الجامعات في العالم، أما علي الوردي فقد بويع إماماً لعلم الاجتماع، وعلي جواد الطاهر إماماً للنقد الأدبي، وعبد الرزاق الحسني وقد زحفت به السبعون، ما زال حي الذاكرة، وكان في الجانب الآخر فؤاد عباس وسالم الألوسي وجعفر الخليلي يشكلون محوراً في الثقافة المنفتحة.

أما المعماري العباسي الذي جدد جامع الخلفاء محمد مكية، فقد طور وأقام مشروع الكوفة في لندن، ولم يستفد منه العراق، لأن السلطة لم تكن معنية بمعمارية بغداد العباسية.

ولم يزل عزيز علي لحناً ساخراً، لكنه أودع السجن بتهمة الماسونية، فيما امتلأ مكتب الثقافة والإعلام البديل لهذه الثقافة البغدادية، بجثث ورمم وافدة لا تعرف لها أصلاً ولا فصلاً.

في ذلك الوقت كانت ما زالت مدرسة انستاس الكرملي عامرة، ولعلها طائرة بجناحيها كوركس عواد وميخائيل عواد، وآباء في كنيسة الكراملة ما زالوا ينتجون العربية.

أما هادي العلوي ومظفر النواب، فالأول مطارد في الصين، والثاني يطارد الاستعمار في اريتريا، ويستمر المثقف العميق علي الشوك، والشاعر الكبير سعدي يوسف[3] علي منهجيهما وسبل التفكير، وإن اختلفا بين شاعر متمرد، ومثقف متساكن وكلاهما في لندن.

حضر الحزب إلى السلطة أو حضرت السلطة إليه، والمعماريون العراقيون، في أعلى منحنى الصعود يتزعمهم المعماري العباسي محمد مكية مجدد جامع الخلفاء، والمعماري الكبير رفعت الجادرجي الصديق الشخصي الذي كنت ألتقي وإياه في الجمعية البغدادية، مع عزيز علي، فنان الشعب ولحنه الساخر، وعلى نطاق الطب فقد كان شكري محمود شكري ومكي الواعظ وخلدون الجنابي وخالد القصاب وفرحان باقر عناوين تسعى إليها مستشفيات أوروبية وأميركية.

أما آخر بغدادي، حمل بغداد في ضميره، وعلى أعمدة وعيه سبعين عاماً فهو لا شك عبود الشالجي المحامي الأديب الذي حقق الرسالة البغدادية، وأعادها إلى صاحبها أبي حيان التوحيدي. كما حقق السفر الهائل لأول صحفي عباسي الأديب النوبختي في (نشوار المحاضرة) وكان كوركيس عواد قد انتهى من كتابه (الديارات) وانتهى شقيقه ميخائيل عواد من تحقيق كتاب

(3) إذا اعتاد الوجدان العراقي على صوت يحترمه في كل مرحلة من تاريخه الوطني، فإن سعدي يوسف، ضمير الحرف، وشرف الشجاعة، وهو يعري سماسرة الماضي والحاضر... وهم بخزيهم آفلون.

(أبي هلال الصابي ــ رسوم دار الخلافة). وقد أمضى عشرين عاماً لإخراج هذا المرجع الفريد[4]

حصدت سنوات الحزب ثمرات العبقرية العراقية في خمسين عاماً. لكنها ــ أي السلطة ــ لم تلتفت إلى أهمية الإفادة من هذا المناخ العلمي الذي يجدد عصر المأمون ويأتي إلى حزب البعث على حين غفلة من أتباعه.

ويتحمل المسؤولية الأعضاء العراقيون في مكتب الثقافة والإعلام الذين ربما كانوا هم وراء الجفوة والفجوة بين حركة الإبداع العراقي، ومكتب الثقافة والإعلام، فلم يحتفل هذا المكتب خلال (35) عاماً بشخصية فكرية أو أدبية عراقية، وأهمل الفقيه البغدادي جلال الحنفي وعالم الري أحمد سوسة والأديب اللغوي أحمد مطلوب، والشاعر مصطفى جمال الدين والشاعر أحمد الوائلي والشاعر حافظ جميل. أما سعدي يوسف فلم يتعرفوا بعد على صلابته.

أن التطور الأسوأ في منحنى انهيار بغداد العباسية، حدث بين عامي 1979 ــ 2003 ثم استمر بعد الاحتلال عندما بدأ تنظيم القاعدة نشاطه في تفجير الأحياء الشعبية والجسور البغدادية العريقة.

حدث لبغداد في عهد صدام حسين، انفصال نهائي بينها، وبين أحيائها في الرصافة والكرخ وعند جناحيها الجنوبي في الكرادة، والشمالي في الأعظمية، فمع أنه عاش في أزقة الكرخ بعد نزوحه من تكريت ودرس مثلنا في ثانويتها الشهيرة، فقد تصرف وهو رئيس جمهورية بلا ذاكرة كرخية وبلا ماض كرخي، مع أن للكرخ جاذبية وطعماً تلاحقان من مر عليها حتى نهاية العمر، فضلاً عن أن إهمال الكرخ يشكل شرخاً في الثقافة القومية للمسؤول الأول عن أكبر حزب قومي في العراق.

(4) بدأ تحقيق الكتاب فولد له ابنه البكر وقد اسماه هلال وصدر الكتاب وابنه على أبواب الزواج والواضح أن هدف ميخائيل عواد أن يدعى أبا هلال أسوة بأبي هلال الصابي وكان قد أمضى أربعين عاماً مديراً لمكتب وزير المعارف العراقية.

لم تكن التضحية بالبغدادي الأعظمي العسكري العربي المهندس إبراهيم محمد إسماعيل قراراً صائباً، وتعيين السيد سمير الشيخلي المسؤول عن قاطع الكرخ للجيش الشعبي للفرق الكبير بين الثقافة البغدادية والعراقية عند إبراهيم محمد إسماعيل، وافتقار الشيخلي لهذا الجانب، وانغماسه بالعمل الحزبي، والأشراف على الجيش الشعبي، ورئاسة هيئة التحقيق المركزية الأولى فضلاً عن تكوينه الأمني وهو الجانب الذي أغرى صدام حسين فيه عند تعيينه أميناً للعاصمة.

لقد أخضعت بغداد للعامل الأمني في هندسة المدن،إذ تتشظى المدينة الكبيرة إلى جزر على شكل أرخبيل، وهي نظرية أخذت بها إسرائيل، عند بناء المستوطنات لاسيما في القدس، وقد كانت أول مستوطنة على هذا الطراز أقيمت في كرادة مريم، حيث مبنى المجلس الوطني ومبنى رئاسة الجمهورية، وأخضع السكان الأصليون إلى أسلوب التهجير القسري، مقابل تعويضات لم تسدد كلفة إيجار الكرادي المهجر أكثر من عامين وجد نفسه بعدها بلا سكن.

كانت كرادة مريم حيث نحن من سكانها الأصليين بستان بغداد ومرتبع المصطافين البغادة فإذا بمفارز يقودها برزان التكريتي شخصياً تداهم البيوت الكرادية، وتخرج أهلها بالقوة مع سيل من السباب الفاحش، فأغلقت هذه الضاحية لرجال السلطة وأجهزتها الأمنية، وهي التي وجد فيها الاحتلال الأميركي معسكراً ومحمية ومستوطنة له ولجهازه المحمول في حكوماته الثلاث، فسميت بالمنطقة الخضراء ترجمة عن الإنكليزية (Green Zone).

ولأنها تأخذ الشريط الساحلي الغربي لدجلة فقد أصبح الجانب الشرقي ــ الكرادة الشرقية ــ حيث مساكن أعمامي مقابل القصر الجمهوري، هدفاً لحملة أمنية استهدفت بناء شريط أمني يمتد على طول الجهة المقابلة لكرادة مريم، ثم استدار هذا الشريط حيث يستدير النهر على نفسه فاستحوذ رجال السلطة على بساتين الجادرية، فانتهت تلك البساتين التاريخية، المثمرة والعائدة، إلى الحاج ناجي منطقة أمنية خاصة، بوزراء الحكومة، وهي التي تحولت الآن إلى مقرات وبيوت لرئيس الجمهورية وللمجلس الإسلامي الأعلى

وللمسؤولين في السلطة.

أما أحياء الكرخ القديمة التي كانت تتوزع زقاقاً لكل بلدة من أعالي دجلة نزح أهلها إلى بغداد مثل السوامرة والتكارتة والدوريين بالإضافة إلى النازحين من نجد مثل عائلة الزيبق والدخيل و(أبو الخيل) وسواه فقد أهملت حتى تداعت أركانها، ولم تعد تصلح للسكن، لكن حاجة البشر إلى سقف والتي ألجأتهم إلى الكهوف هي التي دفعت ببعض الناس للسكن في تلك الأحياء الكرخية المتداعية.

وبدلاً من إعادة إعمار الكرخ والاحتفاظ بمعماريتها البغدادية، فتحت السلطة شارعاً مزق أحشاء المدينة وبنيت مساكن على جانبيه، أقرب إلى المستعمرات الإسرائيلية خاصة لحاشية السلطة ورجال الأجهزة فاستقل الشارع والحي باسم حيفا على حساب مدينة الكرخ العباسية.

كان أمام صدام حسين متسع لإقامة مدينة بهندسة حيفا والاحتفاظ باسمها نموذجاً للمدينة المستباحة، لا أن تستبيح السلطة مدينة الكرخ لتزايد على اسمها رغم أنني كبغدادي لا أرى في اللغة العربية علماً أجمل من بغداد والرصافة وبينهما الجسر.

لقد ضاقت بالمبدعين ليس منتديات بغداد بل قبورها فاستوعبتهم مدافن الخالدين في السيدة زينب بدمشق.

ربما ساعدت الرؤية الأمنية لهندسة بغداد بمقاسات صدام حسين، على سهولة الدخول الأميركي إليها..

فلعل الأميركان ساعتها لم يدخلوا عاصمة تاريخية، ولا مدينة متعاشقة النسيج.. كانت مدينة مستنزفة، ومقطعة الأوصال.

وراثة الخصوم... استمرار الخصومة!

- ❖ الانتقاميون يرثون الانتقاميين!
- ❖ لماذا الدجيل وليس سامراء وحديثة؟
- ❖ محاولات إيرانية لاغتيال صدام حسين
- ❖ إعدامه... المحاولة الناجحة للاغتيال السياسي... بطريقة دستورية!

● الانتقاميون لقيادة العراق ما بعد صدام.

حذرت في مقالاتي الأولى التي ظهرت في الصحف العربية بعد خروجي إلى المعارضة عام 1980، ليس فقط من تسلط أمني وإجراءات أمنية تطارد الخصم والحليف، وتقتل الحليف والخصم. وإنما من مرحلة ما بعد صدام، فكتبت في جريدة تشرين السورية مقالاً بعنوان عريض: أسوأ ما في حكم صدام حسين ما بعد صدام. وضعت فيه مخاوفي أن ينتهي في يوم ما حكم صدام حسين، ويقع العراق في مستنقع الدم، إذا لم يتحلى رجال حكماء لإدارة شأنه، بالصبر والتسامح والتعالي عن الصغائر، فأبلغت من قبل رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية السورية، أن المقال حظي باهتمام من الرئيس حافظ الأسد، والرئيس ينتظر منك تفاصيل خاصة للإطلاع عليها.

كانت أمامي وأنا أدون سطور ذلك التحذير تجارب من تاريخ العراق السياسي الحديث، وقد لاحظت بعد استقراء لتطورات الأزمات الحادة في العراق، كأحداث انقلاب بكر صدقي عام 1936، وحركة العقداء الأربعة، ورشيد عالي الكيلاني في عام 1941 ووثبة كانون الثاني الكبرى في عام 1948، وهي تطورات أدت إلى تغييرات وزارية لم تخل من ضحايا، فقد قتل وزير الدفاع ومؤسس الجيش العراقي جعفر العسكري عندما ذهب بنفسه إلى خارج بغداد لمحاورة ضباط الجيش في انقلاب بكر صدقي، فأطلقوا عليه النار وأردوه قتيلاً، لكن الكياسة البريطانية وحرص الاحتلال البريطاني على سلامة البلد المحتل وفقاً للقوانين الدولية، جعل الحكومة البريطانية تتريث باختيار رئيس وزراء يعقب وزارة حكمت سليمان بعد مقتل قائد الانقلاب بكر صدقي، وعندما اتجهت الأنظار إلى نوري السعيد، نصح السفير البريطاني وزارة الخارجية البريطانية باستبعاده، لأنه حسب تقديراتهم سياسي انتقامي، لا يجوز تسليمه شؤون البلد في أعقاب أزمة، فكيف وهناك انقلاب عسكري أقدم على قتل وزير الدفاع جعفر العسكري، عديل نوري السعيد ورفيقه منذ العهد العثماني، وهكذا رشحت شخصية حيادية معتدلة هو المرحوم جميل المدفعي الميال نحو التسامح والمتسامي عن الثأر، فألغى الأحكام العرفية وأصدر قراراً

بالعفو عن مرتكبي الأحداث، ولم يعد هنالك خوف على العراقيين لو عاد نوري السعيد رئيساً للوزراء من بعده.

وتكررت الحالة ذاتها بعد حركة رشيد عالي الكيلاني، وهروب الوصي على العرش، وكان المدفعي وليس نوري السعيد هو المرشح البريطاني لرئاسة الوزراء، تجنباً لإشكالات ثأرية قد يجر نوري السعيد البلاد إليها.

وفي ثالث حادثة مماثلة، فقد وقع اختيار البريطانيين على السيد محمد الصدر، وهو من فقهاء الشيعة ومن المشاركين في ثورة العشرين، وواضع التاج على رأس فيصل الثاني، أن يكون رئيساً للوزراء بعد الوثبة الدامية عام 1948، والتي لم تتوقف إلا بسقوط وزارة صالح جبر، أول شيعي يتسلم رئاسة الوزارة وإلغاء معاهدة (بورت سموث) التي كان جبر ينوي عقدها، وقد تم اختيار رئيس الوزراء من بين الشيعة لاستبعاد التأثير الطائفي لإسقاط صالح جبر.

وبمقارنة على الماشي مع السياسة الأميركية في اختيار رئيس وزراء ما بعد صدام حسين لإدارة العراق المتعب والمنهوك والممزق والمشحون بروح الثأر والانتقام، إن الإدارة الأميركية سلمت مسؤولية هذا البلد لطرف في أعلى مراتب الإحساس بالانتقام، ولرئيس وزراء يخرج من بيئة كانت تأكل لحوم كتاب ككاتب هذه السطور وتنهش عظامه، وهو يواجه صدام حسين بعشرين مؤلفاً، لمجرد أنه كان في يوم ما بعثياً، فما الذي تعده حكومة كهذه لمئات من الألوف الذين انخرطوا في الحزب إيماناً به أم نفاقاً، ...أليست المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على الإدارة الأميركية في هذا الاختيار الدموي؟

والسؤال يبحث عن سر السؤال، فلا سميع ولا مجيب... عما يجمع الضدين والغريمين، وهما يقتتلان تحت قبة الكونغرس، وقبة الشورى في طهران، وعلى شاشات التلفاز، ثم ينامان على فراش واحد، ويقيمان معاهدة، هي ليست معاهدة بورت سموث، ولا الحلف العراقي التركي الباكستاني، ولا حلف بغداد..! فلم تطرح بنوده كما كانت الحال في الأحلاف السابقة، مما يرجح سريته، ومحاكمة صدام حسين على قضية الدجيل وإعدامه بسببها لم يأت من باب الصدفة. وليس

هو رغبة خاصة للربع الحاكم من حزب الدعوة الذي ظهرت المحاكمة في عهده، ولا كان الرُبع المقيم في الشام من حزب الدعوة الذي وَقَّعَ على قرار الإعدام حراً، وقد أحجم رئيس الجمهورية عن ذلك.

وأغلب الظن أن قراراً على هذا المستوى لا يترك في دولة محتلة لحكومة الاحتلال المحلية. بل لدولة الاحتلال وقرارها المركزي، وإن الإدارة الأميركية لا توقع على قرار إعدام العدو القديم لإيران ولحركتها الإسلامية مجاناً وهي تحقق هدفاً إيرانياً باهظ الجهد والكلفة.

وسيدرك المبتدئون بالعمل السياسي استحالة صدور الموافقة الأميركية على الإعدام بدون مقابل سياسي وأمني... أو استراتيجي.

لماذا الدجيل وليس سامراء والدور وحديثة وكبيسة؟!

وفي بيان يحمل توقيعي، ونقلته بعض الصحف وقرئ كاملاً في فضائية المستقلة، نبهت ومنذ الجلسة الأولى لمحاكمة صدام حسين، على خطورة هذا الاتجاه التقسيمي، والذي سيكون لصالح صدام حسين حتماً، أن يحاكم عن مسؤوليته بمعاقبة متهمين شاركوا في محاولة اغتياله، بعد أن أضيفت أعداد أخرى بريئة، استناداً لقرار جائر أصدره مجلس قيادة الثورة، بإلغاء شخصية الجريمة والعودة إلى ما قبل الإسلام الذي حدد المسؤولية في الآية الكريمة ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فقضت محكمة الثورة بقرار مرتجل وظالم بإعدام ما يقارب من (150) مواطناً من أهالي بلدة الدجيل، معتمدة على القانون الجديد للعقاب في جعل الجريمة عائلية، وباعتبار محيط المتهم حتى الدرجة الثامنة مشمولاً بالعقاب، الأمر الذي أوجد ظاهرة فريدة في العراق، يتحول فيها صديق صدام أو وزيره أو الكادر الحزبي المتخصص إلى خصم معاقب، لأن ابن عمة زوجته أو زوج ابنته كان قد صدرت ضده عقوبة ما.

ولم يكن قانون صدام حسين هذا خاصاً بمعاقبة أهالي الدجيل، فقد عوقبت عائلة الضابط محمد مظلوم الدليمي بما عندها من رجال في السلطة بذات العقاب.

وعوقبت قبيلة الجبور المعروفة والتي يتشكل من أبنائها جهاز أمني ضارب، بطرد واعتقال الضباط والمراتب في أعقاب توجيه تهمة لرجل جبوري، ففقدت السلطة أعمدة فكرية وأمنية وعسكرية وحزبية بسبب هذا التطبيق الخارج عما هو مقرر في القرآن الكريم، ومعروف أن هذه العوائل عربية سنية، وكان متوقعاً أن تقدم أكثر من مدينة وأكثر من قبيلة إلى المحاكم المختصة لمقاضاة صدام حسين ورجاله عن تلك الحالات.

إن مدينة حديثة كان يمكنها أن تقاضي في محكمة عادلة المسؤول عن موت أو قتل أو إعدام وزير الخارجية الناجح مرتضى الحديثي قائد مفاوضات تأميم النفط، وأن يسأل عن الكيفية التي يقتل فيها شقيقه كردي الحديثي وهو من قدماء الحزبيين، وعن قتل محمد صبري الحديثي وكيل وزير الخارجية الأسبق في سجنه.

وإذا ما أخذنا حبُّ حديثة بعيداً إلى أعالي الفرات الغربية، فعلى مقربة من الدجيل تقف سامراء مجللة بالحزن على متصوف الحزب عضو القيادتين وصديق العمال والفقراء عبد الخالق السامرائي الذي كان محكوماً بالسجن، فأخرج بعد ست سنوات، معتقداً أن قراراً صدر بالإفراج عنه، وإذا به يقاد مباشرة إلى خشبة الإعدام بالقصر الجمهوري، فينخل جسده الطاهر بمئة طلقة، وعلى مقربة من سامراء تبكي مدينة الدور المعلم البسيط الذي أصبح وزيراً للتعليم فحقق للعراق المرتبة الأولى في العالم بمشروع محو الأمية، فأعدم محمد محجوب إلى جانب عبد الخالق السامرائي.

ولم تسلم بلدة صغيرة مثل كبيسة على مشارف بادية الشام من قرارات الإعدام التي طالت الوزير والحزبي القديم خالد عبد عثمان، وآخرين.

وفوق حديثة تجلس مدينة عانة تصل الحضارة بالحضارة جسراً بين أرض السواد وبلاد الشام، فيعدم منها عشرة رجال ممن تزهو الدنيا بهم.

لم تترك الإدارتان الأميركية والإيرانية، المدن تدافع عن نفسها وتحقق العدالة إذا كان الهدف من تلك المحكمة معاقبة الجناة.

هل ثمة سبب سوى أن هذه المدن عربية سنية، لو انشغلت بقضاياها محكمة الجنايات التي تقاضي صدام، لسقطت أهداف الانقسام الطائفي في تلوين الدماء النقية بألوان المذاهب؟!

وبمنطق سياسي، فسيكون من صالح شيعة السلطة أن يتركوا صدام السني بمعيارهم إلى أهالي ضحاياه من السنة، وبهذا سيحققون قدراً من الوحدة الوطنية والتجانس الاجتماعي وكسب الرأي العام العربي الذي هو في الأساس رأي عام سني.

تفعل ذلك سلطة أو مجموعة مخلصة لذاتها وطائفتها ملتزمة بشروط الحكم الذي قدم لها في حفل أميركي مجاناً، غير أن ظاهر الحال يوحي بأكثر من تساؤل مريب، وكان هؤلاء لم يفكروا حتى بالمصالح الخاصة للحكومة، وكأنهم يكتفون بعد الشهور الستة الأولى بتحقيق الجداول المعدة من قبلهم، والمدد التي سيقضونها في السلطة لكي يعودوا إلى الدول التي يتمتعون بجنسيتها القومية، وقد انتقلوا إلى مراتب طبقية عليا، فصاروا من سكان الأحياء الثرية في بريطانيا وفرنسا والسويد والدانمارك والنرويج وإمارة دبي.

إن التحضير لهذا المشهد قد بدأ منذ العام 1980 حيث أشاع الإسلاميون المحسوبون على السياسة الإيرانية مفهوماً طالما كرّسوه، إن ضحايا النظام السابق كانوا من الشيعة الإسلاميين، وتجاهلوا ضحاياه ومعارضيه من سنة العراق، ومدنه وأحزابه الأخرى. والهدف من هذا أن يحصل الإسلاميون على (حق ولاية الدم) وصولاً إلى الإدعاء أن سلطة الحزب الحاكم في العراق آنذاك لم تكن تستهدف أحداً سوى رجال الحركة الإسلامية الشيعية. وأن من حق هذه الحركة أن تطالب مستقبلاً باعتبارها وليّة الدم، بحقوق الضحايا وتستلم الثمن السياسي، وهذه نظرية استخدمتها الحركة الصهيونية ولما تزل وإن كانت الأخيرة قد توسعت بجعل إسرائيل وليّة الدم ووارثة اليهود في التاريخ. فيما لم تكن الحركة الإسلامية العراقية ولّما تزل معنية بحياة الشيعة إذا لم يكونوا من داخل تنظيمها، ولعلها لهذا السبب قد تواطأت مع كتيبة الاغتيال بوزارة الخارجية بالصمت على اغتيال العشرات من الشخصيات

الشيعية التي لم تكن من أرقامها التنظيمية، ولو كان الضحية بمستوى السيد مهدي الحكيم، والشيخ طالب السهيل. لكن ذلك لم يمنعها من مواصلة الحديث أيام المعارضة، عن شيعية الدم المراق، وإغفال هوية الدماء الأخرى.

لقد دفعني استئثار الحركة الإسلامية بدماء وخسائر المعارضة الوطنية وحصرها بالتنظيم الشيعي الإسلامي، وبأنها استهدفت بدافع طائفي، إلى وضع كتاب بدأت فصوله الأولى تتشكل، وأنا مازلت في المرحلة الكويتية وشروطها، بعنوان (ديمقراطية الموت) وليس طائفية الموت، فنشرت فصولاً من الكتاب في جريدة تشرين السورية عام 1982، وكنت مازلت متخفياً في مدينة الاسكوريال الإسبانية وبجانب مكتبتها التاريخية العريقة، قبل استقراري في دمشق مطلع الثمانينيات. ولعل ذلك الكتاب كان أول رد على نظرية القتل الطائفي.

● محاولات إيرانية لاغتيال صدام.

مطلع الثمانينات اتصل بي صديق إسلامي راجياً تناول الغداء معه في بيته (القبو) في حي الأمين بدمشق، فوجدت رجل دين معمماً قصير القامة في الأربعينات من عمره، وقدمه لي باسم الشيخ علي المولى. ووصفه بأنه رئيس أركان فيلق بدر على ما أتذكر، واليوم يشغل المولى رئاسة هيئة الحج والزيارة، وهو من التركمان الشيعة. فبدأ الرجل يوجه لي أسئلة بأسلوب المحقق الأمني تتعلق بطريقة صدام حسين في التحرك والأماكن التي يرتادها ومواسم زياراته لمسقط رأسه. فقلت له إن العراق يعمل بنظرية الغرف المغلقة، ولا لأحد أن يجرؤ بالسؤال عما يحدث في الغرفة المجاورة، فهل تعتقد أن رئيس تحرير مجلة في بغداد، سيكون على علم بما يجري في غرفة الحركات الأمنية الخاصة بصدام حسين، قال: لا أعرف هذا، لكنني أجاهرك بهدفي. إن الحرب العراقية الإيرانية ستستمر إذا لم يتم القضاء على صدام حسين، ونحن نبحث عن معلومات لبناء خطة توصلنا إلى هذا الهدف، وهذا واجب على كل معارض عراقي، وقد لجأنا إليك، لأنك أمضيت معه بعض الوقت، فلا بد أن تعرف شيئاً عن الأماكن التي يرتادها، وأردف سائلاً، ألا تعتقد أنه سيزور قبر والدته بمناسبة ذكرى وفاتها..؟ أنها أفضل فرصة

لاقتناصه هناك، ولدينا مجاهدون يمكن لهم اختراق أية خطة أمنية يضعها صدام حسين.

وانتهى اللقاء عند هذا الحد، ثم انتشر خبر محاولة فاشلة لاغتيال صدام حسين عند مروره في منطقة الدجيل، وهو في طريقه إلى زيارة مسقط رأسه، فأخذتني الذاكرة إلى ذاك اللقاء، وهل كان الشيخ المولى بطل هذه العملية؟

إن تفاصيل وصلت إلينا ونحن في دمشق، يعلن فيها حزب الدعوة مسؤوليته عن العملية، مما يعني أن فريق الشيخ المولى المحسوب على المجلس الإسلامي الأعلى، لم يوفق في إنجاز هذه المهمة التي أنجزتها شبكة من تنظيمات حزب الدعوة.

وفي زمن متقارب زارني مسؤول في الحركة الإسلامية العراقية، وقال: إن لديه معلومات تفيد بوجود صداقة بينك وبين الثوري الأممي المعروف (كارلوس) عندما كان في العراق، وإن صدام طلب إليه مغادرة البلد، بعد تحالفه مع دول الخليج في الحرب العراقية الإيرانية، ولدينا معلومات مؤكدة من الإسلاميين في لبنان، ومن منظمة فلسطينية لها صلة بممثل مكتب الخميني، أن كارلوس مع الفلسطينيين في طرابلس بلبنان، فأدعيت: إنني لم أر الرجل منذ عام 1978 وليس لي معلومات عن مكان وجوده الآن، فهل يمكن معرفة ما وراء سؤالك، وأنا أستغرب عما يربطك بكارلوس؟

كان المتحدث صديقاً أثق به ويثق بي، ففتح صدره قائلاً: إن مسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية طلبوا مني أثناء زيارتي لطهران الأسبوع الماضي، توجيه زيارة لك فاعتذرت لهم بأنك مصمم على عدم زيارة طهران ما دامت الحرب العراقية الإيرانية قائمة، فتطوعت لنقل رغبتهم هذه إليك، والسبب في البحث عن كارلوس، هو استمرار لمحاولات العثور على وسائل تمكن الجمهورية الإسلامية من تصفية صدام حسين، وهم يسعون للاستفادة من طرد صدام حسين لكارلوس وعدم وجود بلد يحميه، وهم مستعدون لاستضافته، ويرغبون في الاستفادة من خبرته في أية محاولة لاغتيال صدام حسين.

مضى على هذا اللقاء أكثر من عامين، أبعد خلالهما الصديق الإسلامي عن

مسؤوليته الحركية، وأستبدل بآخر، فهاجر إلى بلد أوروبي، وأخذ بعد أن التقينا يحدثني عن تتمات القصة وقد دهشت أنهم توصلوا إلى كارلوس، واجتمعوا إليه وجوبهوا برد قاس على عروضهم التي تستهدف اغتيال صدام، قائلاً: أنني لست قاتلاً أجيراً تحت الطلب، وأنني أنتمي إلى تيار الثورة العالمية، ولا يجمعني مع ثورتكم شيء ولعلكم تعتبرونني كافراً.

وأقول لكم: لو أنكم جزء من الثورة العالمية التي أنشدها، فسأرفض هذا التكليف لأنني لا أستطيع أن أغدر بالرجل الذي عندما طاردني العالم ولم تعد هناك دولة تستقبلني، فتح لي صدام حسين منافذ العراق، ووفر لي الأمن والطمأنينة مع استمراري بعملي الثوري، فهل أكافئه بالاغتيال لأنكم تعرضون شيكاً مفتوحاً.

انتهى كلام الصديق الإسلامي، وهو منبهر برجولة كارلوس.

إعدامه بقضية الدجيل[5].. المحاولة الناجحة لاغتياله!.

يبدو أن المقادير تفتح بإحداثها لإدخال هذه البلدة في التاريخ السياسي العراقي، منذ أن اقتحمت مجموعة من أبنائها موكب صدام حسين ومهاجمته، بالقنابل اليدوية والصواريخ والبنادق الآلية، مما يفوق قدرتها الذاتية على امتلاكها، وستثير انطباعات صحفية أولى قبل الدخول في التحقيق الجنائي، أن جهة ما هي التي زودت هذه البلدة الآمنة بهذه الأسلحة.

وإذا كان مألوفاً أن صدام حسين الذي وجه المدافع على مسكن صهره وابن عمه ووالد أحفاده (حسين كامل) وتفجيره بمن فيه من البشر، فماذا سيكون العقاب الذي ينتظر أهل الدجيل، سوى العقاب الجماعي الذي رأيناه بعد سنوات على حادثة الدجيل.

(5) أنجبت هذه البلدة الصغيرة أدباء وسياسيين، ومفكرين قوميين، وهي محسوبة على البلدات القومية التي تدور في فلك سامراء ومحيطها العباسي، ومن تلك الشخصيات، أستاذنا باقر الدجيلي، والدكتور حسن الدجيلي، وأستاذنا عبد الكريم الدجيلي، راوية الجواهري الأول.

لا أخفي عليكم إنني لم أتوقع أن يكتفي صدام حسين بقتل 150 شخصاً من مختلف الأعمار، ففي حالة كهذه، يمكن لمخيلة فلكية فقط أن تستوعب الأرقام وترسم مشهداً لإبادة مدينة تترك عشرات السنين قبل أن تصبح صالحة للحياة مرة أخرى.

وإذ تبدو إجراءات كالتي تعرضت لها المدينة عادية بمعايير الواقع العراقي آنذاك، فإنها لا تبدو سوى تعبير عن رد الفعل، الذي إذا كان مبرراً صدوره عن أشخاص وأبناء قبائل موتورة، فإنه سيكون خروجاً مستنكراً على وظيفة الدولة ومسؤوليتها إزاء مجتمعها.

إن تاريخ الدجيل لم يتوقف حيث توقفت بساتين موروثة الجينات منذ عهد المعتصم العباسي، الذي ربما استجم فيها باعتبارها حدائق الخلافة عندما يضيق ذرعاً من الإقامة في قصوره بسامراء، وقد كتبت المقادير الخارجية لبلدة الدجيل أن تفقد عشر سكانها حسب إحصاء عام 1957 الذي ما يزال الأدق والأفضل، ولم يشعر الدجيليون بزوال الرعب عنهم إلا بعد تغيير النظام باجتياح أميركي يتبرع بالسلطة وقرارها إلى الحركة الإسلامية العراقية ذات الثأر القديم ولية الدم، بالمشاركة مع الحركة الكردية، وأن تصبح أكثر فئة استعداداً للثأر في الحركة الإسلامية لكثرة شهدائها، وكونها معبأة بروح الانتقام، هي التي يشكل جزؤها البريطاني وزارة برئاسة إبراهيم الجعفري، فاستكملت خطوط صورة لمستقبل الأحداث التي ستكون بساتين الدجيل ومربوها في واجهة هذا الانتقام.

والسؤال بريئاً أو غير بريء، يطارد أصحاب القرار في اختيار مدينة صغيرة، يكلف عدد من أبنائها بأخطر عمل أمني على الإطلاق في حساب أية دولة، وتعريضها لمخاطر الإبادة بلا رحمة.

ألم يكن صاحب هذا القرار في قسوة الاختيار، نظيراً مرادفاً للطرف الذي أراد التخلص منه، بوضع عراقيين عرب من قبيلة الخزرج هم سكان الدجيل، منذ الفتح الإسلامي إلى جانب جارتها قبيلة المحاويل فتشكل مجتمع الدجيل لتكون هذه البقية الباقية من عرب الجزيرة الخلصاء، طعماً لنارٍ يعرف

ضرامها من اختار الدجيل لتلك الموقعة فأي حوض كان صدام حسين سيضع فيه من يتصدى له بإطلاق النار عليه؟.

والرجل كما نعرفه هو ليس عبد الكريم قاسم الذي أصدر عفواً عن المشتركين في محاولة اغتياله عام 1959، قبيل تنفيذ حكم الإعدام بساعتين، فيشمل العفو متهمين هاربين كان من بينهم صدام حسين ذاته.

وليس الحكم في العراق دستورياً يكتفي بمعاقبة مطلقي النار كما عوقب قاتل الرئيس أنور السادات.

ولا ينقصنا الدليل بعد هذه التساؤلات، لتحديد مسؤولية الإيرانيين والحركة الإسلامية العراقية والمنظمة التي تعهدت بتسمية أبناء من الدجيل لمهمة المواجهة بين دولة المنظمة السرية القائمة على نظام أمني صارم، وهذه البلدة العباسية التي تنتظر موسم الرطب ويوم الحصاد، ولم تكن في يوم ما تفكر بقطع رأس نخلة لتكون ضحية هذه المواجهة.

لقد دفعت بساتين الدجيل والأطفال السارحون في مرابعها، ما لم تنذر عليه مدينة كبرى، وقد يكون وقوعها في لوجستيا الاغتيال الذي حددته الاستخبارات الإيرانية لاصطياد صدام حسين، دفع بالدجيل إلى واجهة الأحداث وكان ممكناً لمنظمة حزب الدعوة التي وقع عليها الاختيار، أن تبعد الأذى الجماعي عن أبناء الفلاحين بتحديد مكان أو تسمية أشخاص لمحاولة الاغتيال بما لا يكون مبرراً للسلطة بإبادة مدينة عراقية.

فهل تبرع الإيرانيون بعرب الخزرج والمحاويل وحاملي الجينات العباسية، قرابين مجانية لإرضاء نزوعها في الانتقام من حاكم اجتاح مدنها المطلة على حدود العراق وقصف عاصمتها بالصواريخ؟

وما هي الحدود التي سيتوقف عندها من يترافع في الدفاع عن الدجيل التي ستدخل مرحلة أكثر تعقيداً، وهي تنوء بحمل فوق طاقتها المحدودة؟

ما هي المسؤولية الأميركية في دفع رئيس الجزء البريطاني من حزب الدعوة إلى رئاسة الوزراء؟ وماذا يدور في خلد المرشح للوزارة في التركيز على الدجيل ودفعها مرة أخرى على واجهة الأحداث بالاتفاق مع الإدارة

الأميركية في العراق لجعل محاولة اغتيال صدام حسين في هذه المدينة محور القضية الأولى التي سيحاكم بها ويجرم بسببها؟.

كانت رغبة الجعفري تنطلق من شعور انتقامي لهؤلاء الضحايا، لكنه ربما أراد بذلك الظهور أمام صانعي الحدث القدماء بالزهو لكون منظمة حزبه هي التي نفذت لهم هذه الرغبة، القديمة لقتل صدام حسين، فضلاً عن رغبة الجعفري في تجميع مؤيدين له من الحزب، بإغراءات الموقع والوظيفة، واستخدام الدولة والسلطة لأغراض تكبير مجموعته الحزبية. فاستجلب عناصر ليست لها تجربة مع الإدارة ولا معرفة بتصريف وإدارة الأزمات.

ولكي لا تستغرقنا التفاصيل ونكرر أحداثاً نقلتها التلفزيونات العربية في محاكمة صدام حسين أقول: أن قرار الحكم الصادر بإعدامه، وتنفيذ الحكم بتلك الطريقة وفي ذلك التوقيت، يدفعنا إلى اعتبار إعدامه في حادثة الدجيل، بمثابة استكمال لعملية الاغتيال الأولى والتي نجحت هذه المرة، بوعائها القانوني وبالاتفاق السري بين الولايات المتحدة وإيران وأطراف أخرى، وبأن تكون بلدة الدجيل موقع الواقعة، ودافع الثمن في الحالتين.

وستكون موضع الريبة والارتياب أن الجهات التي شاركت إيران في إعداد مخططات اغتيال صدام حسين هي ذاتها التي واصلت جهودها وقد أصبحت في مواقع رئاسة الوزارة، لمحاكمتها بقضية المحاولة الفاشلة وإعدامه بها!.

إنه اغتيال «دستوري» مصادق عليه تحت قبة البيت الأبيض وتحت القبة الخضراء، وموقع عليه بقلم من عمل ربع قرن في التنافس على جائزة الاغتيال مع الشيخ محمد تقي المولى رئيس بعثة الحج العراقية.

● وراثة الخصوم .

على ما في العنوان من غرابة ومفارقة جدلية، فإن الحياة السياسية تجري على هذا المبدأ في تداول السلطة، حسب نتائج صناديق الاقتراع، أم بالاستحواذ على السلطة بانقلاب عسكري أم بثورة شعبية.

في الحالتين يجري تبادل السلطة من خصم إلى خصم، من حزب جمهوري،

إلى خصم ديمقراطي في أميركا، ومن العمال إلى المحافظين في بريطانيا. أما على صعيد عربي، فالصورة أوضح، حيث ترتفع وتيرة الخلاف إلى خصومة، والخصومة إلى عداء، فيتحول قتل الخصم إلى سبيل متعارف عليه لاستلام السلطة، ويصبح المطارد حاكماً، والسجين وزيراً، والمبعد سفير الدولة التي كانت تحيطه بالمخبرين.. وكواتم الصوت، حتى كأن الحاكم الجديد ستتحدد هويته سلفاً من خلال الحملة السياسية والأمنية والإعلامية ضده!.

وصارت من قواعد تداول السلطة، أن الوطنيين الذين طاردتهم أجهزة نوري السعيد في العهد الملكي، هم الذين سيحاكمون رجال حكومته، وأن البعثيين، وهم خصوم ألداء لحكومة عبد الكريم قاسم، سيرثون حكمه، بعد أن يحكموا عليه بالموت وأن الإسلاميين على هذه القاعدة، لابد أن يكون لهم دور في نظام ما بعد صدام حسين، وقد أصبحوا هدفاً أساسياً لأفواه الكواتم وسياط الجلادين.. لكن الإسلاميين لم يستلموا السلطة بانقلاب، كما استلمها الوطنيون بانقلاب في 1958 وكما استلمها البعثيون في شباط 1963 كما هو معروف.. وإنما ركبوا ظهور السلطة بصفقة كان بطلها الدكتور أحمد الجلبي[6] وآخرون، فلم يفسح له الإسلاميون، وقد أصبحوا ورثة النظام السابق بمقعد في البرلمان الذي يضم أسماء مغمورة وأشخاصاً لا يعرفهم التاريخ ولا يعرفون التاريخ.

وقد يكون مصدر الخلل والإساءة وسبيل الدم في هذه التغييرات تعبيراً عن استيلاء الخصم على سلطة خصمه بالقوة، فتبدأ أيام الثأر واستباحة الخصم الحاكم سابقاً ومؤسساته ورجاله وقواعد السلطة الأساسية، وقد تستغرق هذه الفترة زمناً يمتد إلى شهور، كما كانت الحال في حركة 8 شباط عام 1963.

(6) يواجه الدكتور أحمد الجلبي، حالة من انهيارات المواقع في تراتب تنازلي، وبمهمات مثيرة للشفقة، كان آخرها والكتاب في المطبعة، تعيينه مسؤولاً عن مستشاري جواد المالكي وهم بالأسماء والمهن والوظائف السابقة لا يرتفع أعلاهم عن صاحب مكتب لتأجير الشقق في (أجورد رود)، حينما كان الجلبي على منصة الكونغرس الأميركي لإصدار قانون (تحرير العراق). 2008/10/26

لكن هل أن القادم الجديد للسلطة على ما فيه من ضغينة، سيحكم بتجربة جديدة مقطوعة عن سابقاتها؟

يمكن متابعة نزوع الإسلاميين في لا وعيهم نحو سلطة تماثل نظام صدام حسين، أو سابقاته في العديد من الأساليب، وقد يتورط الحاكم الجديد باستخدام ذات اللغة والمفردات والمبررات للفتك بخصومه.

إن صولة الفرسان مثلاً التي يتحدث بها شيعة السلطة الحالية، مستمدة من مصطلح منبوذ كان نظام صدام حسين يستخدمه على نطاق واسع في مقاتلة الأكراد، بألوية وفيالق (الفرسان) وهم مجموعات كردية متواطئة مع السلطة، من خلال عقود عمل لاستئجارهم في القتال ضد الأكراد الذين أطلقوا عليهم مصطلح (الجحوش).

إن صولة الجحوش الشيعية على شيعة العراق تستمد مبرراتها من تراث مماثل. ولأن رجال السلطة ناشئون وحديثو عهد بالحكم، فسيحتاجون إلى الكثير من تجربة الحزب الحاكم لتعين الحزب الحاكم الجديد في تصريف الأزمات.. وصولة الفرسان منها، واعتبار معارضيها خارجين على القانون منها، والاحتماء بالحليف الأجنبي لمواجهة خصم محلي هو ما لم تفكر به سلطة عراقية منذ عهد نوري السعيد.

ولعلهم معذورون وقد تحولوا دون فترة انتقال وتدريب وتأهيل، وبأسابيع معدودة، من أصحاب مهن شعبية، وعرفاء هاربين من الجيش العراقي، ودلالين لتأجير الشقق في حي (أجور رود) في لندن إلى قادة عسكريين وأمنيين وزعماء سياسيين ومستشارين لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

إن القساة القادمين من الشوارع الخلفية يشتركون في خواء الوجدان، وهي سمة لا علاقة للإيديولوجيات السياسية بها.

وقد تضيع في بيئة تتحكم بها طرازات من هذا القبيل، كفاءات ومؤهلات علمية وسياسية عالية الأداء، فينحسر صوت الكفاءات، وتخبو مهاراتهم، ولم يعد أحد ينظر إلى عالم الذرة الكبير حسين الشهرستاني والاقتصادي سنان الشبيبي والسياسي اللامع برهم صالح وكأنهم خارج هذه السلطة.

أهو قانون تقديم ذوي العاهات المهنية على ذوي الكفاءات، وإن كانوا من مرشحي قائمة واحدة ـ هي قائمة الائتلاف الوطني؟

عايشت الخطاب الإعلامي للمعارضة منتجاً وقارئاً لأكثر من ثلاث وعشرين سنة، وكان واضحاً أن المقتل الذي نمسكه في نظام صدام حسين، يتصل بالإخلال بديمقراطية الإنماء والتوزيع العادل لجغرافيا التنمية. حتى أن صدام حسين وهو رئيس دولة للجميع قد تورط مرة وهو في سورة الانفعال، عندما أشار إلى مدن سماها البيضاء، أي تلك التي لم تساهم في انتفاضة عام 1991 ملوحاً إلى أنها ينبغي أن تكون المدللة على حساب محافظات أخرى، شاركت في الانتفاضة وقد تكون هي السوداء في القاموس السياسي.

وقد تبين أن المدن البيضاء لم تكن مدللة على الصورة التي أوحى بها كلام صدام حسين ونشرتها أدبيات المعارضة للتنكيل به. والفضل للعدسات التي تجهز بها طائرات الفانتوم والأباتشي التي تقصف مواقع في المدن البيضاء، وأخرى في المدن السوداء. فتتناثر أشلاء البيوت الطينية، فلا تدري إذا ما كان المقصوف من بيوت الطين في الكرابلة في أعالي الفرات أم في مدينة الصدر، وكأن المعركة تختزل بالهجوم على بيوت الطين وفقرائها.

من جانب الحاكمين الإسلاميين، كان المفروض على الأقل، أن يبدأوا مسيرة السلطة الجديدة بتحويل بعض المدن السوداء، إلى مدن بيضاء، حسب قوانين الطوائف لإرضاء الأتباع، وهو ما لم يحصل، لأن رجال السلطة يدركون أنهم لم يكونوا ممثلين لوجدان الأتباع، ولا جاءوا بمشيئتهم لولا أن ولي الأمر الأمريكي، هو الذي اختار المالكي بدلاً من الجعفري، وترك الائتلاف تتصارع أصواتهم بين المالكي، والمرشح التكنوقراط عادل عبد المهدي، الذي هو الآخر من قلب الائتلاف لكنهم إذا ما خلوا لأنفسهم تذكروا أنه كان قبل أربعين عاماً.. بعثياً.. فهو ليس منهم، والأصوات ستتجه نحو المرشح الآخر، وقد ساهم الصدريون بهذا الخطأ القاتل الذي يدفعون ثمنه من دمائهم ومن بقايا الغرف الطينية المقصوفة بصواريخ الأباتشي ومدافع الجحوش.

العراق الأميركي لشيعة السلطة!

- العراق البريطاني لسنة السلطة.
- والعراق الأميركي لشيعة السلطة.
- والشعب العراقي بين المقاطعة.والمشاركة ودفع الأثمان.

● انقلاب أميركي لصالح شيعة السلطة.

حكومة بغداد على مذهب أهل السنة، ورجال الحكم يتوارثون السلطة منذ افتتح أبو جعفر المنصور بغداد عام 145 للهجرة، مركزاً لإدارة العالم الإسلامي الذي كان يدير الشرق.

وباستثناء مئة عام أو أكثر قليلاً هي عمر مجموع الاحتلالات الإيرانية، وإقامة حكومة شيعية، فإن ما يقارب من ألف وثلاثمائة عام هي تاريخ بغداد السنية بإطلاق.

ولهذا فلم يستوعب سنة العراق رؤية الشيعة مسيطرين على القرار السياسي ومنتشرين بكثافة غير معهودة على إدارات الدولة وأجهزتها المدنية والعسكرية، مما دفع كاتب السطور إلى التصريح بأن العراق الأميركي الجديد هو العراق الشيعي.

وطبيعي أن يترك هذا التحول الدرامي المفاجئ آثاراً نفسية واجتماعية واقتصادية، لاسيما أن الاحتلال الأميركي لم يكتف بحل الحكومة، وإنما انتقل إلى حل الدولة وإلغاء مؤسساتها، وفتح أبواب المصرف المركزي والبنوك والوزارات والمتاحف ومراكز حفظ الوثائق وخزائن الكتب العباسية ونفائس الآثار، لمن يرغب في سرقتها، وهذه الحالة تسمى عند العراقيين (بالفرهود) أي استباحة المدينة لعامة الناس.

وبإلغاء الدولة تعطل لأول مرة دور سنة العراق، ليس في إدارة الدولة بل في الاحتفاظ بوظائفهم، وأبواب معيشتهم.

في هذا الوقت كانت الإدارة الأميركية قد بدأت خطواتها الأولى بمشروع «مصيدة الفئران»، وبمقتضى هذا المشروع تلغى قوات الحدود وتسحب مخافر الشرطة، وتشرع أبواب العراق على مصاريعها أملاً في استدراج رجال القاعدة، وتجميعهم في العراق، وتركهم في المرحلة الأولى أحراراً حتى إذا ألقي القبض على مجموعة منهم من قبل جهة ما، سارع المسؤول الأميركي لإطلاق سراح الموقوفين، فأيقن رجال القاعدة أن المكان الذي سيوفر لهم

العمل الحر والطمأنينة بدون غطاء أمني للدولة، سيكون في العراق بعد أن حوصرت القاعدة في أفغانستان.

ولم يكن أمام المدن السنية، ولاسيما الواقعة على مشارف الصحراء غرب العراق، إلا أن تحتضن هذا المقاتل الذي سيثأر لها على الأقل من هؤلاء الذين لم يتركوا أنبوباً في السلطة يتنفس منه السني العربي، وقد ساعد تركيز قواعد شعبية للمقاتلين العرب، توفر ما لا يقل عن عشرين ألف ضابط عراقي متدرب ومتمرس ألقت به سلطة الاحتلال إلى خارج المعسكر، فشكل هؤلاء خلايا قتالية كانت تفاجئ حاملات الجنود الأمريكان ومراكز تجمعهم.

وكان العامل الثالث في بروز قوة المقاومة خبرة تنظيمية لكوادر حزب البعث الذين سرعان ما استجمعوا شتاتهم.

لقد تصور الأمريكان، أن أسلوب النظام السابق في التعامل مع مواطنين باستخدام الشدة، وتوريط العراقيين بحروب غير مجدية، سيكون عاملاً في انفضاض الأتباع عنه والترحيب بالعهد الجديد، الذي يبشر بديمقراطية زاهية، وهي ذات الخطيئة التاريخية التي ارتكبها الحلفاء البريطانيون في الحرب العالمية الأولى حينما اعتقدوا أن المضطهدين العرب لاسيما أثناء الحرب ممن لم تعترف الدولة العثمانية بحقوقهم المدنية سيكونون في طليعة المرحبين بالجيش البريطاني الذي بدأ إنزاله في ميناء البصرة خريف عام 1914، وما هي إلا أيام حتى تشكلت حركة الجهاد في المدن الشيعية، التي كان البريطانيون يراهنون على تأييدها، فأوقفوا الجيش البريطاني ما يقرب من عامين ونصف العام قبل وصول قوات الجنرال «مود» إلى بغداد في عام 1917.

في المقابل كان المتحالفون في الحركات الإسلامية والعلمانية مع الإدارة الأميركية سادرين في أحلام السلطة والعمائم تتزاحم على المواقع الأولى، وخدم المكاتب يهجرون عملهم ليمتطوا صهوات الإدارات العامة ووكالات الوزارات، ولم يتوقف أحد منهم لمعالجة التطورات الدامية ورد فعل فئة تمرست بالحكم أربعة عشر قرناً، وهي مدعومة بالأغلبية العربية والإسلامية شبه المطلقة، معتقدين أن القوة الأميركية الهائلة كافية لحل مشكلة هؤلاء

«المتمردين» الذين حاصروا رجال الاحتلال وسلطته في زاوية سميت بالمنطقة «الخضراء».

«المنطقة الخضراء هي الضاحية الجنوبية لبغداد وحديقتها الخلفية، ومملولة البيوت البغدادية بألوان الفاكهة والخضرة والتمور، فأزيل اسمها التاريخي «كرادة مريم» كما أزيلت منازل عائلة كاتب السطور ومسقط رأسه».

ولأول مرة في تاريخ الحكومة العراقية، يقصى سنة العراق عند تأسيس مجلس إداري أو حكومي في بغداد، لكن اجتهادات تبناها الحزب الإسلامي كانت ترى أن لا يترك أي مجلس أو إدارة حكومية للشيعة والأكراد فقط، وإن يحتمل المشاركون في تلك المجالس عواقب غضب جمهورهم، لاسيما وأن الحاكم المدني الأميركي قد خصص خمسة مقاعد للسنة في مجلس الحكم الذي شكله «برايمر» فيما خصص للشيعة «13» مقعداً وللأكراد خمسة مقاعد وترك مقعدين لبقية المكونات، وكان ذلك إعلاناً رسمياً لتأسيس سابقة تحجم السنة في هذه النسبة.

فتساءل كاتب السطور في مقابلات تلفزيونية وصحفية، عن أيام صعبة ستواجه هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم منتصرين بثلاث عشرة نقطة مقابل خمس، ودخلت في سجال كان بداية ابتعادي عن أصدقائي القدماء في المعارضة، عارضاً تساؤلاتي على الصورة التالية:

إن أربعة أعضاء من خمسة، ممن اعتبروا ممثلين للسنة، استنكفوا بعد تعيينهم في المجلس أن يكونوا من أهل السنة، وأعلنوا أنهم علمانيون، ولم يكن سوى الدكتور محسن عبد الحميد، زعيم الحزب الإسلامي آنذاك ممثلاً سنياً بحق.

وفي الجانب الشيعي تقبل السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي، أن يكون رقماً شيعياً محسوباً على نسبتهم، كما تقبل ذلك بقية الأعضاء الشيعة في مجلس الحكم، وكان أربعة منهم على الأقل ممن لم يشتركوا في أعمال

المعارضة العراقية الشيعية، فوجهت سؤالاً مباشراً لرجال المجلس الإسلامي الأعلى، ماذا لو تركوا هؤلاء الأربعة واكتفوا بتسعة ممثلين من الشيعة الخلص، على أن يضاف الأربعة إلى الحصة السنية، وأن يتقاسم العرب الشيعة، والعرب السنة هذه الثمانية عشر مقعداً. من الطبيعي أن يكون هذا المقترح ليس ضرباً طوباوياً فحسب، بل محاولة إساءة متعمدة تنال من الحصة الشيعية، وأن يفسر هذا الاقتراح الذي نشر لاحقاً في كتابي «العراق الأميركي» بأنه خروج على الثوابت الشيعية.

والواقع أن المعترضين على حق، فأنا أتحدث عن أصوات عربية، وكتلة عربية لتتوازن مع الكتلة الكردية، ذات النفوذ الواسع، ومثل هذا الاقتراح يمكن أن يعرض في مؤتمرات قومية أو عربية، وليس لتيار سياسي غالب، يتعامل مع العرب والعروبة كصفة متنحية عند استيلاء الزعامة الجديدة.

شكل التمثيل السني في مجلس الحكم استفزازاً لتاريخ السلطة البغدادية، وأوجد شعوراً بأن المشاركة السنية في العملية السياسية ستعطي للطرفين الكردي والشيعي قوة شرعية، فيما تضعف سنة العراق وزعماءهم الذين ظهرت عليهم أولى ملامح الانقسام، بين جدوى المشاركة وعدم جدواها، وبين أن تدعم المقاومة المسلحة أو أن تدعم الحلول السلمية، فاختار الزعيم المعارض الشيخ حارث الضاري طريق المقاطعة، ومعه علماء وشخصيات وأتباع، وتمسك الحزب الإسلامي بمبدأ المشاركة ومعه علماء وشخصيات وأتباع.

إن المشهد السني الراهن يأخذنا إلى السنوات الأولى لتأسيس العراق الملكي، عندما انقسم علماء الشيعة إلى فريقين، وقد تبنى الشيخ مهدي الخالصي بعد ثلاث سنوات من بيعة الملك فيصل الأول فتوى بمقاطعة السلطة، وعدم الاشتراك في أعمالها، فحملته أجيال الشيعة مسؤولية تهميش الشيعة في الحكومات العراقية المتوالية.

ولعل حديثاً تتداوله الأروقة السنية في هذه الأيام، يدور حول مسؤولية الشيخ ضاري الذي اقتفى أسلوب الشيخ الخالصي في مقاطعة السلطة، وما قد

يترتب على ذلك من تهميش لأجيال لاحقة من سنة العراق.

وقد أسمح لنفسي بمداخلة لأقول إن الشيعة قد همشوا قبل فتوى الخالصي في المقاطعة، وأن السنة بعد الاحتلال الأميركي، قد أقصوا عن دور فعال في الدولة منذ مؤتمر فينا ومؤتمر أربيل ومؤتمر لندن، حيث رسم في هذه المؤتمرات التي عقدت في عقد التسعينات حجم المشاركة العربية السنية بالمثقال، وعلى ضوء هذا الحجم أو التحجيم على الأصح، كانت حصتهم في مجلس الحكم ومجلس الوزراء ومجلس النواب، ولا دخل لقرار الشيخ ضاري في المقاطعة على انخفاض نسبة المشاركة.

● إلى أين يذهب السنة؟ .

فإلى أين تتجه الزعامات السنية، وهم محاطون بالأمريكان والشيعة والأكراد؟

ذكرنا سلفاً أن الأمريكان لا يثقون بالسنة بشكل عام، لكنهم يحتاجونهم لإضفاء الطابع التمثيلي للسلطة، وكدليل على دخول العراق بمرحلة ديمقراطية، كما يساعد اشتراك السنة في السلطة، العضو الجمهوري في الكونغرس للرد على انتقادات من أعضاء الحزب الديمقراطي حول تهميش دور السنة، ولا ننسى أن العالم العربي سني في أغلبيته المطلقة مثله مثل العالم الإسلامي، مما يشكل ضغطاً كبيراً على الإدارة الأميركية، وليس من مصلحة سنة العراق، أن يبيضوا وجه البيت الأبيض أمام منتقديه، وإن يكونوا مجرد إطار أمريكي في السلطة العراقية.

وليس واقعياً أن يذهب سنة العراق إلى شيعة السلطة في ظروف تفتقر إلى النوايا الحسنة، والمشاعر الوطنية المشتركة.

إن جهداً ربما انفق لتفاهم عربي سني مع الأكراد باعتبارهم سنة، إذ استفادت الحكومات العراقية السابقة من حصة الشيعة لزيادة حجمها في التفاوض مع الأكراد، واستخدمت الأكراد لزيادة حصتها السنية في التفاوض مع الشيعة، وعلى الأكراد الذين دخلوا السلطة ومراكزها العليا ومنها رئاسة

أركان الجيش ورئاسة الوزارة في العهود السابقة أن يعيدوا للسنة العرب بعض تلك الديون.

تحت هذا الحلم اندفعت أجنحة سنية للتفاوض سراً مع الأكراد لاسيما مع الزعيم مسعود البارزاني الذي عقد مؤتمراً لهذا الغرض.

لا أنصح باستمرار محاولات غير مجدية بهذا الاتجاه، فالأكراد قوميون وعلمانيون بالدرجة الأولى، ولديهم مطالب تحررية واستقلالية وأنهم يعتقدون بأن الاتجاه الإسلامي لو عم في كردستان لأضعف من هذه الرغبة الاستقلالية بإضعاف التاريخ القومي.

من جانب آخر تبدو الجغرافيا العراقية عاملاً ليس لصالح تفاهم عربي سني كردي، إذ تدور المدن العربية السنية، جداراً على تخوم كردستان كالموصل وكركوك وديالي، وعند دخول الأكراد في مرحلة تخطيط خارطة كردستان، فإن الصدام سيحدث لا محالة بين القوى الكردية والقوى العربية.

وأن أرض النزاع هي سنية، وليست شيعية، ولو كانت كركوك هي كربلاء، لأصدرت المراجع الشيعية العليا، فتاوى بمقاتلة الأكراد وعدم التفريط في شبر من ترابها «المقدس»، لكنها أرض سنية، لا يجد شيعة السلطة، ما يمنعهم من التبرع بها للأكراد مقابل تمكين أواصر التحالف بينهم، فيما سيعتبر العرب السنة مثل هذا التنازل ضرباً من خيانة الأرض.

أي أن احتمال ظهور تحالف عربي سني مع الأكراد هو الآخر مستبعد حالياً وفي المستقبل.

إن النافذة الوحيدة المفتوحة أمام التوافق وزعماء العرب السنة هي بالذهاب إلى السنة وتمثيل إرادتهم بحق، وتبني مطاليبهم بقوة، وبغير ذلك، فإن حالة جديدة ستظهر بالوسط السني، حالة كالتي ظهرت في الوسط الشيعي، وسيعد المشاركون في السلطة هم من نوع سنة السلطة على غرار شيعة السلطة فتفقد هذه الزعامات قواعدها الناخبة.

والاتجاه الثاني لمسير العرب السنة هو الاتجاه العربي الشاغر، حيث لا

تتوفر في المكونات السياسية العراقية الكتلة العربية أو ممثلي العرب أسوة بالكتلة الشيعية والكتلة الكردية، وإذا ما القينا رؤية العراق في مثلث سياسي فليس للعرب ضلع فيه، بعد أن أخذ الأكراد ضلعاً والشيعة ضلعاً والسنة ضلعاً، وكان المفروض بالسنة أن يطلقوا مصطلح الضلع العربي على ضلعهم، وأن يعربوا الحالة السياسية، فيصبح السنة العرب امتداداً للأغلبية العربية، ما بين جبل طارق وجبل اليمن، حينها لن يستطيع متقوّل بالحديث عن أقلية سنية.

إلى أين يذهب السنة؟ سؤال لم يعد عائماً في الحيرة.

أن يذهب السنة إلى أمتهم، حيث المقاعد العربية شاغرة، وقد تنصل عنها شيعة السلطة، وكأنهم لم يحكموا بأصوات الكرادة والرميثة وسوق الشيوخ ومضارب المشخاب وعرب الهور.

شيعة السلطة... وسنة السلطة

❖ سنة السلطة حكموا بمشاريع ملكية وجمهورية وقومية، ولم يحكموا باعتبارهم سنة.

❖ شيعة العراق، فقدوا السلطة، وكسبوا كل شيء سواها.

❖ العراق بلا شيعة ليس عربياً!

❖ العمل بالهوية المزورة.

• شيعة السلطة.

إن الخطاب العربي إزاء العراق، لا ينصف عروبته، ولا نفسه، وهـو يتبـرع بالقبائل النازحة من جزيرة العرب منذ أيام الفتح العمري واستقرارها مـا بـين البصرة والكوفة، هدية إلى بلاد فارس، بمنطوق مشروع تعجيم الشيعة وبتعمـيم صفة الصفويين على قبائلهم الضاربة والممتدة ما بين نجد والبصرة والكوفة.

لقد خضت سجالاً مريراً منذ خمسين عاماً يستهدف حماية عروبة العـراق بعدم التفريط بعروبة القبائل النازلة على ضفتي دجلة والفرات، وكـان هـذا السجال موزعاً على جبهتين، سنية تأخذ بمشروع تعجيم التشيع، وشيعية قـد تبرهن للفريق الأول أنها محسوبة على مصالح العجم بسـلوكيات وطقـوس ومعتقدات لم تعرفها العرب.

إن المثال الصارخ للفريق الشيعي الـذي يـروج لتعجـيم الشـيعة، هـم المسؤولون الحاليون في بعض الأحزاب والحركات الإسلامية العراقية، الأمـر الذي دفعنا إلى البحث عن مصطلح يقصي هؤلاء عن العرب من شيعة العراق بالاصطلاح عليهم بشيعة السلطة، حتى لا يكون الحديث عنهم حديثاً عن شيعة العراق، ولا تحسب سياساتهم وكأنها تعبير عن إرادة شيعة العراق.

لقد حدث الشيء ذاته في تاريخ الحكومات العراقيـة المتواليـة، إذ كـان الحكام بشكل عام من أهل السنة، لكن الحكم لم يكن سنياً، ولم يستلهم (أبـا حنيفة)، في أية خطوة عدا المتعلق بفقه الأحوال الشخصية، فكان هؤلاء سنة السلطة وليسوا سنة العراق، وقد جرى التثقيف الطائفي على تحميـل سـنة العراق مسؤولية الارتكابات والسياسات الخاطئة لتلك الحكومات.

وإن الفرق بين سنة السنة السلطة الذين حكموا العراق، أكثر من ثمـانين عاماً، وبين شيعة السلطة الحاكمين منذ الاحتلال الأمريكـي عـام 2003، أن الحاكم في الحالة الأولى كان سنياً ولم يكن الحكم كذلك، ولم يكن الحكم فـي هذا الجانب ثقيلاً على عامة الناس، وإن لم يكن التمثيل والمشاركة في القرار عادلاً.

• سنة السلطة لم يحكموا كسنة...

فقد عالج سنة السلطة في العراق البريطاني، ارتفاع نسبة التمثيل السني بتغليف الحكم دائماً بمشروع ملكي مثلاً أو جمهوري أو قومي ناصري أو بعثي، وفي هذه الحالات فان سنة السلطة لا يحكمون على الأقل في المبررات السياسية لأنهم سنة، وقد أقصوا العمامة السنية من المشاركة منذ استقالة الوزارة الثانية للسيد عبد الرحمن النقيب، مطلع تأسيس الحكم الوطني، فإذا لاحت عمامة في مجالس الوزارة، والنواب والأعيان فقد تكون شيعية على الأغلب.

ولم يكن سنة السلطة ممثلين حقيقيين لسنة العراق، لا في الاتجاهات القومية التي عرف بها السنة ولا في تمثيل شعبي، فأقتصر دوران الكراسي على عوائل محدودة منحدرة في الغالب من أصول تركية أو كولمندية ، فضلاً عن رؤساء وزارات من أصول عربية عريقة، فتشكلت طبقة سياسية معزولة اجتماعياً عن الوسط العام شيعياً كان أم سنياً.

وكانت المعارضة الوطنية تتشكل من زعماء سنة وشيعة ومسحيين، ولم يفكر أي من هؤلاء بسنية السلطة بل بأدائها السياسي ومشاريعها وبرامجها الاقتصادية والاجتماعية.

وفي الحالة الثانية لم يكتف الحاكم بان يكون شيعياً إنما يسعى ليكون الحكم شيعياً كذلك، فطبعت الوزارات والمؤسسات وحتى تلفزيون الدولة بطابع الطائفة الحاكمة دون مراعاة للمكونات العراقية الأخرى. فعزز هذا السلوك روح الانقسام الاجتماعي.

إن الأربعة محابس في أصابع الرجل لا تؤهله لان يكون سياسياً أو حاكماً في بلد تتجاذبه أكثر من أربع قوميات ومذاهب.

أما الجانب الفقهي الذي نتحاشى دائماً الخوض فيه، فلا بأس من إشارة إلى حالة من تضليل الناخب الذي اندفع حافياً فوق برك الدم، ليعطي صوته تأكيداً لإرادته أم إذعاناً لإرادة مرجعه الأعلى السيد(علي السيستاني).

فباستثناء جمهور التيار الصدري والفضيلة، فإن أصوات الناخبين التي ذهبت لقائمة الائتلاف قد تحدد حجمها الكبير مسبقاً تحت ظل مرجعية السيد السيستاني الذي لا يقلده احد من شيعة السلطة .

وبالاستناد إلى ما هو معروف، أن المكلف الشيعي عليه أن يختار مرجعاً كبيراً لتقليده وأتباع تعاليمه وفتاواه، وخصه بالحقوق الشرعية، فان السيد السيستاني هو ليس مرجع التقليد لزعماء المجلس الإسلامي الأعلى، وليس هو أيضاً المرجع الذي يقلده الجعفري والمالكي، حيث يرتبط حزب الدعوة بمرجعية خاصة، فيما تقلد الفضيلة مرجعها الشيخ محمد علي اليعقوبي، ويقلد التيار الصدري مرجعه السيد كاظم الحائري، ويعتبر السيد مقتدى الصدر، زعيماً سياسياً للتيار.

ولهذا يتمتع مكتب السيد السيستاني ووكلاؤه في المحافظات والمدن باستقلالية عن شيعة السلطة، ولطالما صدرت انتقادات حادة من وكلاء السيد السيستاني لتعرية سلوك القيمين على إدارة السلطة والمحسوبين على شيعة السلطة.

وباستقراء بسيط، فإن معارضاً كبيراً للسلطة، أو فئة خارجها، لم تبلغ المديات التي وصل إليها ممثلو السيد السيستاني في انتقاد شيعة السلطة، ويستثنى محسوبون على المرجعية في بعض الدول العربية الذين تحولوا من ممثلين للسيد السيستاني إلى وكلاء لشيعة السلطة والمستفيدين منهم، فلم يظهر حتى الآن منعكس لأفكار وتعاليم السيد السيستاني على بعض مكاتبه في الدول العربية المجاورة، التي دخلت معممة السلطة باحثة عن موطئ قدم لها بين تلك المغريات والامتيازات وبالأخص مكتب سورية الذي تحول بعض ناطقيه إلى خط دفاع لمصالح سلطة فاسدة.

• تعداد شيعة السلطة.

يبدو مصطلحنا المطروح للتداول مفتوحاً على تصورات لمشهد عددي ضخم عندما نستخدم مفهوم شيعة السلطة، وكأنهم طائفة أو فئة أو جماعة سياسية أو مذهب جديد، ولهذا ارتأينا إجراء إحصاء سكاني لجميع

المنخرطين في مصطلح شيعة السلطة، وكم تشكل نسبتهم العددية بموازاة نسبة شيعة العراق.

ولا نقول شيعة الإمام، فهؤلاء هم المسلمون إذ لم يكن الإمام إمام طائفة أو فئة أو جماعة سياسية.

إنه بتعبير عبد الرحمن الشرقاوي إمام المتقين، وشيعته المسلمون الأتقياء، ينبغي الحذر أن ينصرف الذهن إلى اعتبار نواب الائتلاف وأعضاء حزب الدعوة وأعضاء المجلس الإسلامي العراقي بمن فيهم شورى المجلس وأعضاء الهيئة العامة، هم جميعاً من شيعة السلطة ففي الدعوة متمردون يرون في هذه السلطة أكثر مما نرى، وفي شورى المجلس الإسلامي محتجون، نلتقي بهم ويلتقون بنا، ومن بينهم نواب في البرلمان. وعلى أية حالة فلا بأس أن يحشر مع شيعة السلطة جميع أعضاء حزب الدعوة، وأعضاء المجلس وأتباعهم المستقلين، والعدد الإجمالي لجميع هؤلاء العاملين في العضوية لا يتجاوز (12) ألف منتسب. من بينهم (74) شخصاً من حزب الدعوة في مجلس الوزراء والبرلمان والمؤسسات، و(240) مسؤولاً يحسبون على المجلس الإسلامي الأعلى في مجلس الوزراء والبرلمان والمحافظات والمؤسسات الرسمية والدبلوماسية، يضاف إليهم (60) مستقلاً، يستثنى من هذا الرقم المجندون في أجهزة الشرطة والجيش الذين هم موظفون في الدولة وليسوا محازبين.

فإذا اصطدمت إرادة الدولة مع شيعة السلطة فسيفضلون العمل في الدولة على العودة إلى سابق عهدهم.

يرتبط بهؤلاء المتنفذين في مجلس الوزراء والبرلمان والأجهزة الحزبية، مجموعة عمل من التجار والمرابين وسماسرة عمولة وملاك عقاريون ومدراء بنوك، وهؤلاء لا يسألون عن جنسية رجل الصفقة، ومذهبها بقدر ما يسألون عن الصفقة، وإن كانت حركتهم مقيدة بالثقة المتبادلة بين الطرفين.

إن هذا الكتاب يواجه هذه المجموعة التي تتدنى نسبتها عن نسبة الواحدة

بالألف من مجموع التعداد السكاني العام لشيعة العراق. والغريب أنهم غير راغبين بتوسيع دائرتهم التي تتسع لناس يمكن أن يستفيدوا معهم، فلماذا لم تتوسع دائرة شيعة السلطة مع وجود كثيرين مستعدين للعمل، لاسيما الذين كانوا يعملون في أطرهم الحزبية والسياسية سابقاً؟!

في اعتقادنا أن شيعة السلطة لا يفكرون بأن يتحولوا إلى حكام، ولا يتصرفون كرجال دولة يمكن أن يحكموا لأجل طويل.

إنهم يعملون بنظرية (عالماشي) وأضرب وأهرب، فلا يعطون اهتماماً لتوسيع الفلك السياسي حتى لا تتوزع الحصص فيقل حاصل المستفيدين الذين بمنطوق مافوي سيستفيدون كلما قلت أعدادهم ويخسرون كلما زاد العدد.

هذا منطق أصحاب الاستثمارات في مبدأ الأسهم المغلقة، لكن هؤلاء أوسع أفقاً عندما يتركون نسبة من الأسهم إلى سوق البورصة فيتداولها الجمهور.

إن شيعة السلطة لا يبحثون عن جمهور، مكتفين بالإفادة من المشاعر الصافية، التقية للمكروبين والمحرومين الذين يحملون أحزانهم إلى باب المراد- ويفتحون صدورهم المنخوبة مبتهلين إلى الله وهم في حضرة الإمام أن يفرج عن كربتهم ويذهب عنهم العوز وأغلال الجوع.

وسيتعرف هؤلاء التقاة لاحقاً على أسم الجميع وهويتهم ومن هم وراء فقرهم وقد تلألأت عقود الماس على معاصم نسائهم.

ومما يعزز اعتقادنا أن هذه الجماعة لا تفكر بالتحول إلى أحزاب حاكمة على المدى البعيد، أن أياً منهم قد ترك عائلته في طهران ولندن وسويسرا وفرنسا والسويد والدانمرك وسواها من مهاجر التجنس، وكأنهم قد أبلغوا تلك العوائل أن هجرتهم إلى العراق لا تطول وسيعودون ضافرين.

وهذا هو سر تكالب رجال شيعة السلطة على شراء الفلل والعقارات في مدن المهجر. فافتضح أمرهم بين فقراء اللاجئين العراقيين، وصار ممكناً إن ينشر إحصاء آخر عن العقارات التي يقدر الواحد منها بما يزيد عن المليون

دولار، وهي تعود لأشخاص كانوا قبل 9 نيسان 2003 باعة خضرة وأصحاب مخابز وعالة على معونات تلك الدول.

ومنذ مجلس الحكم، وحكومة الدكتور إياد علاوي، ولدت ظاهرة سلطة المتجنسين، الذين حرم عليهم في النظام السابق، العمل في الوظائف العليا، وكان ذلك من فضائله النادرة. ولم يقتصر التحريم على المتجنس الذين يولد من أبويين عراقيين، بل على من خالف نظرية الرسوس، وتصاهر مع دماء أخرى، عن طريق الزواج بالأجنبيات، فسارع ضعيفو الذمم بغية ركوب مطيتها، إلى تطليق زوجاتهم الأجنبيات، مقابل البقاء في الوظيفة العالية، وهو يعلم أنه قبل بالهابطة والسافلة، مقابل ركوب السابلة!.

كانت فئة ملوثي دمائهم، بدماء الأغراب، وهم المتطوعون لحمل مشعلها القومي قد عزلوا عن السلطة، ويعزل عنها من كان عراقياً، وعنده جنسية عربية!!

أما في العراق الأميركي، فيجوز لتارك عراقيته إلى جنسية أخرى، أن يكون في أي موقع!.

وهذا طبيعي للغاية، ففي العراق الأميركي، ما أحلى أن يكون الوزير أمريكياً، ورئيس الوزراء بريطانيا، ووزير المالية فرنسياً، لكن تعيين سائق الوزير وبواب الوزارة يقتضي منه أن يكون حامل الجنسية العراقية، ويحرم من حق جواز السفر أجيال من أبناء العراقيين الذين لم يوفقوا، أو لم يوافقوا على حمل جنسية غير عراقية، كما حصل لعائلة كاتب السطور.

● شيعة العراق أقلية سلطة.

شيعة العراق قبل 2003/4/9 فقدوا السلطة، وكسبوا أي شيء، وكل شيء سواها، التجارة والأحزاب ودواوين الشعر، ومنتديات الأدب، والمجامع اللغوية، ومدارس النحو، وزعامة الحركات الوطنية... فإذا ذكرت القبائل العربية كان الشيوخ في مجلس النواب ومجلس الأعيان، وعند أهرامات الحبوب في العمارة والكوت والديوانية. والأمير أمير ربيعة، وقائد الأحرار،

الشيخ شعلان أبو الجون، وعلوان الحاج سعدون، ورحيم الظالمي، وكاطع العواد، ومرزوك العواد وشعلان العطية ومجبل الفرعون.

وإذا غادرت شيوخ العشائر، إلى شيوخ الأدب والشعر وسادتهم، كان محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وعلي الخاقاني وعلي الشرقي وسعيد كمال الدين.

وفي الدراسات الأكاديمية، وقد تحول بعض دارسي الحوزات إلى أساتذة جامعات، كان علامة النحو، ومجدد مدرسة الكسائي – الكوفي مهدي المخزومي، وجعفر الخليلي، وجعفر الخياط وعبد الرزاق محي الدين... والساحة مشرعة الأبواب لعالم الاجتماع الإصلاحي الوطني الدكتور علي الوردي، وكتبه تطرق على رؤوس التخلف فتهزها على أي مذهب كانت...

ومؤرخ العراق الحديث، عبد الرزاق الحسني لم ينافسه منافس لا في حياته، ولا بعد مماته.

شيعة السلطة، مناخ آخر وبصمة على الجباه الشيعية، سواء كان منها أم من شيعة العراق، فإذا ظهر في غفلة من الخناجر المسمومة، والخناجر السامة عبقري كعلي الوردي، فسيقرأ من عنوانه الجديد المرسوم على جبهته... فهذا شيعي كظماوي!

وإذا انبجست أرض الكوفة عن نجيبها، وشخص علينا عبقري النحو الكوفي مهدي المخزومي، فحسبه أنه نجفي، وعليه أن يقدم أوراقه، ليعتمد هناك... فلا تلميذ يستمع من أهل الأعظمية، ولا دارس من الموصل سيدرس عليه نحو الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وعلى الجانب السني...فلا عبد الوهاب الأمين قائداً عسكرياً في حركة التحرر الجمهوري، ولا عبد الوهاب الأمين الكاتب الليبرالي، ومترجم سومرست موم إلى العربية... فكلاهما معظماوي.

ولا عبد العزيز الدوري آخر مؤرخي العرب سيستمع إليه في رواق نجفي،

أو على منصة كوفية.. وحسبه أنه دوري... وحسب ناجي معروف، الذي أحب العرب والإسلام إذا كان عربياً، أنه الآخر من جوار أبي حنيفة..

لا الشيخ الشبيبي ولا الشيخ الأثري في مجامع الخالدين، فهذا من ذا... وذا من هذا...

لم يعد العالم إذا ما ظهر عالمَ العراق، مثلما اختفى الزعيم العراقي، وحل مكانه زعيم الائتلاف، الشيعي، وزعيم التوافق السني، وبينهما الزعيم الكردي.

الرابح شيعة السلطة، والخاسر شيعة العراق، فيا ليت أيام الطغاة قائمة! ويا ليت المعادلة في التمثيل الشعبي بإدارة السلطة، ظل واحداً للشيعة وثمانية للسنة، وواحداً لليهود... وآخر للمسيحيين.. على أن يكون واحد الشيعة... محمد رضا الشبيبي.

يا سنة السلطة القدماء... تعالوا من جديد... وخذوا مجلس الوزراء... خذوا المالكي وعشرين معه وأعطونا.. عبد الكريم الإزري وزير المالية، ورجل مجلس الأعمار إلى جانب طه الهاشمي.

خذوا كل نواب الائتلاف وأعطونا، صادق البصام!

خذوا عباس البياتي وعشرين معه، ومحمد تقي كبابي وأربعين معه، وأعطونا سنياً واحداً هو عبد الرزاق الشيخلي نائباً عن الحلة.

خذوا هذه الأكثرية، عجيرها وبجيرها، عربيها وأعجميها، وأعطوني سنياً مثل حسين جميل نائباً في البرلمان ورجل دستور... فقد منع شيعة السلطة ظهور الفقيه الدستوري حسن الجلبي واستبدلوه، بمن لم يلتق يوماً لا برجل قانون ولا بعازف قانون، أما محمد مهدي الجواهري، فهو الشاعر العباسي ومحمولات أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي ونازك الملائكة فتاة الريادة الشعرية المعاصرة.

وفي الزعامات الحزبية والسياسية كان سعد صالح زعيماً لحزب الأحرار،

وفؤاد الركابي زعيماً لحزب البعث وعادل سلام زعيماً للحزب الشيوعي، ومحمد مهدي كبة زعيماً لحزب الاستقلال القومي.

والحركة الوطنية تنسب إلى زعيمها محمد جعفر أبو التمن وبعد هذا الجيل جيلان من الرواد... علي الشوك وهادي العلوي، ومصطفى جمال الدين وأحمد الوائلي وفي زعامة الشعر الشعبي وغنائه... كان عبود الكرخي علم الشعراء وحامل لوائهم الوطني وعزيز علي لم يظهر له رديف أو نظير يجمع قلوب العراقيين ومسامعهم إلى ساعة من التوحد الوطني العالي قبله أو بعده.

ومظفر النواب، عالم خاص، وناقل اللهجة العراقية إلى العرب، ومجدد الفصحى بمدرسة شعرية مستقلة.

وسنترك ـ الأجيال وما بعدها تتحدث عن نفسها.

لم يكن شيعة العراق كمية مهملة، ولا طائفة هامشية، إلا في مجلس الوزراء، ورئاسة الأركان... وغرف القرار، أي أقلية سلطة!

وشيعة العراق أغلبية، وشيعة السلطة أقليتهم، فهل تصحَّح في عقباه معتقد؟

• العراق بلا شيعة ليس عربياً.

قارعت دعاة تعجيم التشيعُ نصف قرن، وخصصت للمرافعات الجغرافية والسياسية والقومية، معظم ما صدر لي من كتب وعرضت المخاطر الناجمة عن تعجيم نصف سكان بلد عربي كالعراق، وإعطائه هدية مجانية للفرس. ودولتهم الإيرانية. وناقشت دعاة التعجيم، في كتبي، التأثيرات التركية في المشروع القومي. والجواهري ديوان العصر، والشيعة والدولة القومية، ودولة الاستعارة القومية، وعمر والتشيع، ثم في كتابنا هذا، شيعة السلطة وشيعة العراق، وتناولت مسألة تعجيم شيعة العراق في مجمل محاضراتي التي ألقيتها في عسير جنوب السعودية والرياض، ثم الدوحة، إلى الكويت ودمشق وحلب، وفي مدريد ولندن، وتوقفت عندها طويلاً في لقاءات تلفزيونية لأكثر من

عشرين فضائية واعتبرت المس بيل سكرتيرة المعتمد السامي البريطاني في العراق أول من طالبت حاشية الملك فيصل الأول بحملة ضد الأغراب، والأعاجم، وتعني بهم الشيعة الذين قادوا حركة التحرر الوطني والاستقلالي عن بريطانيا.

وكان كاتب السطور بالمرصاد لدعاة التعجيم فدخل معركة لم تنطفئ نيرانها بعد.. والنظرية التي طرحها في الجدل الطويل بسيطة جداً.... فإذا كان شيعة العراق أعاجم أو فرساً وهم نصف مجموع السكان في أي إحصائية مفترضة، وكان عشرون بالمائة من العراقيين أكراداً وهم غير عرب، وخمسة بالمائة من التركمان والأشوريين والكلدان والأرمن.. وهؤلاء ليسوا عرباً، فمعنى هذا أن نسبة السكان العراقيين من غير العرب ستكون على صورة مفزعة ومؤذية لأي عربي ممن يعتبر العراق مركز الحضارة العباسية؟...

وقد وصلت نسبة الأعاجم، وهم كل قومية وطائفة غير عربية ــ نسبة 75 بالمائة! وهذه نتيجة لا تساعد على إقناع الجامعة العربية والشعب العربي، بان العراق بلد عربي يستحق عضوية كاملة في الجامعة العربية ومؤسساتها!

هي الشعوبية الحقيقية، وليست الشعوبية في بضعة أبيات متناثرة كنا نستجمعها لشعراء عباسيين، متورطين مع غرمائهم العرب في مسألة التفاضل بين الأمم والشعوب.

فإذا استحضرنا جداول الإبداع، ولوائح الإنجاز العلمي، وعرضناها على وجه طائفي... فسيخسر العراق لقب شاعر العرب الأول بعجمة الجواهري... ورائد القصة العراقية الأولى بعجمة جعفر الخليلي، وسيفقد بهذا الإدعاء أحد نحوييه، مجدد مدرسة الكوفة في النحو التي انقرضت منذ قرون، بعجمة النحوي الدكتور مهدي المخزومي، ولم يعد للعراق بهذه النظرية شاعر شعبي يدعى عبود الكرخي، وكذلك في سحب العروبة من الفنان عزيز علي.. فهؤلاء لإيران حق الفخر بهم!

في منطق التفاضل بين الأمم لم يحدث أن تبرعت حركة قومية منذ نشوء القوميات الحديثة بعبقريتها لأمة أخرى، لكن هذا يحدث عندنا، إذا كان هذا

العبقري شيعياً لكي يتمتع سنة السلطة المستأثرة بها دون سنة العراق بحظوظ وافرة.

ولعلي لم أقع على شاهد تاريخي تصادر فيه سلطة منتخبة كما توصف شيعة السلطة حالياً هوية ناخبيها إلى أمة أخرى وتستثمر فوزها بأصوات الأغلبية العربية لبناء قوة تستخدمها لإلغاء هوية ناخبيها العرب.

أما من كان في السلطة منحدراً من جذر عربي فعليه تقطيع الجذور ليصبح صالحاً ليتبوأ مقعده على منصة مجلس النواب أو على مقاعد البرلمان والمقاعد الوزارية.

كأنها وهي تنزع عنها ثيابها العربية إنما توفي ديناً عليها، وكان المفترض أن تنسجم مع بيئة ناخبيها العربية مثلما انسجمت قائمة التحالف الكردستاني مع هوية ناخبيها الأكراد.

لا شيء أكثر من استنساخ الخطوات الكردية ما دام هنالك تحالف رباعي، فلماذا يتقدم الكردي بهويته القومية ويتقدم العربي بهويته الطائفية. لو أن الأكراد طرحوا مشروعهم السياسي باعتبارهم سنة فسيكون من حق الائتلاف أن يكون شيعياً انسجاماً مع مشروعه المذهبي.

في السياسة الإسلامية أن الحاكم إن لم يكن من قومية المحكوم فالواجب يقضي باحترام طبيعة الرعية ولهذا استعرب حكام أعاجم واندفع البويهيون الفرس لرعاية الشعراء والأدباء فازدهر عصرهم بالثقافة العربية وهم فرس ولهذا تكرست معارضة الفقيه العربي عبد الرحمن الكواكبي ضد السلطنة العثمانية على خروجها من قاعدة احترام الرعية، فيقول في نقد السلطنة... ما من غاز أو حاكم ذهبت السلطة إليه إلا وأصبح عربياً أكثر من العرب سوى الأتراك الذين فضلوا لغتهم على العربية ورفضوا جعل العربية لغة رسمية للدولة الإسلامية وتعاظموا في سياستهم على العرب الذين همشوا أيام الحكم التركي.

من هذا الباب فمن الخروج على قاعدة في السياسة الإسلامية أن يمثلني في

القرن الحادي والعشرين رجل في البرلمان كان يمكن أن يمثل شعبه التركماني لو اختاروه على هويته القومية مثل عباس البياتي الذي دفعه حزب الدعوة ليكون أكثر المتحدثين بأسنانه. ومن الظلم دون استهانة بأحد أن يكون محمد رضا كبابي نائباً يمثل شيعة العراق المنحدرين من أصلاب غثيث الحرجان وسلمان العبطة وشعلان أبو الجون وعواد المرزوك في وقت كان أحفاد هؤلاء أسماء معروفة في المجلس الإسلامي وقد قاتلوا في صفوفه فأبعدوا لصالح المنحدرين من أصول غير عربية، ولهذا لم يفكر أحد منهم بحاتم أبو الجون أو عبد الحميد رجراج أبو الجون ولا بأحفاد سلمان العبطة وغثيث الحرجان وهم موجودون لم ينقطع نسبهم.

أقول إن العراق ليس عربياً بلا شيعة... وإن الشيعة بلا عروبة هم ليسوا شيعة العراق... لعلهم.. شيعة سلطة!.

• العمل بالهوية المزورة.

السائد على الذهن السياسي والوجدان الحاكم تفضيل مبدأ العمل بالهوية المزورة.

وهذا هو قانون السياسة العراقية منذ فيصل الأول، حتى ساعة كتابة هذه السطور، والدولة العراقية، بلا دولة والعلم مؤقت، ورجال السلطة معلبون في المحمية الخضراء، والهوية وتمثيلها إشكال يتكرر مع اختلاف الليل والنهار.

لقد اختلف السياسيون الملكيون مع المعارضة الدستورية على الهوية والتمثيل، فحسم العسكريون خلاف الدستوريين، سلطة ومعارضة، بإلغاء الدستور والأحزاب وتعطيل الحياة النيابية التي لم يكن التمثيل فيها صحيحاً على وجه من الوجوه.

وكلما اختلف السياسيون على الهوية حسم البيان الأول هذا الخلاف، إلى ظهور نظرية الحزب الحاكم التي منعت خلال ثلث قرن قبول أية دعوى بالحديث عن الهوية والتمثيل ما دام الحزب هو الذي يقود الدستور والمجتمع والدولة، وهو الذي يمنح الهوية أو يمنعها، وقد نجم عن ذلك ظهور مبدأ

(وحدة الهوية) والكردي عضو في الحزب العربي، والرأسمالي عضو في الحزب الاشتراكي، والليبرالي ممسكوك من أذنيه، فسحبت الهوية العسكرية من العسكري ليصبح المدني جنرالاً والعسكري سائق تكسي أو دلال بيوت.

فإذا انتهى مبدأ وحدة الهوية، بظهور سيل من الهويات، بعد سقوط النظام عن طريق التدخل الأميركي، انتشرت ظاهرة الخلاف على الهوية والصراع على تمثيل الهوية.

وباستثناء الحالة النادرة في كردستان، فإن الخلاف في العراق العربي، وبين الأقليات الدينية والقومية على هذه القضية، قد تجاوز المقبول العقلي والذهني، فللوحدة الاجتماعية الصغرى أكثر من حزب، فكيف مع الوحدات الكبرى كالشيعة، مثلاً والسنة ومجمل المسيحيين؟.

إن الشيعة هم ليسوا حزب الدعوة بحجمه المتواضع، والدعوة موزع على أربعة أرباع والحاكم باسمه لا يمثل غير ربع فيما أكثر من الربع، قد خرج مع خروج الدكتور إبراهيم الجعفري.

في داخل الدعوة، كما في غيرها من الأحزاب، صراع مماثل على الهوية والتمثيل، أما المجلس الأعلى فهو الوحيد الذي لم تظهر فيه بوادر صراع مشابهة للهوية والتمثيل، لأنه لم يسع لتشكيل جسم تنظيمي ورؤية أيديولوجية، فما زالت شرعية التمثيل في المجلس، تستمد من وهج السيد محسن الحكيم ومرجعيته الشهيرة، والتي تحولت إلى زعامة سياسية ودينية عند نجله السيد محمد باقر الحكيم قبل أن تنتقل إلى السيد عبد العزيز الحكيم، وسيحدث هذا الإشكال في مرحلة ما بعد الأخير الذي يعاني من مرض خطير شفاه الله بالعافية. لكن الخلاف في المجلس ليس كالخلاف في الدعوة، إذ اتخذ الخلاف أيام السيد محمد باقر الحكيم شكل الصراع على المواقع المتقدمة فيه. ففي دمشق رفض ممثل المجلس الأعلى علانية وعلى مسمع من الحاضرين زيارة لهمام حمودي، وقد كان مسؤولاً لجميع مكاتب وممثليات المجلس في الخارج لسوريا: وقال ما نصه... «إذا وصل أبو لفة البيضة لسوريا فسوف لا التقيه» ناهيك عن البرودة المستمرة التي حكمت علاقة

الأخير بنائب الرئيس الحالي، وتسببه في حرمانه من الوصول إلى منصب ممثل المجلس في لبنان.

وكان يسخر من مطولات عادل عبد المهدي التي يبعث بها لتنشر في نداء الرافدين، فيلقي بنصفها إلى مستودع الأوراق المهملة.

وبالعودة إلى خلافات المجلس فقد جرت الأعراف حول جواز الاختلاف معه دون الاختلاف عليه، فهل ستتعرض هذه القاعدة إلى الاهتزاز بعد أن صوتت الجمعية العمومية للمجلس في اجتماعها الأخير، أن يكون السيد عمار الحكيم نائباً لرئيس المجلس الأعلى؟.

• شيعة السلطة هل يمثلون الإسلاميين

والإسلاميون هل يمثلون شيعة العراق؟!.

العمل بالهوية المزورة يتجاوز التمثيل الشخصي للحزب والحركة إلى التمثيل المذهبي الأوسع، والدليل الماثل بقسوة في الحياة السياسية العراقية، أن يقدم الإسلاميون لتمثل شيعة العراق، وهم لا يشكلون نسبة سكانية في محيط التشيع العراقي الفسيح الذي في بيئته ولدت أحزاب وطنية وقيادات ليبرالية. وحركات قومية. كما ظهر المبدعون العرب في الأدب والفن والتاريخ والسياسية..

إن العودة إلى أسماء المبدعين لا تشير إلى أسماء وافرة ممن أنجبتهم حركة إسلامية، لكنهم مسلمون وعرب وعراقيون.

ولكي نشخص العبارة ونجسّم الكلمة، ونبتعد عن التعميمات مرة أخرى لتقديم جدول المبدعين في حقول صاروا بها مراجع لعلوم العرب، والآثار، والطب، والشعر..

فهل كان جواد علي، مكتشف تاريخ العرب قبل الإسلام، وصاحب موسوعة المفصّل في تاريخ العرب، إسلامياً!؟.

أم كان عبقري الكوفة، وعالم نحوها مهدي المخزومي إسلامياً؟

أم كان عالم السومريات ومفكك رموزها ومترجم جلجامش، طه باقر شيخاً يدرس في قم!!؟.

أم أن نازك الملائكة رائدة الشعر قد جاءت إلينا من تلك القوى؟

وباستثناء الشاعر جواد جميل الذي استبدل الإبداع الجميل بعضوية الائتلاف؛ وعدد من الكتاب المبدعين عن دور لهم في السلطة، فإن خواء الإبداع يضرب على جباه الأسماء في هذه السلطة.

أقول إن ساحة الشيعة غير الإسلاميين تغطي ميادين الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية. ولم يشكل الإسلاميون سوى كوادر، هاجرت في وقت مبكر إلى منافيها، وبرزت أسماء من أبناء تجار الشورجة الماهرين ليحركوا المكاتب الإسلامية الرسمية.

أما الإسلاميون الذين عرف لهم باع في السياسة، وتداولت أسماؤهم المنتديات، فهؤلاء لم يعترف بهم الائتلافيون فلا السيد مصطفى جمال الدين محسوب عليهم، ولا الشيخ أحمد الوائلي، ولا ليث كبة بتجربته المرة.

إن الوكيل الحصري لشيعة العراق، محصور بين أسماء لا تتجاوز المائة شخص ثلاثة أرباعهم مجهولون حتى يومنا هذا رغم ظهورهم المتكرر على شاشات التلفزيون.

إن شيعة السلطة لا يمثلون الشيعة الإسلاميين جميعهم، وإن الإسلاميين الشيعة لا يمثلون شيعة العراق كاملاً.

وإن ساحة التشيع العراقي تتسع لميراث وطني وقومي أضخم مما تحمله كواهل السلطة المكسورة.

وبتنكر واستئثار، أقصي المبدعون الشيعة من ممارسة حقوقهم السياسية، والثقافية، والفنية، لكي يتصدى لتمثيلهم آخرون ليس لهم دور في حياة العراق الثقافية.. ويوماً بعد آخر تضيق دائرة التمثيل الشيعي في السلطة لتنحصر مثل تمرات العبد!. وتغفل الأسماء الكبيرة، فيتقدم احد أشهر

المرتكبين من سقط متاع الأحزاب، متفضلاً بتذكير مسؤول في السلطة ليرسل مكرمة لشاعر، أو أديب، أو مناضل سياسي في العراق أم في المنفى.. لكن إسلاميي السلطة لم يقدروا حتى على فعل صغير كهذا!.

● **هل طورد الإسلاميون لأنهم شيعة؟.**

بمكبرات الحروف أقول..لا؟

فالإسلاميون لديهم مشروع سياسي، تكشف عنه عناوين الأحزاب والحركات المنضوية، ومساقط، رؤوسها وتاريخ ميلادها، واتجاهاتها الفكرية والسياسية، لاسيما المجلس الإسلامي الأعلى للثورة الإسلامية، وهو عنوان. عملت جهدي في عشر لقاءات وعشرين رسالة خطية مع السيد محمد باقر الحكيم لاستبداله، وحذف عبارة الثورة الإسلامية، لأن العنوان يعطي مسوغاً قانونياً للسلطة السابقة لجعل المجلس الإسلامي حركة إيرانية، تسعى لنقل تجربة الثورة الإسلامية فيها، وينجم عن ذلك إضرار كبير وتضحيات كبرى، مع سهولة التشهير الإعلامي للسلطة بالإسلاميين العراقيين، وكونهم فصيلاً تابعاً لإيران!.

وكانت المصدّرات الإعلامية إلى العرب تدور حول هذا الجانب ومنعكساته على الرأي العام العربي والعراقي.

وكان من نتائج ذلك، أن السلطة السابقة تبطش بالإسلاميين، على أنهم طابور إيراني، وفي أحسن الأحوال، أصحاب مشروع سياسي لتغيير النظام القائم ونقله من الحالة القومية إلى الحالة الإسلامية، وحتى في هذا الإطار، فالدولة تستهدف هذا المشروع بالقمع الدموي. وليس لكون القائمين به شيعة.

أما من كان له حق الإدعاء بوقوع الظلم عليه لأنه شيعي،فهو صنف آخر وأعني به الشيعي في المشروع القومي، أو في الحزب الحاكم أو الشيعي الملكي الذي لم ترتفع نسبة مشاركته في سلطته العلمانية الملكية على الثلاثة بالمائة في رئاسة الوزراء و15 بالمائة في مجلس الوزراء.. وهذه النسبة

استمرت في العهد الجمهوري إلى آخر حكومة!!.

إن الشيعي الملكي والشيعي القومي العربي، هو الذي يشعر بوقوع الظلم والتمييز الطائفي عليه، وهو لا يحمل مشروعاً سوى مشروع الدولة ذاتها، وقد يكون ناشطاً شيعياً أكثر فاعلية وإخلاصاً لدولة مشروعه السياسي والقومي. فيما هو عند توزيع 0المغانم سيبقى قانعاً بحصته، وسيتحول عند موزعي الغنائم إلى شيعي وليس سياسياً ملكياً، أو قائداً قومياً أو داعية حزبياً..!!

جميع صفاته ـ متنحية أمام منحدر عائلته المذهبي؟

هذا الصنف السياسي الشيعي هو من له الحق بالحديث عن مظلومية سياسية، حيث لا تجد السلطة الملكية أي مبرر غير المبرر الطائفي سبباً لتضييق دائرة المشاركة في صناعة القرار الوطني.

بمعنى أن العلمانيين الشيعة المشاركين في النضال الوطني، والشركاء في إسقاط عدد من الأنظمة لصالح أحزابهم وحركاتهم السياسية، لم يصبحوا شركاء فعليين في إدارة سلطتهم الجديدة..

وهذا ما كانت تدور حوله فصول مزينة من كتابي «الشيعة والدولة القومية» وقد وضعت القومية صفة للدولة حتى أكشف حجم الضرر الذي يصيب المشروع القومي ودولته من سياسة التمذهب التي لوّحت مراراً أنها ستكون السبب في إقصاء التيار القومي العربي عن دور سياسي في المستقبل، فحاولت استبدال المصطلح من القومي العربي إلى العروبي.

وما يحدث الآن.. أن الاتجاهات السابقة ما تزال قائمة، فالشيعي العلماني في حالة الإقصاء الدائم من الدولة القومية إلى دولة العراق الأمريكي!

فلم يحدث للأكثرية الشيعية من خارج الحركة الإسلامية دور سياسي أو اجتماعي يذكر، فيما كان الدور الاجتماعي والثقافي مفتوحاً أمامهم في تلك العهود الغابرة.

وسيكون المضطهد مذهبياً، تيار شعبي واسع لم تكن له علاقات طيبة مع إيران التي ألقت بثقلها على الحركات والأحزاب المؤسسة على أراضيها وبشروطها.

أن عداء السلطة السابقة للأتباع الصدريين يدخل في باب الاضطهاد المذهبي لجماعات وطنية وعروبية وكادحة ليست لها صلات مع مبدأ ولاية الفقيه، وثورته الإسلامية.

وهذا لا ينسحب على إسلاميين يعملون تحت لافتة الثورة الإسلامية ولا تجد دولة ستقبل بظهور حزب محلي يعقد مشروعاً سياسياً لدولة أخرى حتى لو كانت صديقة وذات مبادئ عليا متفق عليها لدى الطرفين.

وعلى سبيل المثال، فالثورة الفرنسية خرجت من محليتها إلى العالمية وباتت مبادئها منارات إنسانية، وأهدافاً سياسية لشعوب العالم، لكن هل سيتقبل الشعور الوطني الألماني رؤية حزب الثورة الفرنسية في ألمانيا، أو المجلس الأعلى للثورة الفرنسية في إيطاليا، وهي شعوب أوروبية خرجت مبادئ الثورة من ضلوع مفكريها؟!

وماذا يتصرف نظام أحادي، في ظروف حرب مع دولة يحمل مشروعها السياسي مجلس أو حزب من داخل هذا النظام؟

إن التفكير بحجم رد الفعل سيثير الرعب في الرأس البشري، قبل أن يتحول الرعب إلى نظرية عمل يومي في الغابة الأمنية.

وفي حالة كهذه لا يسأل ضواري الغابة عن دين أو مذهب أو عشيرة أو عائلة ولو كان ذا قربى، ولن يكون مصير العضو في حركة الثورة الإسلامية أقل من مشهد الموت في قصة الدكتور راجي التكريتي!

تحوّلات المراجع الشيعية نحو وعي السّلطة

- الهجرة من قم والسيدة زينب إلى لندن.
- لقاء في لندن مع آية الله العظمى السيد مرتضى العسكري
- لقاء مع موفد توني بلير.
- العمائم البديلة لمعارضة الخميني وليس صدام حسين.

• تحولات المراجع.

كان مراجع التأسيس الوطني الذين قادوا حركة التحرر الوطني ثم حركة الاستقلال العراقي يستنطقون أفـواه البنـادق الصـامتة، فتنطـق بالحريـة والاستقلال وهم لا ينتمون إلى سكون التكايا ولا يركنون إلى الـذين ظلمـوا فتمسهم النار.. وإنما كانوا يستخدمون النار ضد الذين ظلمـوا... أمـا مـن أخذته الحيدة، وفضل معتكف السكون على مشتجر الصراع، وأجتهد بمساكنة الحاكم فقد اصطلحوا عليه بما يخزيه، فهو ليس فقيه شرع ولا عالم دين، بل من علماء الحفيز.. والحفيز محرفة عن الكلمة الإنكليزية أو فيـز أي مكتـب ودائرة وهؤلاء العلماء هم موظفو المكاتب الحكومية، فكيف إذا كانت حكومة احتلال أجنبي وهو ما تعنيه مفردة الحفيز؟

مراجع هذه الأيام هم ليسوا مراجع تلك العهود، فما الذي أحدث هذا الانعطاف الكبير ليصبح علماء الحفيز أكثر عدة وعدداً من علماء الحرية والاستقلال؟

سنعترف برأي ارتأيناه في كتابنا (الشيعة والدولة القومية) وتساءلنا عمـا يغري فقهاء التشيع في الاصطفاف السريع والدعوة الأسرع لمناصرة حركـة مهما كانت صغيرة، لمجرد أنها موجهة ضد السياسة البريطانية في العـراق، دون أن يكون لهؤلاء حصة في السلطة، ولا لأتباعهم من السياسيين الشـيعة دور فيها.

إنهم بسبب كراهة الاستعمار يفضلون مقاومة المحتل، والتساهل مع ما يقع عليهم من ظلم ذوي القربى.

طبيعي، ومن منطلق الأعراف السياسية، كنا نفضل لو جرى اتفاق مع قادة هذه الحركة أو تلك على ميثاق وطني يأخذ بالتمثيل الشعبي العادل فـي إدارة الدولة وهو ما لم يحدث سابقاً.

فهل قرر فقهاء اليوم تصحيح المعادلة السياسية، بوضع مبدأ توازن التمثيـل في إدارة الدولة فوق أي اعتبار وجعل مقاومة الاحتلال في رتبة ثانيـة أو فـي مرتبة تالية، إذا كان ذلك سيظر بمشروع الوصول إلى السلطة أسوة بما سـار

عليه سياسيون في سنة السلطة، عند تأسيس العراق وتحالفهم مع سلطة الاحتلال البريطاني فيكون فقهاء اليوم من الشيعة هم فقهاء الأمس في السنة.

لكن هذه الرؤية قد لا تبدو صحيحة في تفسير صمت المراجع عند نطق المدافع التي صارت قاعدة وشعاراً سائداً، إن الحالة مختلفة في جانب أساسي منها وموقف شيعة السلطة من شيعة العراق لا يشبه موقف أسلافهم من سنة السلطة إزاء سنة العراق.

والاحتلال الأميركي لا يشبه سابقه البريطاني، وهو يقود حملة إبادة ضد مواطنين شيعة، مرجعيتهم لم تصدر فتوى بمقارعة الاحتلال، ولا فتوى بمطاردة المعترضين على الاحتلال. والصمت الذي ساد في السنوات الأربع الماضية على حملة أميركية على مدن سنية هو غير الصمت من وجهة نظر مذهبية على حملة إبادة ضد أتباع أهل البيت في ضاحيتي الصدر والشعلة وبمنظور هؤلاء الأتباع الذين ستهتز قناعاتهم وقد ظهرت ملامح احتجاج على صمت المراجع، ومن طبيعة الصمت أنه إذا استمر فترة أطول يستحيل صوت انفجار لا يعرف أحد مدى الأضرار التي سيحلقها في الانتظام الشيعي وعلاقته بالمرجعية.

أظن أن سراً آخر سيكون مقبولاً لتفسير أسرار الصمت الفقهي على (مقاتل الطالبيين) في الشعلة والصدر نزولاً إلى العمارة والبصرة، ففي أثناء الحرب العراقية ــ الإيرانية استذكرت السياسة البريطانية ظاهرة علماء الحفيز وإمكانية التلويح لفقهاء معارضين للإمام الخميني بالحصول على وعود لاعتماد مرجعياتهم بديلاً عن مرجعية الخميني، فحدثت موجة هجرة لعلماء على مستويات مختلفة من الكاظمية والنجف وكربلاء وقم وحي السيدة زينب باتجاه الاستقرار في لندن، وتأسست مراكز دينية هناك اختلطت فيها الأسباب المعلنة بالعوامل الكامنة، فهي معارضة لنظام صدام حسين في مسطحات النظر، فيما هي في الأصل معارضة فقهية وسياسية لمشروع الإمام الخميني.

ولك أن تتوقف للسؤال عن أية مصالح بريطانية ستتحقق من إقامة مراكز معارضة لنظام مرتبط بعقد التخادم السياسي ويخوض حرباً دامية لتحجيم

الثورة الإسلامية المرعبة للغرب؟.

ليس معقولاً أن تستقبل لندن هذا العديد من علماء الدين الشيعة المناوئين لسلطة حليفة في بغداد في الوقت الذي لعقت رئيسة الوزراء البريطانية السيدة تاتشر، جراحها وهي تتابع لحظات وصول جثة صحفي بريطاني من أصل إيراني أعدمه صدام حسين، في الوقت الذي تتصل فيه برئيس تحرير جريدة الأوبزفر التي كان بازوفت يعمل فيها راجية وضع مصالح بريطانيا العليا فوق هذه الحادثة وعدم التعرض لنظام صدام حسين بسوء.

وهكذا تنجلي عن تلك المراكز غبرة تضليل بأنها كانت معارضة لصدام وليست للإمام.

في ذلك الوقت أطلقت مصطلح العمائم البديلة على هؤلاء المتطوعين القادمين إلى لندن، فبدأوا معي معركة إعلامية ونسوا أن كتاباتي وكتبي كانت المصدر الوحيد الذي أعتمده هؤلاء في الحديث عن صدام حسين.

ولم تنجح الخطة البريطانية لتأسيس مراكز فقهية عالية القيمة ومؤثرة في البيئة الشيعية، فاستعانت بالسيد آية الله مرتضى العسكري الذي حضر لندن عام 1985 وأقام في شقة خصصها له رجل الأعمال المعروف صادق العطية، وقد زرته فعلاً في يوم 1985/7/6 وعرض علي أن أبدأ حياتي العلمية من جديد بالتلمذة عليه، وأفادني بشهادة ممتازة عن عبد الكريم قاسم مع نقد موسع لكتابي الذي صدر عنه.

إن السيد العسكري لم يخف خصومته لمنهج الخميني ورغبته في أن يكون له دور شيعي أكبر، واعتمادي داعية وأن لم أكن إسلامياً لهذا الدور، وهو يقول أن أسمك سيضاف إلى سجلي الخالد الذي ضم تلامذة من طراز المفكر الشهيد محمد باقر الصدر والدكتور داود العطار والأستاذ عبد الصاحب دخيل فاعتذرت له عن هذا الدور.

● هجرة العمائم من السيدة زينب إلى لندن.

أما البريطانيون فحيث كانت السياسة الأميركية ترمي بثقلها في الجانب العراقي الذي يقاتل الجموح الإيراني وهياج الثورة الإيرانية لابتلاع نظم الثراء النفطي المجاور، والانطلاق منها إلى حلم الثورة العالمية الإسلامية، كان البريطانيون ــ حلفاء أمريكا ــ قد بنوا إستراتيجيتهم القائمة على تشكيل احتياط وبديل للحليف العراقي أو للخصم الإيراني، فاستخدموا القنوات السرية لاستقبال فقهاء وحركيين إسلاميين على درجات متفاوتة.

لقد فشلت المحاولة البريطانية لإقامة تفاهم مع آية الله السيد مرتضى العسكري (أكبر معمر) من بين مراجع الشيعة في العالم، وأكثرهم عناية بالتاريخ الإسلامي العام. وصولاً إلى كشوفات تشبه إلى حد ما توصل إليه طه حسين في كتابه عن الشعر الجاهلي، والعسكري يعتقد بأن ما لا يقل عن (150) شخصية تاريخية في العصر الإسلامي الأول، كانت مختلقة.

لم يكن العسكري من دعاة الثورة الإسلامية، فأتهم بممالأة نظام الشاه محمد رضا بهلوي، فلم يعطه قائد الثورة الإسلامية دوراً أو أن يقربه منه.

وكان واضحاً أن الزيارة جاءت تحت تأثير فكرة لشيعة معتدلين ورسالة إلى الغرب، إن فقهاء الشيعة ليس جميعهم متفقين على أسلوب السيد الخميني، لاسيما في اعتراضهم على مفهوم ولاية الفقيه.

وخلال فترة وجيزة في مطلع الثمانينات أقفرت حوزة السيدة زينب من أساتذتها وشيوخها المتوجهين إلى الإقامة في بريطانيا، الأمر الذي أثار حفيظتي فكتبت عموداً في جريدة التيار الجديد التي كنا نصدرها في لندن ويمولها الصديقان المرحوم صادق العطية والأستاذ سعد صالح جبر عن العمائم البديلة، التي تتقاطر على بلاد غير إسلامية تاركة وراءها جمهور الأتباع الفقراء في أحياء دمشق الفقيرة، متسائلاً عن جدوى وجود هذه الوفرة من العلماء والفقهاء وزعماء الحركة الإسلامية في لندن، فيما هم يتمتعون في سوريا بحرية العمل وتأسيس الحوزات وتدريس الطلبة، ومنحهم

رخصاً لاستخدام سيارات غير مجمركة، وغض الطرف عمن كان يحمل هوية غير حقيقية أو جواز سفر، مدعومين بقرار من الرئيس حافظ الأسد، بقبول جميع الطلبة العراقيين الذين شردوا من العراق في المدارس والمعاهد والكليات السورية وفي الصفوف التي كانوا عليها في العراق على أن تكتفي وزارتا التربية والتعليم بتعهد خطي يؤكد صاحب الطلب فيه إنه كان طالباً في كلية الطب أو الهندسة أو في السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية.

في مثل ظروف كهذه تتيح لهم حرية العمل السياسي والديني والتعليمي ومجانية العلاج والإقامة المفتوحة وحق فتح المتاجر فما الذي ستوفره لندن، لزعماء تلك الحركات الذين كان الدكتور إبراهيم الجعفري واحداً منهم، وكذلك السيد محمد بحر العلوم والسيد حسين الشامي...

فرد السيد بحر العلوم باسم مستعار على كلمتي مشيراً إلى أنني كنت من قدماء البعثيين وألصقهم بصدام حسين قبل وصوله إلى رئاسة الجمهورية.

ولبحر العلوم علاقات خاصة مع البريطانيين قبل ظهور علاقته مع الأمريكان.

فيعود هؤلاء بعد الاحتلال الأميركي البريطاني للعراق قادة جدداً ووزراء يفتحون مؤتمراتهم الصحفية بمهاجمة سوريا، وكأنهم يحسون في أعماقهم أن السوريين وحدهم من يحتفظ بأسرار الهجرة إلى لندن وأن كان آخرون قد هربوا من إيران عبر سورية، أو من بلد ثالث وكان عذر بعضهم أنهم جاءوا ليسدوا الحاجة الشرعية لعلماء الدين في المهجر!

غير أن الهدف هو أبعد من هذا بالطبع، فالبريطانيون كانوا يعدون لمرحلة ما بعد صدام حسين ، وحاجتهم إلى خزين احتياطي من علماء كان بعضهم مستعداً للعمل مع الأجهزة البريطانية، وإن كان علماء وفقهاء آخرون قد سدت بوجههم السبل العربية، فاضطروا للهجرة إلى بريطانيا، محتفظين باستقلالهم ووطنيتهم كالسيد حسين الصدر الذي عاد إلى العراق، وظهر اسمه في قائمة الدكتور إياد علاوي لكنه سرعان ما انسحب ولم يرشح للبرلمان مرة ثانية.

أقول إن علماء الدين ستحتاجهم لندن في يوم ما بعد زوال من كانت تعتبره حليفاً لها في الحرب ضد المتشددين الإسلاميين في إيران، فيما أقفر الجانب الأميركي من احتياطي مماثل في فترة الحرب العراقية الإيرانية.

وقبيل موعد الاحتلال لوحظ أن السياسة البريطانية أخذت تراهن على دور لأبناء المرجع الكبير السيد أبو القاسم الخوئي الذين رحلوا إلى لندن، وأقاموا مؤسسة كبرى مستثمرين تركات الحقوق الشرعية لدى المرجعية الأولى بعد رحيل والدهم، وعرف (الخوئية) بابتعادهم عن السياسة الإيرانية وابتعادهم عن المشاركة في أعمال المعارضة العراقية، لكني أظن أن الخوئية ربما نقلوا رسائل بريطانية إلى طهران تتعلق بالوضع العراقي ما بعد صدام.

وفي الجانب الأميركي نشطت جبهة الخوئية الصغيرة، وأصبح من المعتاد مراجعة مؤسسة الخوئي في لندن لتلقي تعليمات حول التوجه إلى العراق أثناء تحرك القوات البريطانية الأميركية، وقدم رئيس الوزراء بريطانيا (طوني بلير) دعماً علنياً عندما استقبل عبد المجيد الخوئي في مكتبه (10 داوننغ ستريت) فأثار ذلك الاستقبال حفيظة العمائم المتزاحمة على دور مماثل، واندفع السيد عبد المجيد الخوئي خارقاً تقاليد المرجعية بدخوله مع قوات الاحتلال وبرفقته مجموعة من المتطوعين الذين تركوه يواجه سكاكين المحتجين على دوره وخر صريعاً داخل ضريح الإمام علي، وانتهى الدخول السريع إلى المعارضة السياسية بسرعة مماثلة.

● **المنعكس في الكويت لقاء مع موفد بلير.**

كنت آنذاك في الكويت أراقب الأحداث، وأكاد لا أقاوم رغبة شديدة للتسلل إلى العراق بعد ربع قرن من الغياب، وما زلت حين ذاك في مرحلة النقاهة من جراحة ثانية في القلب، ولا أخفي مشاعري، أنني كنت واقعاً تحت تأثير بالغ لرد فعل إزاء هؤلاء الذين تسببوا في عذاب ربع قرن، فدخلت في سيارة صحفية إلى البصرة

وخلال أيام الانتظار، اشتركت بلقائين لهما أهمية خاصة.

فقد أرسل لي العلامة السيد محمد باقر المهري ممثل الخميني في الكويت سابقاً نجله الشيخ أحمد، فعرض علي دعوة للغذاء مع والده وضيف لم يقدم لي اسمه.

وفي منزل الشيخ المهري، تعرفت على ثالث الحاضرين بصفته مسؤولاً كبيراً في مكتب السيد الخامنئي، حضر في مهمة استقصاء واستماع لآراء الخبراء حول مقتل السيد عبد المجيد الخوئي، وتأثيره على هيبة المرجعية، واحتمال أن يكون سابقة لحوادث متكررة قد لا تبقي مرجعاً مهما علا شأنه في مأمن من الخطر. أما العلامة المهري فرغم اعتداله السياسي، فقد كان في عنفوان غضبه، حتى أنه اصدر تصريحاً صحفياً هاجم فيه التيار الصدري، بما يجعل طبيعياً الاعتقاد أن موقفه في ذلك الاجتماع كان جدياً في استئصال ظاهرة أو سابقة خطيرة، حتى خيل لي أن الموفد الإيراني سيعود إلى طهران حاملاً حلاً واحداً لا يخرج عن استئصال الظاهرة الصدرية.

ولم تمر أكثر من 48 ساعة إذ اتصل بي المستشار السياسي الأول للسفارة البريطانية في الكويت، طالباً زيارتي، وكنت قد التقيت به على حفل غداء أقامه لي معالي الشيخ ناصر المحمد وزير الشؤون الأميرية، ورئيس الوزراء حالياً، فانتهى اللقاء بخروجنا سوية أنا والمستشار البريطاني إلى لقاء خاص مع الموفد الشخصي لرئيس وزراء بريطانيا، الذي وصل الكويت في مهمة استقصاء تتركز فقط على تقديم رؤية للرئيس بلير عن مستقبل فيلق بدر ودوره في العراق ما بعد صدام.

وتم اللقاء بالموفد في منزل الملحق الثقافي البريطاني الذي يجيد العربية قراءة وكتابة، ويحتفظ بمجموعة من كتبي فأسندت إليه مهمة ترجمة اللقاء.

لاحظت أن الموفد البريطاني، كان يعطي لقوات بدر حجماً مرعباً، فعديد المقاتلين يتجاوز (300) ألف، وأسلحتهم تتجاوز المشاة والدروع ومقاومة الدروع، والتنظيم محكم على طريقة المنظمات السرية، وإنهم في طريقهم للاستحواذ على مواقع إستراتيجية ولديهم حس طائفي مدمر، واحتمال تعرض مناطق السنة إلى إبادة، وأعطى مثلاً من مناطق شارع فلسطين والأعظمية

القريبة من مدينة الثورة (الصدر) حالياً.

شعرت وبدون فترة مراجعة مع الذاكرة، أن بعض هذه المعلومات المضخمة عن فيلق بدر، إنما صدرت عن بعض هؤلاء الفقهاء والعلماء الذين هاجروا من إيران أو من حي السيدة زينب واستقروا هناك، وهم في معظمهم على خلاف مع زعامة المجلس الإسلامي الأعلى، الذي يقود فيلق بدر، ولم تكن تلك المعلومات قادمة من مصادر سنية لعدم وجود سنة حركيين وحيويين يمكن أن يقوموا بهذا الدور في بريطانيا.

تركزت وجهة نظري على التخفيف من هول الأرقام التي قال الموفد إنها مستقاة من تصريحات قادة المجلس الإسلامي ذاته، فقلت له إذا سمعت شيئاً من ذلك، فالهدف إشعار النظام العراقي آنذاك بأن فيلق بدر قادر على اجتياح الجنوب، وقد تروج هذه الأرقام لإقناع الإدارة الأميركية، بأن المجلس يمتلك إمكانات عسكرية لتغطية احتياجات الملاذ الآمن في الجنوب لو تم إقراره في مجلس الأمن.

قلت للموفد: لا تتوفر مؤسسة في العراق لتغطية رواتب هذا العدد من مقاتلي الفيلق، وإذا ما غامرت إيران بإسعاف جناح من أجنحتها في العراق بميزانية على ذلك الحجم، فإن القيمين على إدارة الفيلق سيحتفظون بالنسبة المئوية العليا من تلك الموازنة لأنفسهم، ولا ننسى أن فيلق بدر يتكون من بعض أسرى الجيش العراقي وبعض اللاجئين وبعض أبناء العشائر الذين هربوا خوفاً من الإرهاب والمطاردة، وهؤلاء موزعون على مدن العراق وسيذهب أي منهم إلى مسقط رأسه، ولا يبقى من فيلق بدر إلا نواته الأولى، فهو لا يشكل قوة عسكرية، يمكن أن يحُسب لها حساب، لكنه قد يتحول إلى منظمة سرية لمطاردة أهداف يحددها المجلس أو تحددها إيران، وهنا وظيفة الفيلق وهي بالتحديد أمنية وليس عسكرية.

أما الجانب العسكري في الوسط الشيعي، فسيكون حكراً للتيار الصدري الناهض.

سألني الموفد البريطاني: هل يعني ذلك توفر فرص مقبولة لمحاورة التيار الصدري باتجاه إقامة توازن بين القوى في الوسط الشيعي؟

من جانبي، فقد كنت شارداً فوق علامة تعجب عن دهاء البريطانيين، فلم يشر الموفد إلى حملات إعلامية وسياسية تحمل الصدريين مسؤولية مقتل عبد المجيد الخوئي القادم إلى العراق من لقاء مع (طوني بلير) بل أحسست كأن الرجل يتمنى لو مدت الجسور مع التيار اصدري لمحاصرة فيلق بدر المستقر في مخيلته خطراً وليس كسائر الأخطار. ولم يتبين لي سر الخطر الذي استشعره البريطانيون إلا بعد سنوات ولكن على الصورة التي رسمتها في حديثي مع الموفد، وليس على صورته، فقد شكل فيلق بدر العازل الأمني والجهاز الضارب لوزارة الداخلية، ثم توزع كادراً غير مؤهل لإشغال الإدارات المحلية ومجالس الإدارة، وانتشروا على شبكة محافظين في معظم المحافظات الشيعية التسع، وهو ما يفسر سبب استغناء المجلس الإسلامي الأعلى عن التكنوقراط الشيعي المتطور في حقول الإدارة والهندسة والطب والنفط والاقتصاد والتجارة والتعليم. فأطبقت على العراق موجة من ذوي العاهات العلمية، فأحدث وجودهم رد فعل في مناطق متمرسة بالتمرد، وقد تكون الاغتيالات المستمرة التي تلاحق المحافظين ومدراء الشرطة في المحافظات الشيعية ناجمة عن رفض البيئة العربية لهؤلاء القادمين من البيئة الإيرانية الذين فرضوا اللغة الفارسية في مشافهاتهم.

إن المناخ مهيأ لحركة عربية لو تم التفاهم بين العرب السنة والعرب الشيعة، وجرت مصالحة مع التيار الصدري القادر الوحيد على إيجاد توازن طائفي، مثلما كانت القبائل السنية في الأنبار وديالى قادرة على طرد خلايا القاعدة من بيئتها.

إن نظرية العمل التي طرحتها في كتابي (العراق الأمريكي) واستفزت شيعة السلطة، إنما تقوم على هذا المبدأ.

واشنطن وطهران في تحالفات السلطة

- واشنطن تبحث عن خصم عقائدي لخصمها العقائدي ـ الوهابي!.
- قومية الإسلامي الإيراني، ولا قومية الإسلامي العراقي.
- التسامح الكردي إزاء الأكراد الموالين لصدام حسين. وحقد الدعوة وشيعة السلطة.

• طهران وواشنطن في تحالفات السلطة.

بمنطوق البيان السياسي الصادر عن مؤتمر المعارضة العراقية الذي انعقد في لندن ما بين 14-15 كانون الأول 2002 أي قبل أربعة شهور من الاحتلال الأميركي للعراق وسقوط نظام صدام حسين، وفي الفقرة الخامسة والعشرين منه، اتفاق المؤتمرين على توجيه الشكر من بين جميع الدول العالمية والإقليمية إلى الولايات المتحدة الأميركية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، لتسهيل مسألة التغيير في العراق.

والبيان السياسي للمؤتمر يقع في أكثر من 2500 كلمة، لم يشر فيه إلى موقع العراق على الخارطة العربية ولا إلى الصفة القومية لأغلبيته العربية، وقد وردت كلمة العربي عرضاً في المادة الخامسة والعشرين هذه ملحقة باسم الجامعة العربية مرة وبالعمق العربي والإسلامي للعراق مرة أخرى واختزلت علاقة العراق بمحيطه العربي على هذا النحو!.

غير أن هذا الإقرار الخطير بالدور الأميركي والإيراني، والإهمال الأخطر للطبيعة الجغرافية والسكانية للعراق وموقعه التاريخي وكون بغداد عاصمة للحضارة العربية والإسلامية، لم يمنع شيعة السلطة من التنكر لإيران وتحميلها وحدها مسؤولية سفك الدماء في العراق، ولم تتأخر هذه السلطة عن تسجيل هذا الاتهام بإعلان مدفوع الثمن، وموزع على عشرين فضائية عربية، يظهر فيه مجموعة من المسلحين الذي يوصفون بالإرهابيين عادة، وهم يتدربون في معسكر وضعوا على بوابته سارية العلم الإيراني.

وتقول المادة الخامسة والعشرون حيث ينتهي بها التقرير السياسي لمؤتمر لندن وبنصها العربي التالي.

في الوقت الذي عبر فيه المجتمعون عن اعتزازهم الكبير بالعمق العربي والإسلامي للعراق، وأعربوا عن احترامهم لسيادة واستقلال دول المنطقة، ووجوب الإقرار بمبادئ حسن الجوار والتعاون الإقليمي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والالتزام بكافة العهود والمواثيق التي أقرها المجتمع

الدولي، وعلى رأسها ميثاق الأمم المتحدة والعهد الدولي لحقوق الإنسان وميثاقي الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي.

أبدوا تقييمهم الخاص للدعم السياسي والعملي الذي تقدمه بعض القوى الإقليمية والدولية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، لتسهيل مسألة التغيير في العراق معتبرين تلك المواقف مقدمات صادقة، ستبنى على أساسها الكثير من مرتكزات العلاقة الدولية، القادمة للعراق، والتي ستقوم على مبادئ التكافؤ وحسن الجوار واحترام المصالح المتبادلة.

يبقى الأمل كبيراً بأن تتاح فرصة حقيقية وصادقة أمام العراقيين لتحقيق ما تقدم من أهداف... ليشهد العالم عوداً جديداً لهذا البلد إلى أسرته العربية والإسلامية والدولية.

يعتبر هذا البيان وكذلك كل الأوراق الخاصة «بالمرحلة الانتقالية» و«مستقبل العراق» والتي احتوت تصورات المجتمعين وتقييماتهم في هذا اللقاء الكبير، واحدة من الوثائق السياسية والإستراتيجية المهمة في تاريخ العراق السياسي، والتي يفترض متابعتها وتحري أبعادها التطبيقية والعملية من قبل الهيئة السياسية المنبثقة عن هذا الاجتماع، بالتعاون والتنسيق مع كل القوى والشخصيات التي تمثلت فيه، داعلين الجميع إلى تحمل مسؤولياتهم بأمانة ونكران ذات في هذا الطرف الحساس، والدقيق ضمن رؤى لا تهدف إلا إلى إقامة عراق متحضر جديد، قابل أن يستحضر كل تاريخه الإنساني والعريق.. والله ولي التوفيق.

وعند إطلاعي على البيان، خرجت إلى التلفزيزن (ANN) لأعلن أن المؤتمر يعد لاضطهاد قومي ضد العرب.

• اللاعبان الأميركي-الإيراني.

لا أتردد بعد أربع سنوات تضاف إليها سنة تحضيرية، سبقت تغيير النظام العراقي، عن الإعلان بمسؤولية الباحث، وقسم الشاهد، أنني جمعت خيوطاً

أميركية لنسج سجادة أصفهانية محكمة الصنع، كمدونة لفصول تحالف فوق السياسي، قريباً من معاهدة إيديولوجية، يترك فيها للسياسي أن ينفر بعيداً، وقد لا يجد التجاري فرصة للاقتراب منه.

كأننا نتحدث بالرموز والألغاز، ما يشوش الصورة على القارئ، الذي قد لا يتبين ولا يستوعب أن يجاز الخلاف السياسي، وحتى الخصومة السياسية والتجارية بين طرفين يتحالفان إيديولوجياً.

وما تكون هذه الإيديولوجية التي تربط نظاماً إسلامياً، أولدته ثورة شعبية ضد شيطان أكبر، وعالم غربي يتزعمه هذا الشيطان الذي هو من دين غير الإسلام.

ربما يحصل تحالف إيديولوجي بين دولة مسلمة كالعراق في العهد، السابق ودولة ملحدة كالاتحاد السوفيتي، عندما يتفقان على الخطط الكبرى الاشتراكية، وبإقرار عراقي أن مؤتمرات الحزب قد نبذت نهائياً، ما كان يسمى بالاشتراكية العربية، وآمنت بأن الاشتراكية العلمية بمواصفاتها، الماركسية هي المصادق عليها في الثقافة اليومية، فيما تفتقر إيران الثورة إلى مشتركات مع الجانب الأميركي، لاسيما وأن الملف الذي تتحدث عنه لا يقترب من تقاسم السيادة على الخليج العربي، ولا يتصل بمطالب إيرانية تسمى ديوناً على العراق بعد حرب الثمان سنوات.

وسيكون بعيداً عن التصديق والقبول، خبر هذا التفاهم الذي لم يتوصل إلى خيوطه خبراء دوليون، فمن أين وكيف لكاتب هذه السطور أن يضع يده على تفاهم سري؟ سأختصر عليكم الجهد، ولحظة الانتظار، بالعودة العاجلة إلى مستجدات السياسة الأميركية في أعقاب صدمة الحادي عشر من سبتمبر، وقطع رؤوس ناطحات السحاب وتحويلها إلى رمم على الأرض، مما استدعى إعادة النظر العاجلة في ترتيب العلاقات مع الدول الحليفة والغريمة، فجرى إعادة النظر بمراتب الخصوم، إذ المعروف أن هناك ثلاثة خصوم... تجاري كاليابان، والاتحاد الأوروبي، وسياسي كدول مثل سوريا ودول أمريكا اللاتينية، ثم يأتي الخصم العقائدي المتمثل سابقاً بالاتحاد السوفيتي القائم على الثقافة الماركسية وقوانين الصراع الطبقي، ولم يعد هذا الخصم قائماً بعد زوال الاتحاد

السوفيتي وظهور الخمينية، فصنفت إيران باعتبارها الخصم العقائدي الجديد، وفي أعقاب الهجوم على مركز التجارة العالمية هذا وتشخيص هوية الفاعلين، بدأت الإدارة الأمريكية تستفيق من غيبوبة طويلة، وهي تعلن بدهشة، أن «19» انتحارياً من المهاجمين كانوا من المملكة العربية السعودية، وأن عدد ضحايا هجوم واحد في ثلاث ساعات يرتفع إلى رقم لم تصله خسائر أميركا البشرية أثناء الحرب الباردة مع خصمها العقائدي الماركسي، خلال سبعين عاماً قياساً لخسائر الهجوم الذي نفذه من وصفوا بالإسلاميين المتشددين.

وبلغة أميركية فإن هؤلاء كانوا (وهابيين) وهم يستخدمون وسائل لم تتوصل إليها الخمينية في ذروة صدامها مع السياسة الأميركية، ومن هذه الساعة كان لا بد للإدارة الأميركية من تسريب رسائل غزل إلى إيران لتنزيل درجة إيران من خصم عقائدي إلى خصم سياسي، ورفع درجة الخصومة مع السنة العرب لكون المتشددين منهم، وهم الخصم العقائدي. وفي الوصول إلى هذا الهدف، ومن المصادفات التي يسرت حركة المراجعة، ومناقلة الخصوم، والانفتاح على إيران، وجود معارضين عراقيين حلفاء لأميركا وأصدقاء لإيران، وفي المقدمة منهم كان الدكتور أحمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي، ولا استبعد أن يكون السيد جلال الطالباني ممن مارس دوراً ما في هذا الاتجاه، لإقناع إيران بإرسال ممثلي الحركة الإسلامية إلى اجتماعات في واشنطن، وكانت طلائع العمائم السوداء قد ظهرت في البيت الأبيض، عندما توجه وفد يتكون من حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد بحر العلوم والزعيم الكردي مسعود البارزاني ومرافقه هوشيار زيباري، وممثل العرب السنة في الاجتماع اللواء عارف عبد الرزاق، قبل أن يتم التفاهم نهائياً بين واشنطن وطهران على تسمية المجلس الإسلامي الأعلى بزعامة السيد محمد باقر الحكيم ممثلاً شرعياً للشيعة في تلك الاجتماعات، فزار السيد عبد العزيز الحكيم واشنطن لأول مرة واجتمع بكبار المسؤولين هناك قبل أن يترك تمثيل المجلس في المؤتمر الوطني إلى السيد حامد البياتي الذي يفتقر أرشيفي الخاص إلى معلومات وافية عنه.

ربما أثار هذا التحرك حساسيات قائمة مع الغريم الإسلامي المتمثل في حزب الدعوة، فلم يشترك ممثل في أعمال المؤتمر الوطني. وسارع إبراهيم الجعفري، لتشكيل جبهة من ممثل حزب البعث السوري في لندن، وممثل الحزب الشيوعي العراقي، فأصدروا بياناً اعتبروا كل مشارك في أعمال المؤتمر الوطني سواء في لندن أم واشنطن أدوات للمشروع الأميركي لتقسيم العراق، تحت تبرير إسقاط نظام صدام حسين، وتعهد البيان بالعمل على إسقاط المشروع الأميركي وممثليه.

ولم يكن في حسبان قارئ هذا البيان أن يسارع الموقع الأول عليه الدكتور إبراهيم الجعفري، ليكون عضواً في مجلس الحكم الذي يتزعمه الأميركي «بول بريمر»، ثم رئيساً مملوءاً بالزهو، لمجلس الاحتلال. والتحق الموقع الثاني ممثل الحزب الشيوعي بمجلس الحكم، فيما رفض المشاركة في حكومة الاحتلال، الموقع الثالث ممثل حزب البعث.

وبالعودة إلى التطمينات الأميركية لإيران قبيل احتلال العراق، أعلن الرئيس الأميركي في خطابه بالأمم المتحدة عن براءة إيران، وتثبيت البدء بالحرب على الجانب العراقي، وتضمن خطاب الرئيس بوش خمس رسائل في الثناء على تجربة إيران.

فهل حدثت هذه التطورات عن طريق المصادفة، أو بالرغبة الفردية لمسؤولي الحركة الإسلامية، أم أنها جاءت حصيلة اتفاق مسبق، ورسمت خطوطه زيارات موفدين سريين من واشنطن إلى طهران، وموفدين إلى واشنطن من طهران؟

وكانت الخطوة الأولى والحاسمة، أن تظهر عمائم محسوبة على تيار الخميني في واشنطن، أما على الحدود الجنوبية من إيران فقد أعطى التفاهم الأميركي الإيراني أول نتائجه في التسهيلات الإيرانية للعمليات العسكرية الأميركية وإخراج طالبان وإسقاط حكومتها في كابل، وسيكون الدور أكثر وضوحاً في العراق، وستجد إيران نفسها في وضع مريح، وقد تخلصت من خصمين في وقت واحد، بل ربحت أيضاً أرضاً مباحة لعمل أتباعها في البلدين.

أما الإدارة الأميركية فحسبها أنها اختارت من يصلح وحده خصماً عقائدياً ليس ضدها كما كان حالها مع الخمينية، وإنما يتوجه الخصم العقائدي لخصمها العقائدي التنظيم الوهابي الذي قطع رؤوس معماريات مان هاتن.

كان ذلك تحالفاً إيديولوجياً لمواجهة خصم عقائدي مشترك!

أما مكان الخصومة فقد تصور البعض، أنها ستكون مابين الرياض وطهران، وهذا خطأ بالغ الاستنتاج، لأن الرياض تاريخياً ليست عاصمة سهلة الاستدراج، كما أنها ليست طرفاً فيما يحدث حولها.

وكان متوقعاً أن يكون العراق هو ميدان الصراع العقائدي بين الخصم الشيعي الإيراني وما يسمى بالخصم الوهابي، لاسيما والعراق تاريخياً ميدان طالما استقبل وتقبل أنماطاً من حروب الطوائف، في ذلك الوقت بعثت برسالة واحدة إلى القيادتين السعودية والإيرانية، ألوح فيها باحتمال أن تكون بعض الاتجاهات في السياسة الأميركية تحوم حول هذا الميدان واحتمال انجرار البلدين إلى صراع في العراق.

إن أحداث العراق في السنوات الخمس الماضية، هي حصيلة ذلك الحلف الذي لم يدون ولم يعلن، وإنما تشكل من رؤية أميركية، وجد الإيرانيون فيها ما يحقق مصالح تاريخية وعقائدية لبلادهم.

ومن هنا نجد الخلاف السياسي قائماً بين الولايات المتحدة وإيران والاتفاق الإيديولوجي واحداً في مواجهة الخصم العقائدي المشترك.... القاعدة... والوهابيين معها.

وفي تشابك الصراع يمكن أن تحظر قنوات سرية لإيران مع خصمها العقائدي لإضعاف خصمها السياسي، وهو ما يفسر الأخبار المتواترة عن دعم إيراني للقاعدة. إن مثل هذا الدعم سيحدث لإضعاف الخصم السياسي ما دام هذا الخصم متمكناً من ضرب القاعدة وتحجيم سنة العراق وتهميش أدوارهم وإقصائهم عن القرار، مما يرضي النزوع الإيراني التاريخي.

وللخروج من هذا الاشتباك يمكن كتابة سطور صالحة للتداول السياسي.

إن كلاً من الإدارة الأميركية والإدارة الإيرانية قد وجدت في الفريق الآخر أمكانية ضرب خصمه، وقد أصبح الخصم مشتركاً للطرفين كطالبان وصدام حسين والقاعدة. وما دامت إيران عاجزة عن القضاء على عدو تاريخي كصدام حسين، فلماذا لا تسهل لأمريكا القادرة عليه حركة الوصول إلى أهدافها العراقية، والأمر يمكن أن يكون ذاته مع طالبان؟

وعلى المراقبين أن يسجلوا للعمامة الإيرانية، قدرتها على التحرك والدوران وتوزيع الأدوار، والتحالفات الشاملة، واستخدام مبدأ تعدد المحاور في نشاطها الخارجي، وعلى ضوء هذا المبدأ، يمكن لإيران أن تتفاهم مع الولايات المتحدة على برنامج محدد، ومع القاعدة على أهداف محددة.

● قومية الإسلامي الإيراني ولا قومية الإسلامي العراقي.

التفاوت شاسع بين الموقفين الكردي المتسالم المتسامح المتصالح مع ذاته القومية وبيئته الاجتماعية، والمسؤول في شيعة السلطة الذي ينبش بأصبعه تراب التجارب تنقيباً عن ممسك العنق، فيجهز على خصمه السياسي، وأحياناً يكون الإجهاز على الذات الشيعية، ويبدأ الانتقام بالشيعي البعثي مثلاً، والشيعي من خارج الحيازة الحزبية.

هكذا الصورة التلفزيونية في المشهد البرلماني وفي التصريح الصحفي، بين متشنج يكز على أسنانه ويرفع زاوية فمه (حركة جديدة للتعبير عن روح الانتقام، حتى والمتحدث نائب في البرلمان العراقي) وبين شخصية كردية متسامحة تنسل في لحظات مواجهة الآخر من الصراع مثل قطرة نازلة من (حِب) ماء.

أن شيعة السلطة لا يختلفون عن سنة السلطة في زمن صدام حسين، برفعهم شعار (الموت نظرية عمل)، فأوشك سنة العراق، أن يدفعوا ثمن هذه النظرية المتوحشة والنازية، فهل يراد لشيعة العراق لاحقاً أن يدفعوا أثماناً مماثلة عقاباً لهم على استخدام شيعة السلطة هذه النظرية؟ ربما تجاوز هؤلاء أولئك.

والجواب ما زال متعثراً عن سر هذا الفرق بين أكراد السلطة وشيعة السلطة.

واضح أن الكردي ينتمي إلى حركة وعي قومي ناهض، وأن الرجل في شيعة السلطة قد خرج تواً من صراعه الدامي مع نظام قومي عربي لم يخضع لمنظومة قيم، لا جاهلية، ولا إسلامية، وحكم باسم الأمة العربية وهو يدفع موجة تلو الموجة من السلالات العربية الأصيلة إلى مصاعد الموت، والأمة والعروبة تدفعان اليوم تبعات ارتكاباته.

لكن النظام القومي لم يعد قائماً.

فهل نلغي عروبة شعب، وتاريخ أمة، وجغرافية وطن، لأن نظاماً حكم باسمها، ومر عليها في مرحلة معقدة؟

أذن لماذا لم يلغ الخميني بعد ثورته الإسلامية فارسية الشعب الإيراني، فيتجاهل مثلاً تاريخه القومي، وإنجازاته الحضارية، ويحكم على كل إيراني من أتباع الشاه القومي بالعزل والاغتيال والحرمان من الحقوق المدنية، فيعاقب أمة لأن نظاماً قومياً جار على الناس وقتل من قتل، وتحالف مع خصوم المسلمين، واستهدف مصالحهم بجماجم العلماء، لماذا بقيت إيران فارسية شديدة التمسك بشروطها القومية، فيقرر الخميني شرطاً أساسياً في الدستور الجمهوري يقيد شرط انتخاب رئيس الدولة بالقيد القومي، وانحداره من سلالة فارسية، ليحفظ للأمة موقعها القيادي ويعطي درساً لأتباعه بأن الثورة على نظام قومي ظالم لا تنسحب على البيئة القومية وشروطها؟.

ومع أن الخميني كان من اللغويين العرب والشعراء العرب المبرزين فلم يتحدث مرة مع زائر عربي باللغة العربية احتراماً لهوية شعبه ولغته الأم والجواب هو الفرق بين شيعة السلطة وشيعة الإمام.

احتفظت الثورة الإسلامية في إيران بالطابع القومي لبلاد فارس، والمثقف الإسلامي هناك، هو في ذات الوقت مثقف قومي، ولم تتعرض الثورة لشخصية الأمة الفارسية، في تاريخها الطويل، وفي جغرافيا مرسومة وطريقة

الحياة لتذوق الحياة، وأتحدت في ثنائية نموذجية مصالح المذهب بمصالح الأمة التي كان التشيع عنوان وحدتها القومية، وبالتشيع أقام الإيرانيون إمبراطوريتهم الكبرى، والإيراني ليس له أمة خارج إيران! وهو فرق أنثربولوجي وسياسي كبير، في مقاربته بواقع الشيعي العراقي، الذي يمتلك أمة كبيرة خارج بلاده، تنتشر على أكثر من عشرين دولة.

ولهذا فقد لا يعطى الشيعي الإيراني أهمية لما وراء حدوده، وهو بالقدر المتعصب والمتشدد، مذهبياً يبني وحدة وطنية في الداخل، والفضل للتشيع، موحد الانقسام القومي، في بلاد فارس الموزعة على خمس قوميات أساسية تجتمع بقوة كلما كان الخطاب الشيعي طائفياً بقوة.

أما الأتباع العراقيون للثورة الإسلامية، فلم يصوغوا لهم موقفاً وطنياً مستقلاً، على ضوء هذه الفروق المصيرية. والمفروض الوطني في هذه الحالة، يملي على حركة سياسية تعيش في العراق، أن تتصرف باعتبارها وحدة في نسيج الامة، وأن تبني خطابها السياسي على ضوء شروط المواطنة العراقية، وكونها في أغلبيتها الكبرى عربية الجغرافيا والتاريخ وهي امتداد لأمة ضاربة تعيش خارج حدودها الوطنية.

يعني هذا بأن وطنية الأغلبية العراقية ذات طابع عربي شئنا أم أبينا. وكما احترمت الثورة الإسلامية في إيران طابع الأغلبية الفارسية، وصاغت على ضوء ذلك قوانينها المحلية، وخطابها الإسلامي كان المفترض بإسلاميي العراق الشيعة أن يسيروا على هذه الشروط، لكن إحساساً يتجاوز النفرة القومية إلى شيء من الإصرار على إقصاء الأغلبية العراقية عن طابعها الإنساني وامتداداتها التاريخية والجغرافية. فأعطت شيعة السلطة للرأي العام المحلي والعربي، صورة عن شيعة العراق، أقرب لخطاب كانت أطراف في سُنَّة السلطة العراقية تروج له في سعيها للتقليل من الأهمية النوعية لشيعة العراق، لتبرير استئثار سنة السلطة بامتيازاتهم وتهميش أغلبية عربية عن دور في بناء دولة مشتركة.

في هذا الجانب، يحتكم الكردي إلى الوشيجة القومية، وهو ينهض بمحيطه

قومياً، أما شيعة السلطة فهم أيضاً في مرحلة نهوض، بعد قرون من الحرمان، وعقود من التهميش والعزل وإضعاف مركزهم الاجتماعي، وتعجيم أصولهم، وهم القادمون في جيش عمر عند تمصير البصرة والكوفة.

لكنه إلى ذلك كله نهوض من نوع آخر... مسوراً بأسوار الطائفة.. بمعنى أنه نهوض فئوي، وبمفهوم كهذا، وإذا استسلمنا جدلاً لوجود نهوض فئوي، فإن إجراءات السلطة منذ خمس سنوات، وحتى كتابة هذه السطور في يوم 2008/6/19 تشير إلى أن شيعة السلطة أخفقت في إقامة مجتمع فئوي، يلمون به الشتات الشيعي، وأمامنا على الشاشات الفضائية صور لهجوم شيعي على مدينة العمارة التي تشكل في الأنثربولوجيا وتاريخ الشعوب، أدنى مستوى للحياة البشرية منذ الحكم العثماني، دخولاً إلى الحكم الوطني العراقي، وانتهاءً بحكومة صدام حسين.

إن الوثيقة في هذه اللحظة، والساعة الثانية عشر ظهراً، من يوم الجمعة مستلة وهي تعرض في تلفزيونات العراق، من مشهد إسرائيلي خالص، عندما يداهم الجيش الإسرائيلي دكاكين الفلسطينيين، وتكسر الأقفال، فينفتح المشهد عن أغراض البضاعة على رفوف متعبة، يحمل بعضها نصف دزينة من أكواب الشاي، ونصف دزينة من الصابون، وكيساً من الملح، وثالثاً من السكر، والدخل اليومي لدكان في العمارة في الحي الذي هوجم هذه الساعة هو ما بين 10،000 دينار إلى 15،000 دينار بربح لا يساوي راتب مستخدم في تربية الحلة.

المشهد مستمر، وقد توقفت عن الكتابة في تسلسلها المنهجي تاركاً للصورة التلفزيونية، أن تلطم شيعة السلطة بشسع الجواهري الذي طالما استخدمه في شعره عشرات المرات.

● يترك العامرية إلى العمارة...!!

إن شيعة السلطة الذين يرفعون شعار فرض القانون و مطاردة الخارجين عن القانون، يجهزون حملة «لفتح العمارة» وبين المستوطنة الخضراء التي

يقيمون فيها وحي الدورة (عبرة شط) وضابط في وزارة الداخلية يتحدث عن أنجاز أمني بوصوله إلى حي الميكانيك مع قواته التي توقفت ولم تستطع الاستمرار لأن بضعة أفراد من القاعدة تحول دون (فتح) حي الميكانيك. لكن هذه القوات تسترجل على بؤساء العمارة.

إن شيعة السلطة هربوا مذعورين أمام مسلحين في حي العامرية، لولا أن أهل الحي ينتفضون لفرض السلام في هذا الحي، والذي لم تدخله مغاوير شيعة السلطة قبل ظهور قوات الصحوة.

أن قوات الصحوة هي التي نظفت جزء من حي الميكانيك من القاعدة، ولم تستطع مغاوير الحكومة من دخوله، لكن هؤلاء المغاوير يسحقون هذه اللحظة شيعة العمارة، وهم خلاصة الفقر ونموذج البؤس الإنساني المنزوع من أية حقوق لبني البشر ويساقون كأنهم سبايا.

وعلى قارئ المنبر الحسيني أن يكتب تاريخ السبايا وتاريخ زينب، فهي زينب العمارة تستباح علناً وبعلم أميركي ينتمي لدين غير ديننا وأمة غير أمتنا.

وحتى تستكمل صورة البطل، لا بد من سيناريو لصبغ الأدوار، فينشر خبر معنون في جريدة أمريكية عن خلاف المالكي مع واشنطن حول الاتفاقية الأمنية. وخبر آخر، حول تجسس البيت الأبيض على المنطقة الخضراء والمالكي، الذي يعيش بكنفها، وداخل أجهزتها هو ومن معه ومن يزور الشريط الأخضر.

حقيقة الأمر، أن رئيس وزراء سابقاً قد أبلغ الأمريكان بأن جميع محاضر اجتماعاتكم مع المالكي، تسجل وترسل إلى طهران. فحاولت الإدارة الأميركية معالجة الأمر لمنع التجسس لإيران، وليس تجسس البيت الأبيض، على بيت المالكي المحروس بالليزر الأميركي.

شيعة السلطة والحرب على شيعة العراق

- خزانة الفقر الشيعي بين بغداد والأحزاب.
- الأنفال الشيعية على شيعة الصدر.
- شيعة واشنطن تقتل شيعة كربلاء!
- قوات لحزب المالكي على غرار قوات سمير جعجع.

● خزانة الفقر الشيعي بين بغداد.... والأحزاب.

من مجاز القول أنها مدينة لكنها بيئة الثورة بامتياز.. ولا جهد يحتاجه الدعاة الثوريون لتثويرها، وقواعد الثورة وظروفها الموضوعية قائمة، مع ديمومتها في أواخر الأربعينيات إذ توجه المحتجون على عبودية ابن العم شيخ العشيرة المتحكم بالأرض والبشر، فانتشروا على أكثر من جهة ومكان، بعضهم إلى البصرة، وقليل منهم إلى مراكز الفرات الأوسط، ومعظمهم إلى ضواحي بغداد، فسكنوا بين البيوت وحرموا من مساكنة الأنهار، وقد نقلوا إلى مكان خصصه الزعيم عبد الكريم قاسم بعد ثورة تموز 1958، ثم بدأوا يعرضون قوتهم العضلية في سوق العمل البغدادي، وأخذ جهاز الشرطة قسماً منهم، وذهب الآخرون يسعون في مناكبها طوابير مع صلاة الفجر عند مساطر ساحة الـ55(•).

والغريب أن هذه الكتلة الشيعية الكبرى لم تتوجه إلى مراكز التشيع في النجف وكربلاء والكاظمية، والسر أن هجرتهم لطلب العيش، وأن تلك المدن محجوزة سلفاً لنمط من المهن وصنف من التجار والمتاجرين والعاملين في تجارة الموت، تغسيلاً وتكفيناً وبناة قبور وقراء أدعية، وتلك مهمة لم يألفها الفلاحون وأبناء القبائل العربية المنحدرون من أعالي الحياة.

إن فقراء التشيع ليسوا إلا طرفاً مهملاً في نظام المكاسب المصادق عليه في مدن الأضرحة وتجاراتها الموسمية واليومية بل بالعكس، هؤلاء الفقراء هم مصدر ثراء السدنة وسادة الخدمة في المقامات الدينية. لكنهم في أعوام الرمادة وسنوات القحط وشقاء الهجرة ظلوا بعيدين عن حصة تأتيهم مما يستقطع منهم على مدار العقود.

غير أن مجانية التعليم وديمقراطيته التي فرضت نفسها على الجهاز التربوي، منذ منتصف الخمسينيات، كانت العامل الحاسم في إحداث تغيير في مستوى الوعي والمعيشة إذ لم يعد ابن الشرطي شرطياً وابن فراش المدرسة

(•) هي مقاهي كبيرة يتواجد فيها عمال وبناؤون ينتظرون أدوارهم لطالبي العمل في بغداد.

حيث مدارس بغداد بالإجماع تحفل بالرجال المهاجرين فراشاً.

ربما صار ابن الفراش مدرساً في ذات المدرسة التي يعمل فيها الأب، وابن بواب الطبيب طبيباً، وابن العريف ضابطاً، وابن الكناس مهندساً، فاستقر الاثنان في ذات المكان وكل منهما يفخر بالآخر، البواب بابنه المهندس والمهندس بأبيه البواب. أما من صار اسماً في لائحة الكتاب والصحفيين والشعراء والتشكيليين والمغنيين والموسيقيين والروائيين ونجوم الكرة فما زال أحدهم إذا انفردت به شاشة، وراودت مذيعة اللقاء فكرة ظنت أنها ستحرج هذا الروائي والتشكيلي والمغني الكبير، بادرها الضيف قبل تتمة السؤال إلى تسمية مهنة أبيه بما يملأ الحنجرة زهواً فهو المدرس وأبوه الفراش في مدرسة البتاويين.

ولهذا فلم يتبغدد جيلان على الأقل، ولم تتبغدد نبرة الصوت الذي ظل جنوبياً شرقاوياً ونعم مشرق الشمس على سومر إن كان هؤلاء بقية من سومر.

أتذكر طالباً معنا في كلية الآداب قدم من العمارة، فكان ينشر اسم أمه (الزايرة معلاية) بين الطالبات والأساتذة حتى عرف بابن معلاية فخراً بأمه المشارقية.

وظل الفقر المشترك الثقافي والوعي الناهض والطبيعة العفوية لأجيال من المبدعين، لاسيما المغنيين النازلين إلى بغداد من أكواخ الهجرة الريفية التي سميت مدينة الثورة، ثم أخذت عدداً من الأسماء قبل أن تستقر مدينة للصدر، كما ظلت مستودعاً بشرياً للعمالة قليلة الكلفة، ثم أصبحت في الوقت نفسه مستودعاً بشرياً تتسلل إليه الأحزاب السرية، لتشكّل منه وبه قاعدتها الجماهيرية بلا مبشرين.

وكان حزب الدعوة قد ساءه أن يستقل الحزب الشيوعي العراقي بأفواه الجياع وعقول المثقفين، فبدأ بنشر دعاته في مشروع لتحويل هؤلاء الفقراء من صفوفهم الطبقية، إلى تراتبية اجتماعية تفضل الانتماء إلى المذهب على

انتمائها الطبقي، فأخفق حزب الدعوة الذي يفتقر إلى قواعد جماهيرية وبرامج اجتماعية، حيث نجح الشيوعيون، فكان أي مثقف أو مبدع مشدوداً في قنواته السرية إلى الحزب الشيوعي مصدر الوعي والثقافة.

والسؤال العريض عن سر امتناع هذه الكتل الشيعية عن الاستجابة لحزب شيعي يتشكل لأول مرة بحاضنة شيعية؟

إن الجواب ليس متاهة ولا ضرباً من ضروب التخمين، إذ إن الطبيعة الريفية لمدينة الثورة تمنعها من اعتماد إيديولوجيا طائفية، وهذا ما اكتشفه زعيم الوطنية العراقية الأستاذ كامل الجادرجي حين كتب في أوراقه أن القبائل الشيعية في الفرات الأوسط والجنوب لا تعرف الطائفية وإنما هي تمارس طقوسها المذهبية الموروثة.

وفي سنوات ما بين قيام الثورة الإيرانية، وسقوط صدام حسين نشطت الحركة الإسلامية العراقية، وهي شيعية بالطبع، لهندسة الثورة القادمة وتوصيف عناصر القوة في مشروعها، فإذا هو يعتمد بالدرجة الأولى على تجييش سكان مدينة الثورة في الرصافة والشعلة في الكرخ، وجعلهما كفكي تمساح يطبقان على بغداد، وكان الرهان على مدينة الثورة اكبر، لكونها تحاذي مدينة (الأعظمية) باعتبارها المدينة السنية الأم، وكانت الحركات المعارضة حتى العلمانية تتوقع هذا العامل في التغيير القادم.

لم أكن أتوقع حتى الأيام التي سبقت سقوط النظام أن مدينة الثورة محجوزة سلفاً للتيار الصدري، وأن لا الدعوة ولا المجلس الإسلامي الشيعي له ذلك التأثير عليها.

ولأنها (صدرية) فإن مشروع الإطباق على الأحياء والمدن السنية المجاورة سوف لا ينجح، لكون التيار الصدري احتفظ بالطابع الريفي للتشيع من حيث فشل حزب الدعوة في إيديولوجيته الطائفية.

وبإدراك إلى حد التجانس بين الاتجاهات العفوية للتيار الصدري والاتجاهات العفوية للكتل الريفية الشيعية في مدينتي الثورة والشعلة، حصل

التجانس بين البيئة والتيار وكشفت السنوات الخمس الماضية أن ابن الثورة لم يعد شرطياً مهمشاً، ولا عاملاً في خدمة أثرياء المدن، بل هو قائد ميداني، ونائب في مجلس النواب، ووزير في مجلس الوزراء، وعالم دين فيما كان علماء الدين يعبثون في عقول الناس، ولربما تحركت الحقوق الشرعية في فلك الثورة الداخلي، فتململت أطراف المدن التي كانت تستقبل من هؤلاء الفقراء الباذخين والذين منهم تتشكل أحجام ثروات السدنة.

أظن أن مدينة الصدر وهذا اسمها الآن المطابق لاتجاهاتها الاجتماعية والدينية والفكرية، قد أصبحت مطلوبة لحزب الدعوة، وسيأتي الوقت الذي تصفى فيه الحسابات، فيشفى غليل الحزب الفاقد للقواعد من التيار الصدري وقواعده الثورية.

وكانت الفرصة ذهبية بالفعل، عندما أناط الجيش الأميركي مسؤولية إدارة العراق لحزب الدعوة، أصغر الأحزاب سناً وأصغرها حجماً في تاريخ العراق، لتسيير شؤون بلد عاش تجربة نظام مركزي شديد القسوة على بُناته وعلى الآخرين.

من جانبي، رفضت منذ عام 1980 إسناد أية محاولة انشقاقية في حزب الدعوة وقد ذكرني بذلك الشيخ خير الله البصري عضو البرلمان حالياً عندما زارني في منزلي صيف عام 2007 إذ قال ما نصه.. أنه مع فلان وفلان قد سبق أن زاروني هنا، وكشفوا عن نيتهم بتشكيل كوادر حزب الدعوة قبل أكثر من عشرين عاماً، لكنهم فوجئوا بموقفي الرافض لأي انشقاق، وقد أبلغتهم والكلام ما زال للشيخ البصري أن أي حزب سيستمر في عمله ولو احتفظ بعشرة بالمئة وخرج التسعون إلى الانشقاق.

وأضاف البصري أنهم كانوا يتوقعون على ضوء موقف حزب الدعوة من شخصي المتواضع أن أشجع على أي انشقاق، نكاية بقيادته الموسومة دائماً بالعزلة وروح العداء للمحيط.

فهل كان وبالعودة إلى صدام حسين وقنواته السرية وأجهزته الضاربة قد

توصلت إلى استشرافات مستقبلية ستكون مدينة الثورة بيئتها المفضلة؟

لقد أعتمد النظام السابق في حل إشكال هذه المخيمات على أسلوب سهل، يقضي بالعمل في مشروع تبعيث مجتمعها الذي انخرط في المدارس والمؤسسات الحكومية، وأصبحت له مصالح معاشية واجتماعية مع الدولة.

ولأنها شاسعة ولأنها خزان بشري، فإن تبعيث ربع مليون حزبي ليس بالأمر المستعصي، وقد يكون رقماً يرضي نزوع المنظمة الحزبية، لكنه لا يشكل رقماً يهدد الحجوم السرية للعمل القائم آنذاك في وعاء التيار الصدري الذي اعتبرته السلطة في أيامه الأولى مجرد تعبيرات لطقوس مذهبية لا تحمل مشروعاً سياسياً، فتساهلت أو لعلها لم تكترث لدور قادم سينهض به التيار الصدري في حاضنته.

● الأنفال الشيعية على شيعة الصدر

ما أن انتهت محكمة الجنايات الكبرى من النظر في مجزرة الأنفال التي ذهبت ضحيتها رقم من الأكراد لم يتفق على عدد أصفاره، وإذا بحركة عسكرية مشابهة انتهت قيادة الجيش الأمريكي من إعدادها وتوزيع الأدوار على الأجهزة العسكرية العراقية والأميركية على تنفيذها، وهي تشبه إلى حد مجزرة الأنفال الكردية.

فمن جهة كانت مدينة حلبجة تعيش بين فقر الوظيفة الإنسانية للدولة، وضغط المناخ وأصوات صواريخ الحرب العراقية – الإيرانية عندما ضربت بالسلاح الكيماوي.

أما مدينة الصدر فهي الأخرى بين ضعف الأداء لدولة لم تكتشف بعد معالم وظيفتها إزاء الرعية، وقسوة الحياة المعيشية، حيث خط الفقر في مناسيبه الدنيا، والهجوم غير الكيماوي في أنفال الشيعة حصد ألفي ضحية عشوائية خلال الأسبوعين الأوليين.

وفي كلتا الحالتين، كانت التسمية واحدة، فالهدف للعمليات العسكرية للأنفال الكردية والأنفال الشيعية أن الضحايا خارجون عن القانون.

في الأنفال الكردية تبنت الولايات المتحدة الأميركية خطاب حليفها في بغداد حين أعلن البيت الأبيض أن حلبجة وقعت ضحية قصف كيماوي إيراني.

أتذكر في كتابي (أسوار الطين) حديثاً لنفس الناطق الرسمي الأميركية أيام الرئيس رونالدريغن وهو يجيب على أسئلة الصحفيين بعد احتلال الكويت واصطدام الإرادتين الأميركية والعراقية، عن سبب تبني البيت الأبيض لتلك المجزرة الرهيبة، فيقول المصدر ذاته.. نعم لأن الوغد كان وغدنا ويقصد به الرئيس العراقي صدام حسين.

ونسأل بعد عشرين عاماً على مجزرة حلبجة عن الوغد الذي يهاجم المغاوير والسمتيات بيوت الطين التي تخلو حماماتها من الأبواب والسقوف فتدخل الصواريخ الموجهة بلا حاجب وإن كان من الأطمار.

والمالكي بعد شظف الجاه والحرمان هو مالك السيف، وإن كان بالاستئجار المؤقت.

إن هذه السلطة.. السلطة المؤقتة تنتهي بانتهاء عقدها المؤقت... وللحكومات في العراق سقوف ولرجالها آجال، ليست هي آجال الله وبعد أيامهم تأتي أيام الناس، حيث ستنعقد محكمة الجنايات الكبرى لتنظر في مسؤولية مسؤول حزب الدعوة الشيعي وزميله مستشار الأمن القومي عن ذبح ألفي شيعي خلال أسبوعين فقط، ما بين أواخر نيسان وأوائل مايو من عام 2008، وهذا التاريخ سيوفر للمدعي العام في محكمة الجنايات مشقة البحث في رزنامة الموت العراقي.

عجيب أمر هذه السلطة وزعيم حلبجة اليوم هو رئيس العراق، يعلن بأن حملة استئصال الخارجين على القانون من سكنة أقدم بيت يسكنه الإنسان، تماماً مثل بيوت حلبجة، قد تكللت بأكاليل الغار.

وعجيب أن نتساءل... هل كان ابن حلبجة خارجاً على القانون يوم رش عليه علي حسن المجيد صواريخ الخردل والسيانيد؟ إذا كان أهل حلبجة يستحقون هذه الإبادة، فسيستحقها بنفس القدر مواطنو البيوت السومرية في

فمنذ حلبجة، والخطاب الرسمي أن هذه المدينة المحرومة من شروط التمدن كشقيقتها العربية مدينة الصدر، تعمل بأوامر إيرانية أي أنها طابور خامس.

وإذا كان رشاش الخردل قد نشر الموت عليها بأمر قائد القوات المسلحة آنذاك، وهو عدو حقيقي لإيران، فإن رشاشات الموت الأميركية كانت تنزف، والقائد العام للقوات المسلحة إيراني المعاش!

وأشهد لله أن الرجل كان يعتاش في دمشق على الرواتب الشحيحة التي خصصتها الحكومة الإيرانية لمسؤولي الحركة الإسلامية، وفق لوائح مودعة لدى محاسب السفارة بدمشق.

وإذا كانت التبعية لإيران تهمة يستحق صاحبها قتله بالخردل، وقصفه بالسمتيات الأميركية- فأول من يجب أن يرش عليه غاز الموت لتعامله مع إيران هم رجال السلطة، ممن نصبتهم القوات الإيرانية، أثناء عملنا في المعارضة، زعماء وقادة قبل أن تنصبهم القوات الأميركية وزراء ورؤساء حكومة بشهادة جواز السفر ودفتر الجنسية، وممارسات على مدى ربع قرن كانت فيها طهران الممول والمغذي والموجه لنشاطاتهم والنتيجة أن حامل الجنسية الإيرانية يقتل حامل الجنسية العربية في مدينة الصدر.

وشيعة السلطة تفتك بشيعة العراق. والفضل لمن اكتشف هذه المعادلات ليبرئ شيعة العراق من آثام هذه السلطة، فلا يصبح فقراء الثورة والشعلة وأبناء القبائل في الفرات الأوسط مسؤولين، عن هوية سلطة يتشارك الوزراء فيها بنهب الخزينة، وتفتيت الجغرافيا، وضرب فقراء الشيعة، بما ضرب به النظام السابق فقراء الأكراد في حلبجة.

ولمكافأة فقراء التشيُّع العراقي بعد معاناة القرون، خصص المكلف برئاسة الوزراء ثلاثة ملاعب لكرة القدم كمعسكرات لإيوائهم تمهيداً للهجوم الأميركي على التيار الصدري الذي انتخبه رئيساً للوزراء عن قائمة الائتلاف، بدلاً عن

الدكتور عادل عبد المهدي مرشح المجلس الإسلامي.

وبمنطق الاحتلال، ولأن كل احتلال عسكري في التاريخ لا بد أن يستلهم جانباً من النظرية النازية في التعامل مع الشعوب، فقد استمد القائد العسكري الأميركي في العراق فكرة تحويل ملاعب كرة القدم إلى معسكرات اعتقال أسوة بمقتضيات التاريخ النازي.

إلا أن مشكلة ستواجه هذا الحل أن بغداد ليس فيها ثلاثة ملاعب لكرة القدم بعد تسعين عاماً على تأسيسها الحديث، فهل ستحشر قواطع مدينة الثورة في ملعب الكشافة أم في الملاعب الشعبية غير المسورة؟

إن معسكرات الاعتقال في ملاعب الكرة جريمة جديدة سيضمها المدعي العام العراقي في محكمة الجنايات إلى لائحة الاتهام!.

وفوق هذا فما زال ثمة دوافع كبرى تحرك عمليات إبادة فقراء الشيعة منها مثلاً: أن التيار الصدري كان المسيطر وسيبقى كذلك على الشارع الشيعي، فيما يفتقر حزب المالكي إلى قواعد شعبية، وإسناد واسع، وإذا كان المجلس الإسلامي الشيعي قد تمكن خلال ثلاثين عاماً الماضية من تأسيس هيكل سياسي ونفوذ مماثل، وإذا كان التيار الصدري يفتقر لمثل هذا النفوذ السياسي مكتفياً بامتلاك الشارع الشيعي، فإن حزب الدعوة يفتقر إلى الاثنين معاً، النفوذ السياسي والقاعدة الجماهيرية، ومن هنا يبذل حزب الدعوة جماعة المالكي جهوداً شاقة لإثبات قدرتهم أمام الحاكم الأمريكي للتعويض عن فقر الحزب سياسياً وشعبياً، فهل هنالك قنوات سرية تعمل لهذا الحزب للتقليل من النفوذ السياسي للمجلس، مثلما هو يحاول تقليل النفوذ الشعبي للتيار الصدري؟

كشاهد ومرجع إعلامي على الأقل، فإن معلومات تصبُّ في مكتبي لحظة بلحظة، وقد تحدث أصدقاء في القناة السنية، أن السنة قد نصحوا وسائل الإعلام والمتحدثين المقربين إليهم بإعطاء جواد المالكي، فرصة وتعزيز قوته التفاوضية في مواجهة رجال المجلس الذين كان الشريك السني لا يرغب في تجديد استيزارهم عند تشكيل وزارة المالكي، وبالمقدمة منها بيان جبر وزير

المالية الذي كان المالكي يبشر الشريك السني بأنه معفو من التشكيلة الوزارية الجديدة، لكن ممثلي السنة في التوافق خاصة قد أدركوا مبكراً هذه الخديعة فسحبوا نصيحتهم تلك.

وعن موقف الشريك السني الممثل في جبهة التوافق والكتل السنية الأخرى، فإن تعاطفاً غير قليل يقفز على الناطقين بلسان الجبهة إزاء مواجهة التيار الصدري بالقوة.

إذ يسود الاعتقاد في المحيط السني، أن هذه العمليات ستزيح خصماً مسلحاً وقوياً شارك منذ تفجير معمارية سامراء بإلحاق ضرر في مركز أهل السنة، ولم يكن لا الدعوة ولا للمجلس دور مماثل في تلك الأعمال.

وهنا سأواصل تقديم إسداء النصح المخلص لجبهة التوافق ولسنة العراق، بتخطئة موقفها السياسي وقناعتها هذه، إذ يتحدث تاريخ الصراعات العراقية أن القادر على المواجهة هو وحده القادر على المصالحة، لأنه يتحكم بزناد الصراع، فيما لا يستطيع الطرف المتفرج أو الضعيف حماية تعهده في أية مصالحة مع الآخر، وأن المصالحة عادة تتم بين المتقاتلين ما دام التيار الصدري مقاتلاً.

وينضاف إلى ذلك أن التيار الصدري أصلاً كان خاضعاً لرد فعل عاطفي، وليس لموقف طائفي، وقد يكون ذلك مطلوباً منه بعد تفجير معمارية سامراء التاريخية تلك الحادثة التي هزت الشارع الشيعي وقلبت المعايير.

أما آخر سطور هذه النصيحة البيضاء أن على السنة أن يضعوا أمامهم وبخط عريض قانون الحركة الأميركية، وهو يقوم على أن السنة هم خصم عقائدي، وأن الحرب الأميركية تستهدفهم بالذات منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مما يجعل تحالف الأمريكان مع السنة تكتيكاً مطلوباً لإرضاء الدول العربية السنية ولتسهيل مرور القاطرة الأميركية في المدن العراقية.

وفي حالة ضرب التيار الصدري ستحقق مشيئة الحرب الأميركية على السنة والتي انتهت بظهور شيعة السلطة، وقد خلا الشارع الشيعي من

معارض للاحتلال الأميركي، مما سيسهل الانفراد بسنة العراق، وكان المفروض وهو الأمر الذي ناقشته مع كبار قادة التوافق محايدة التيار الصدري وعدم التفريط به لأنه سيلتقي مع السياسة الوطنية العامة السنية، وهذا ما عبر عنه السيد مقتدى الصدر في لقائه المتلفز مع الجزيرة عندما قال إنني شيعي العقيدة لكني في السياسة سني. ولعله أشجع تصريح يصدر عن سياسي عراقي.

لذلك يسود اعتقاد أن المعارك التي ينفذها حزب المالكي ضد الشيعة تنتهي بإضعاف الرؤية السنية لقوانين الصراع وتجردهم من قوة استشراف المستقبل.

أن حليف سنة العراق هم شيعة العراق لا شيعة السلطة.

وفي تقييم الاتفاق المعلن بين حزب المالكي والتيار الصدري سنقطع سهول التاريخ في طريقنا إلى يثرب ونحن نصغي لمن لم ينطق عن الهوى، وهو يقول إنها هدنة على دخن. ويعني (ص) أن دخان المعارك يختلط بحبر المعاهدة، وستظهر لاحقاً نتائج ذلك عندما يعزز الجيش الأميركي من قواته، وقد أفرغ المالكي بعض قواطع الثورة في ملاعب الاعتقال النازي التي يعد لها حالياً، وكان على التيار الصدري أن يشم رائحة الدخن تفوح بين سطور الاتفاق.

وفي ختام دراما المقاربة، فالولايات المتحدة الأميركية هي الوغد الأول لعمليات الأنفال الكردية، والأنفال العربية، مع سلطة النيابة القائمة حالياً، واللاهثة المستميتة لأداء ما تنص عليه أعراف العمل في حكومات تشكلها إدارة الاحتلال لتسيير الأمور بأشخاص محليين.

● شيعة واشنطن تقتل شيعة كربلاء.

بكاء الأتباع الحسينيين، يوصل القرون بالقرون، ونشيج الصدور في مخيمات الصدر الموجعة على الضحايا من حناجر مبحوحة أتعبها البكاء الحسيني وأرهقتها الدولة بالجوع والعطش، في أجواف الصدر ضحايا وبكاء

وعطش، كأن فاجعة الحسين تتجدد في اليوم أكثر من مرة.

هكذا الصورة الحية الناطقة الملونة على شاشات لم تنحن لإغراءات الإعلان والساعة الخامسة من مساء الجمعة 2008/5/16 والبرنامج الموسوم (ما لا يقال) على الفضائية البغدادية.

ستجد من الصعوبة فرز الألوان، فالأمهات هنا فواطم، والأخوات زينب، والضحايا حسينيون والحاكم الآمر بإصدار قرار القتل، هو ليس يزيد بن معاوية ولا عبيد الله بن زياد، ولا صدام حسين ولا فرصة لمزور تاريخ أن يروي الزور عن أحدهم، والمكلف بتنفيذ الموت بالإتباع الحسينيين شخص ما من أهل طويريج يسانده نجفيون وكربلائيون، وقليل من الكاظميين وهم متعهدون سابقون للمجالس الحسينية ومشاركون حاليون في المجالس من باب الديكور.

شيعة السلطة تقتل شيعة الحسين، وترمل نساءهم وتسوق أطفالهم سبايا إلى حيث لا جواب عن مكان الأسر. فمن وجد قبراً لمفقود عاد ليبشر المفجوعين وكأنه يحمل صيداً في رحلة.

أتباع أهل البيت لم يعودوا يبحثون في العراق عن بيوت مسقوفة، ولا أصبح ماء الشرب في الشعلة والصدر من ضرورات الحياة، فقد أعتاد المفجوعون أن يسقوا أنفسهم من السواقي، وما دامت الأطمار تستر العورات فقد أغناهم الله عن طلب القماش من (المحسنين).

هذه الصورة تنقلها أيضاً فضائية الفيحاء وهي تتجول في أزقة العوز والأسواق تحت أسراب الذباب، الصورة التلفزيونية تفضحهم، وإن العدسات وحدها التي لا تتواطأ، وحملة الكاميرات من المصورين الفقراء يعرفون زوايا البؤس وهم جزء منها.

يحدث هذا في أحياء خاصة لأتباع أهل البيت في الوقت الذي يعلن وزير النفط الشيعي حسين الشهرستاني، أن عائدات العراق النفطية في ثمانية شهور متبقية من العام 2008 ستصل 100 مليار دولار، لكنه ربما عوتب

على إعطاء رقم حقيقي، فنزل إلى سبعين مليار دولار في الوقت الذي ارتفع سعر برميل النفط إلى 140 دولاراً عند ساعة إعلان هذا التصريح.

لم تخرج مظاهرة من مدينة الصدر، ولا من الشعلة للمطالبة بمياه الشرب ولا بحصة من 70 مليار في 7 شهور، فلماذا هذه الفزعة بالمدافع الثقيلة والصواريخ وصولة الفرسان؟.

لا جواب مجهول، ففي علم الفساد، أن المسروقات الكبرى ونهب الموازنات المالية على مستوى الأرقام النفطية، تحتاج إلى غزوات ينشغل فيها المنهوبون بأرقام الضحايا وتكفين القتلى في الحرب العراقية ـ الإيرانية وفي غزو الكويت وفي الانتفاضة الشعبانية وفي صولة الفرسان على الأحياء المنهوبة.

لا بد من نار يروح وقودها.. منا ومنهم غارب وسنام وإلا فكيف تحجب الأخبار والأنظار عن أعلى العائدات، والصورة التلفزيونية في الأحياء البغدادية قد استعارت لقطة من الصومال وأخرى من دار فور؟

حدث هذا على شاشات التلفزيون في معسكر اللاجئين من «العراق» إلى «السليمانية» ولم يصدق الجالسون حتى كتابة هذه السطور، أن هذا المشهد التقط خارج دارفور ورئيس الجمهورية من السليمانية، وحامل اللقب رئيس الوزراء من طويريج، والحاكمون يستمدون سلطتهم من الناخب الشيعي، وبأصوات هؤلاء الموتى ترتفع موازنات هؤلاء الذين يحكمون بصفتهم من أتباع أهل البيت.

تمتلئ الآذان بحكايات الارتكاب الصدري أو تحت تلك التي تحرر من تحت عباءته، والجناة في أي زمان يبحثون عن مظلات فيتسللون إلى منظمة شعبية واسعة الأرجاء غير خاضعة لقواعد انضباط صارمة. في فترة انهيار الدولة، وضعف سلطتها المركزية وكونها محكومة بالقيد الأميركي.

فإذا كان مبرراً ملاحقة الجناة وهم تحت المظلة الصدرية، فما أحرى وأجدى لو بدأت عمليات المداهمة أولاً على مكاتب مجلس الوزراء والوزراء

ومكتب نائب الرئيس الأول وهي مظلات الدولة العليا للإمساك بعصابات تدير شبكاتها من تلك المواقع العليا، وتحت مظلة عناوينها الرسمية العليا، لتبرئة ذمة حركات سياسية وقيادات إدارية من مسؤولية قانونية وأخلاقية تترتب عليها.. وإن كان أصحاب المظلة لم يكتشفوا بعد أعمال النصب والاحتيال وإدارة عمليات التزوير في أعز ما يملكه العراقيون، داخل بيئة تستوطن فيها مكاتب ومساكن حركات تدير شيعة السلطة، وتتحايل على عقارات شيعة البيئة التي تعيش فيها، حتى يمكن قبول المسوغات الصادرة عن الناطق الرسمي مع ميوعة الكلام، وخواء الصدق. بأن صولة الحجوش الشيعية ضد شيعة الصدر إنما تستهدف الخارجين على القانون من الجناة وليس من رجال المشروع الأشاوس.

• حملة شيعة السلطة على أتباع أهل البيت.

التعبير السائد أن هجوماً يتعرض له أتباع أهل البيت في تلك المنطقة أو هذه، لكن إعلام السلطة لم يعد يتذكر أتباع أهل البيت في (صولة الفرسان) الحالية على مخيم الصدر والشعلة وهما من أضخم الخزانات البشرية للشيعة على أطراف العاصمة مثلما هي صبرا وشاتيلا في لبنان.

فهل أذعن المالكي لفتوى مرجعيته الأمريكية بأن هؤلاء الفقراء من الشيعة هم ليسوا شيعة، وليسوا من أتباع أهل البيت، وهو ما لم يفكر به فقيه أو سياسي أو صحفي لديه القليل من عناصر التشريع.

وأين هي مروءة الانحياز للأتباع.. وكيف تجرأ سلطة على حملة إبادة يقودها فرسان الجيش الأميركي ومغاوير الداخلية، ضد بيئة انحصرت ثقافتها وتبلورت في بلورة التشيع وطقوسه فكانت تمد كخزان بشري المواكب الحسينية بالأمواج البشرية وهم لا يسألون الناس إلحافاً حفاة عراة إلا من عقيدتهم.

ولغير العراقيين من القراء، أن هؤلاء الأتباع الخلص لأهل البيت هم المادة البشرية، بل والدروع البشرية التي دفعت بها شيعة السلطة والحركة الإسلامية

الحاكمة إلى تقاطعات حرجة طالما تنتهي بسقوط ضحايا، مثلما حدث في ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر، حين توجهت جموع مدينة الثورة – الصدر حالياً مخترقة الأعظمية في طريقها على الجسر الواصل إلى الكاظمية، فوقعت الكارثة وتدافع الحشود من فوق الجسر وسقط منها إلى الماء 1200 رجل وامرأة وطفل من فقراء هذه المدينة.

ولم يسأل صحفي أو سياسي عن مسؤولية الحركة الإسلامية أو شيعة السلطة عن هذا التبرع الكريم بأرواح الناس، لكي يتباهى الحزب الحاكم بأن له أنصاراً يتطوعون للموت بهذه الأعداد وبأية مناسبة قادمة.

الأموال التي استمرت فضائية العراقية بجمعها لمدة أسبوعين والتي بلغت أرقاماً قيل أنها تكفي لبناء مدينة سكنية لعوائل الضحايا وأراملهم أو لأبنائهم لم يعرف مصيرها حتى اليوم، لكن الحرب على الصدر والشعلة، مقررة سلفاً وسيكافأ القائمون عليها بترسيخ رؤوسهم في دماء جديدة، على بطاح الشيعة والسنة، لعله دور يحتاج إلى تنظيم مسلح غير حكومي، سينهض في مرحلة ما بعد الأنفال الشيعية.

● **على غرار قوات الدكتور سمير جعجع**

أمريكا تؤسس للمالكي قوات مماثلة.

استناداً إلى معلومات لبنانية، فإن مجموعة لحزب القوات اللبنانية الذي يرأسه الدكتور سمير جعجع، قد نقلت إلى بغداد عن طريق الجيش الأميركي لهيكلة ميليشيا جديدة، وتدريبها لدعم موقف رئيس الوزراء جواد المالكي بعد معارك الجيش الأمريكي والقوات العراقية، ضد جيش المهدي، وأعضاء التيار الصدري، ولسد الفراغ الأمني والعسكري، لدى حزب الدعوة المنقسم على نفسه، والوقوف في وجه القوى المتنامية للملجس الإسلامي الأعلى في المدن الشيعية.

أما السبب الأهم، وغير المعلن عنه، فيتصل بإزالة انطباع أمريكي قديم عن تنسيق بين حزب الدعوة وحزب الله، وهو ما أبلغ به مندوبون أميركيون، مسؤولي المؤتمر الوطني العراقي، والشرط الأميركي لإعلان حزب الدعوة

توقفه عن أي تنسيق أو تعاون مع حزب الله إذا ما سقط نظام صدام حسين مقابل قبوله عضواً في المعارضة العراقية التي كانت تستعد لقيادة العراق بعد التغيير المرتقب، لكن الجعفري، لم يذعن للملاحظات الأميركية أول الأمر.

والذي يبدو أن أفضل تعبير عن سلامة موقف حزب الدعوة، سيكون في المبادرة الشجاعة التي ينهض بها رئيس وزراء شيعي، والمسؤول الأول عن حزب الدعوة، بإقامة علاقات إيجابية مع القوى اللبنانية الواقعة في الطرف الأخر من المعادلة والمشغولة بالبحث عن أصدقاء شيعة لمواجهة الحزب اللبناني الشيعي.

وكانت الإدارة الأميركية، قد أوعزت لحلفائها في بيروت وبغداد بضرورة إجراء لقاءات وإقامة تعاون فعال بينهما.

والقوات اللبنانية التي يقودها الدكتور سمير جعجع ستتشرف على إقامة نظير عراقي للمليشيا المعروفة بقسوتها على معارضيها من المسيحيين والمسلمين، لاسيما الفلسطينيين، ولم تبرح مشاهد مجزرة صبرا وشاتيلا ماثلة أمام العيون، مما أكسب قوات سمير جعجع سمعة طيبة في الأوساط الإسرائيلية والأميركية، واحد قائلهم في المنطقة.

وقد ينسجم هذا التطور مع مقتضى الحال في حزب المالكي المعزول شعبياً، وإنهاضه بتشكيل قوة دعم وإسناد له في المناطق الشيعية.

والواقع إن جواد المالكي هو الشخص المناسب لقيادة ميليشيا الحزب.

والدكتور إبراهيم يرفض وللمرة الثانية أية فكرة لمواجهة ضد حزب الله، أو مواجهة عسكرية للتيار الصدري لما يتمتع به الرجل من اعتداد بالنفس، والتزام أخلاقي وشرعي إزاء ما يؤمن به.

ولكي لا نوصم بطبقية التذوق، ولأن هذه التهمة سائرة.. فليس ما يمنعنا من تذوق العناصر العالية في شخصية الدكتور إبراهيم الجعفري، باعتباره حاملاً شهادة في الطب البشري، ومن المجازين في الافتاء، وكونه فقيهاً...

وبعض هذا يكفي لرد ما طرحه السفير الأمريكي السابق في العراق السيد زلماي خليل زاد حول تبني املاءاته ومشروعاته، وجعل رئيس الوزراء، مجرد موظف ملحق بجهازه الدبلوماسي.

وأظن أن موقف الجعفري هذا، كان وراء الإيعاز الأميركي بعدم التصويت له مرة ثانية كرئيس للوزراء، وترشيخ جواد المالكي بدلاً عنه.

ضعف الحمية... وغربة البيئة

- لماذا لا يستقيل شيعي السلطة؟!.
- فتوى الشربياني... في حفظ حياة الحجاج.
- شيعة السلطة والحركة الوطنية.
- عروق العراق وحرمة «الأقلية».

• لماذا لم يقدم شيعي في السلطة استقالته؟

لا يثير الاستغراب أن مسؤولاً في شيعة السلطة لم يحتج على قرار حملة إبادة جيش المهدي الشيعي. أو يقدم استقالته لتبرئة ذمته من مساءلات شرعية وقانونية عن دوره في هذه الحملة جرياً على أعراف يقدم فيها كبار المسؤولين استقالاتهم عندما تتعرض فئة أو مدينة أو مناطق انتخابهم لإضرار ناجمة عن إجراءات حكومية أو كوارث طبيعية.

السبب هو ذات السبب الذي لم يجعل مسؤولاً في النظام السابق يفعل ذلك.

وهذا الموقف يرتبط بنوعية ومستوى هذا المسؤول، وطريقة اختياره وزيراً أو قيادياً أو قائداً عسكرياً. وقد تعارفت الإجراءات في هذا الشأن على انتقاء مراتب اجتماعية ليست لها حظوظ تعليمية وقد تفتقر إلى القليل والكثير من الخبرة والوجاهة، فيجري استلالها مغمورة تحت الغبار وكسولة وغير ذات فاعلية في وظائف متواضعة لكي تتحول بين عَشّية وضحاها إلى شخصية نافذة بدرجة وزير أو قيادي.

أن مبدأ الطفرة العريضة والقفزة إلى الأعلى بدون تدرج هي الوسيلة التي يتم فيها تعيين المرشح نائباً في البرلمان أو جنرالاً في وزارة الداخلية، وقد يتحول مدير سجن إلى وزير للتعليم العالي والبحث العلمي، وقد ينتقى من لم يلتق بجريدة ناطقاً رسمياً ومسؤولاً عن إعلام (المغاوير).

وسيكون من الطبيعي جداً أن تنحصر مهمة الطافر والقافز إلى الأعلى فوق البشر في الحفاظ على موقعه الطبقي الجديد، وهو يدرك أن خللاً في أدائه اليومي لمهمات يكلف بها قد يعيد الوزير إلى وظيفته السابقة معلماً أو مأمور بدالة أو ممرضاً في مستشفى الحلة.

لقد استعارت الإدارة الأميركية هذه القاعدة الذهبية، وأخذت العمل بها، حيث يصبح العريف لواءاً في المغاوير ويتحول آخر من مستخدم في الحسينية الحيدرية في حي السيدة زينب إلى مدير البروتوكول في مجلس

الوزراء حيث لا تجربة ولا تحصيل علمي فكيف يستقيلون؟.

أنى لهم أن يتركوا المجد النازل عليهم من القارات الشمالية والغربية للعالم.؟

هل يعقل أن يستقيل بائع الخضروات في السويد، وقد أصبح الوكيل الأقدم لوزارة الداخلية احتجاجاً على اجتياح قواتها لأكواخ الفقراء من الشيعة، وقد استخرج لهم المقيم على المخبز من القاموس مصطلح الخارجين على القانون؟.

أم يستقيل متعهد دفن الموتى المقيم في حي ويست آكتن من وكالة الأمن الوطني قبل أن يستكمل حسابه عشرة ملايين دولار بين وزارتي الفساد الأولى والفساد الثانية ليعود إلى لندن صاحب أكبر عقار في منطقة (سري) الخاصة بأثرياء العالم؟

أن شخصاً مثل هذا سيكون مستعداً لدفن شيعة العراق في مقبرة جماعية على أن يعود متعهداً لدفن الموتى.

لقد رفع هؤلاء الذين رفعتهم سلطة الاحتلال إلى المسؤوليات المتقدمة شعار حماية أهل البيت ليمارسوا من على مواقع السلطة مشروعاً لدفن جياع تاريخيين تحت جدران مساكن الطين حيث يقيم أتباع أهل البيت.

• ضعف الحمية على شيعة العراق.

الحزب والحركة سيحتاجان إلى جماهير شعبية، وأفضل السبل استثمار المناسبة الدينية ميداناً فسيحاً للكسب الحزبي، حيث تزدحم الألوف في الصحن العلوي والصحن الحسيني والصحن العباسي والصحن الكاظمي في مناسبات دورية بطريقة الزوار (الكَصادة) وهو مصطلح يعني الزيارة مشياً على القدمين ويفضل أن تكون حافيتين، والأفضل لو صادف ذلك في شهور الصيف اللاهب والشتاء القارص.

وفيها يصفو الكَاصد لهدفه الديني بما يشبه حالة المتصوف، ولعلها فعلاً

حالة صوفية، ونحن (أمي وأنا) نغذ السير من ضاحية الكرادة جنوب بغداد إلى أقصى شمالها الغربي فوق تراب، كأنه رماد التنور، وكنا نطفئ لهيب الشمس، بالنزول إلى السواقي العابرة من دجلة إلى المزارع، فإذا لاحت القباب الذهبية لضريح الإمام موسى الكاظم، انطفأت جذوة الشمس، لتتوقد جذوة الروح الهائمة في الوله الوجداني لصاحب المنارات الذهبية.

إن الجموع تزحف من البصرة والعمارة والناصرية قاصدة منائر النجف الذهبية، وهي مملوكة لحالة التصوف الوجداني، لا يغريها طعام ولا تسأل عن شراب، ولم تكن تعلم أن عدسات مزروعة في الطريق تنقلها من عالم الروح، ونزاهة النفس إلى أبواب الكسب الحزبي، لتكون جماهير الحسين أتباعاً لهذا وذاك، ولحزب لو توزع جميع أتباعه في جميع الإنحاء والطرق، لما شكلوا فريق انضباط لهذه الجموع.

يصبح الحزب الصغير جماهير ملايينية، والملايين الفقيرة تدفع، ولا تأخذ نذوراً للسدنة، الذين هم دائماً، ملاك عقاريون وأثرياء بطرون، فينهض تحالف غير مرئي للكَصادة بين طبقة سادة الخدمة من السدنة والتجار المستفيدين من عوائد الأتباع وبين الحركة السياسية الجديدة التي تغيرت عناوينها اللغوية. فالروزخون وهو المبشر والداعية والمثير للأحزان، يدعى الآن محاضراً ومجلس عزاء الحسين محاضرة، والحاضرون أتباعاً حزبيين من حيث لا يعرفون!

هكذا يتم توظيف الفاجعة فتتحول إلى حلقة حزبية، فيفقد تاريخ المنبر روحه الصوفية.

والحسين تبكيه نخوة العرب في جاهليتهم،والمسلمون على اختلاف ديارهم، سيصبح عند الحزب الصغير محاضرة حزبية.

إن إحداث هذا الانعطاف الخطير سيقطع الصلة لأول مرة في تاريخ الوجد الحسيني، بين الفجيعة والأجيال التي سيمر عليها المستقبل.

حتى هذه اللحظة، والفاجعة لم تهبط بعد إلى القيعان السفلى، بدفع هذه

الحشود وترقيم خط سيرها في منعطفات الخطر، وزجها في إشكالات الاستفزاز وتعريضها إلى الموت عنوة، كأن يمرر الزوار الكصادة، في ظرف الصراع الطائفي – السياسي الدامي، بأحياء كانت ما تزال خاضعة لنفوذ تنظيم القاعدة، وحشرها على جسر فوق دجلة، مما سيؤدي صوت انفجار بسيط إلى التدافع، فتداس حرمة وذمام، وترمي الحشود بنفسها إلى قرارة النهر، خلاصاً من حريق وشظايا، ويموت غرقاً ألف ومئتا كَاصد.

وشيعة السلطة في كمال الزهو، وجمال الروح، تنتقل الأسماء المغمورة منهم على فضائيات الجثث المؤنسات شواطئ الأنهار. وسترتفع حصة الزعيم المغمور وشطره في الحزب المخمس كلما ارتفعت لوائح الضحايا بالأرقام الكبيرة.

وضعف الحمية على أتباع أهل البيت تتحول إلى إباحة أحياء الطين من الصدر والشعلة والعمارة والبصرة.. وقد تأخذ شكل الإهمال القاسي لمتطلبات الحياة البشرية في المدن الشيعية، وتقطع عن غابات النخيل التي تشكل اقتصاد المدن الشيعية، مساعدات حكومية لانتشالها من أمراضها المميتة، وانخفاض انتاجيتها بنسبة تزيد على الخمسين بالمائة.

في هذا السياق مثلاً تهمل بحيرة بحجم الرزازة التي تمول مدينة شيعية بالأسماك الطرية.

● بحيرة كربلاء... من السومريين إلى أهل البيت.

إن شعوباً قد اتخذت من بعض الأشجار والمواقع الجغرافية شعاراً لدولهم يرتقي إلى المقدس الشعبي. ولم تكن تلك الشعارات بمستوى عراقة النخلة ودورها في الحياة الإنسانية للعراقيين عبر القرون.

إن مجاعات حقيقية ناتجة عن الطبيعة، لم يعرفها العراقيون منذ أول دولة شكلت في سومر لعاملين هما النخلة والسمكة، وكلتاهما متوفرة تحت اليد على مدى العام، حيث التمور لا تحتاج إلى مصانع حديثة لتجفيفها وخزنها، وحيث الأسماك لا تحتاج إلى بحيرات صناعية مع وجود الحياة في دجلة

والفرات وروافدهما.

فانتهى في حكم صدام حسين دور النخلة في الأمن الغذائي، وقضي على الأسماك بقنابل الصيد وجففت مصادر السمك في الأهوار.

ولو كانت السلطة التي أقامها الأميركيون متمدنة، ولها جذور مع جذور النخلة، لأقامت محاكم خاصة عن موت البيئة بإعدام سبعة ملايين نخلة على شط العرب، تحت مسوغ أمني مع إعدام ملايين الأسماك بالمتفجرات.

بالنسبة لي على الأقل فمصارع النخيل عنوان الإدانة الكبرى لذلك النظام.

وأنا أملي هذه السطور تعرض قناة الفيحاء (السبت 2008/5/10) تقريراً مصوراً عن بحيرة الرزازة التي كانت تمول مدينة كربلاء والنجف بالأسماك السومرية، وترسل الفائض إلى أسواق المدن العراقية الأخرى. وهي تنتج ما كانت تنتجه دجلة منذ سرجون وهارون وصولاً إلى مماليك جورجيا.

لكنها الآن كما يتحدث الصيادون أمامي وخبراء، منهم الدكتور رافد العيسى والدكتور عبد الجليل، بلغة الأسى أن الرزازة قد فقدت خلال خمس سنوات، نصف مخزونها من المياه، فانحدرت من 44 متراً ارتفاعاً إلى انخفاض 23 متراً. وتصحرت سواحلها بمعدل نزول كيلو مترين، فظهرت بعض المشاريع السياحية وكأنها أطلال نائية وبلغت الملوحة فيها 95%.

أما ما يتصل بمحاكمات البيئة فقد نقل سمّاك بسيط رواية غريبة، قائلاً إن عدي بن صدام حسين حضر إلى هنا مع خبراء في الأسماك، وسأل عن أي نوع من الأسماك يمكن أن تأكل أسماك الرزازة الموروثة من العهود القديمة، كالشبوط والقطان، فقيل له... إنه نوع يسمى الشانك فجاء بالشانك، وغذى البحيرة بالشانك الذي قضى على غيره من الأسماك الأخرى، التي كان ممكناً أن (تنفق) بسبب ملوحة البحيرة وانخفاض منسوبها إلى النصف ويعزى موقف عدي في سياق رد الفعل من مدن الانتفاضة عام 1991، والغرض معاقبتها كما يبدو إذا صدقت رواية المتحدث من الفضائية.

يحدث هذا في كربلاء التي يعدون لها العدة في العام أربع مرات لاستقبال

(11) مليون زائر في كل عام ويكتفي الزوار بأقراص الخبز، وما حملوه من متاع اعتاد عليه الفقراء، ولم يعد زوار الحسين قادرين على الاقتراب مما تعودوا عليه من طعام منذ أربعة آلاف عام.

إن السلطة الحالية غير جديرة بتحمل مسؤولية إدارة بلد كالعراق، بعد فترة طويلة تحكم فيه مُنَظِّرون يعتبرون تجفيف أهوار السمك، والطيور عقاباً سياسياً، ويعتبرون من العقاب المفروض بعد احتجاجات سياسية في مدن ما، أن يؤتى بأسماك تأكل أسماكهم وأن تجفف بحيرات الحياة.

إذا كان هذا فعل خصوم من رجال العهد السابق، فأين هي حمية رجال يرفعون شعار حماية أتباع أهل البيت، وهم يساهمون بتجفيف منابع الحياة التي تعيش مدينة الحسين عليها؟ ويمنع أتباع أهل البيت في كربلاء من شرب ماء البحيرة الذي ارتفعت نسبة التلوث والملح إلى مستوى مياه البحر، كما منع الماء عن شفة الحسين يوم الطف.

نسأل عن علاقة رئيس وزراء منسوب إلى كربلاء بحياة مواطني مدينته؟ ولماذا تنكر لها، وكيف أدار ظهره لأساسيات الحياة فيها... كالماء والطعام، بعد أن أتخم شيعة السلطة بطونهم، وتركت الرزازة تموت سمكاً وسياحة... وصيادين..

● فتوى الشربياني.

باعتباري شيعياً وحفيداً لفقيه الكرادة الشرقية السيد خلف بن السيد عيسى سأستعين بالمراجع الشيعية التي عاشت معه وعاش معها، ومواقفها في حالة تعرض الحاج أو الزائر إلى الخطر.

ونسأل لو أن القيمين على شيعة السلطة يستلهمون الميراث الشرعي الفقهي لشيعة الإمام ولهؤلاء المراجع، فيجيب المؤرخ الموسوعي الشيعي الشيخ الذي تتلمذنا على مكتبه المرحوم علي الخاقاني، في مقدمة افتتح بها السيد محمد علي كمال الدين مؤلفه، عن الثورة العراقية الكبرى الصادر عام 1971 وعلى الصفحة الثالثة بما نصه:

(حرم الشيخ محمد الشربياني على الحجاج العراقيين وغيرهم، سلوك الطريق البري (النجف – حائل) بسبب تكرار الاعتداءات من البدو على الحجاج مالياً ونفسياً، فانقطع الطريق لمدة ثلاث سنين وبعد أن تعهد أمير حائل بن رشيد، وبمعرفة الحكومة العثمانية، بالمحافظة على أرواح الحجاج وأموالهم وافق المجتهد الشربياني وأفتى بإباحة الطريق فأستأنف العمل فيه).

وعندما يتوقف الطريق البري إلى الحج حفاظاً ليس على أرواح المسلمين، وإنما كما في نص الخاقاني على أوضاعهم المالية والنفسية، فإن معنى ذلك توقف الكثرة المطلقة من الحجاج عن أداء فريضة الحج لصعوبة استخدام الطريق البحري الذي يستغرق السفر عليه عدة شهور، هو الفرق بين شيعة السلطة وشيعة الإمام.

وهذه الفتوى موضوعة في سياق الآراء الإصلاحية، ومسؤولية الفقهاء، ليس فقط عن أرواح المسلمين، وإنما عن مصالحهم، ولو كان الأمر متعلقاً بفريضة الحج المشروطة بالقرآن الكريم بالاستطاعة عليها، ولما كان القتل والسلب وإيذاء النفوس، مما يحيط بالحاج، فإن عدم تحقق شرط الاستطاعة سيحصل بالإكراه.

فما هي الفتوى المتماهية مع رأي الشربياني في حالة ما يحدث لزوار الأئمة من أخطار يعد لها انتحاريو القاعدة أنفسهم وسط جموع الزائرين؟

وفي تاريخ اليوم وجموع شيعة الإمام «الكصادة» تتوجه إلى المزار، أعلن عن وقوع ضحايا منهم عند مرورهم في مدينة الإسكندرية التي يبدو أن خلايا القاعدة تركت فيها ولم تتعرض لها صولة الفرسان، وكأنها الاحتياطي الجاهز عند الضرورة، لتفجير انتحاري، يوقد روح الفتنة والانتقام عند الأتباع، فيستفيد شيعة السلطة من هذه الدماء، لزيادة حصصهم في السلطة، وبلغة مباشرة أقرر أنه طراز من التواطؤ الذي تركن إليه فئات تفتقر إلى التمثيل الشعبي، والدليل أن مدينة الإسكندرية تقع في بيئة شيعية كاملة، وهي مختلطة، وفيها صحوة سنية معادية للقاعدة، لكنهم تركوا هذه الصحوة بلا إسناد، وكأنهم يتركون لجيوب القاعدة فرصة لهذا المتوحش لأكل لحوم الزوار.

● من الشربياني إلى الطالباني والبارزاني!.

وإذا لم يوفق القيمون من شيعة السلطة بالاتصال الروحي والشرعي بأحد أبرز مراجع التشيع وفتوى الشيخ الشربياني، فما أسهل الاتصال بالحليف الكردي وزعيميه جلال الطالباني ومسعود البارزاني، عندما تعرضت التجمعات الكردية إلى تسلل انتحاري القاعدة فقرر الزعيمان تجميد الاحتفالات بعيد النوروز، وهو يشبه العيد المقدس إن لم يكن عند بعضهم أعلى مقاماً من الأعياد المقدسة.

إن أكراد السلطة تصرفوا بمسؤولية قومية إزاء أتباعهم، ولم يهبطوا بدمائهم إلى قيعان الموت ثم رفعها إلى مقامات المصالح السياسية ومكاسبها في صراع هابط، فاستجاب أبناء الشعب الكردي للقرار إلى أن تمكنت الأجهزة الأمنية وسياسة السلطة الكردية من أبعاد المخاطر المحتملة.

إن موقف السلطة الكردية في الحرص على رعاياها شبيه بموقف السلطة الدينية في النجف أيام زمان.

وسيبقى باب الفروق مفتوحاً على مثال يومي يكبو فيه شيعة السلطة وراء حلفائهم الأكراد.

وليس صعباً معرفة الأسباب في الفرق بين فئة تتحرك نحو شعبها، بوازع قومي، وتختار لإدارة شؤونهم عصارة الخبرات الفكرية وتدفع بالخبراء والمخلصين لتمثيلهم في السلطة المركزية ممن ينفردون بالمهارة وقوة الأداء وتعامل الشخصية الإدارية، وبين فئة منزوعة الولاء لبني قومها ومتبرئة علانية من أي وشيجة إنسانية حتى مع أتباعها في المذهب الواحد.

● شيعة السلطة والحركة الوطنية.

في كتابنا دولة الاستعارة القومية من فيصل الأول إلى صدام حسين الصادر عن دار الزوراء 1993 مررنا على مسؤولية برامج التثقيف القومي في إضعاف المشاعر الوطنية العراقية واعتبار هذه الوطنية خللاً فكرياً، ومرضاً

سياسياً، يعالج بالروح القومية التي تنشد الجمع العربي من محيطه الهادر حتى خليجه الثائر، مما تهيأ للحزب الشيوعي العراقي أن يستقل بالوطنية العراقية دونما منازع، تشاركه أحزاب أخرى مثل الوطني الديمقراطي والأحرار، والاستقلال بأدوار ثانوية.

ولأن المشروع القومي حكم العراق منذ تأسيسه في 23 آب 1921 حتى عام 2003، باستثناء الفترة الوطنية لثورة 14 تموز وزعامة عبد الكريم قاسم، فيمكن معرفة الأضرار التي لحقت (بالوطنية العراقية) فلم تظهر في العراق مثل ما ظهرت في مصر وبلاد المغرب العربي.

على مستوى اجتماعي. كان المسيحيون واليهود العراقيون أكثر تشبثاً بالوطنية العراقية، لاسيما في بلدان المهجر، ولم تستطع الحركة الصهيونية في فلسطين، وقد شكلت دولتها منذ ستين عاماً أن تعزل اليهودي العراقي عن وطنيته، فاستمر يهود العراق يتحدثون لغتهم العربية بلهجتها البغدادية، ويمارسون طقوس حياتهم كما لو كانوا في موطنهم الأول، ونشطت حركة شعبية تركز على الميراث العراقي في الأدب والموسيقى، والتاريخ، ويصدرون مجلات ودراسات ومحاضرات عن الأدب العراقي مثل المؤرخ مير بصري والروائي سمير نقاش والشاعر إبراهيم عوبديا الذي ألقى قصيدة رثاء حزينة على قبر الرصافي ساعة دفنه.

أما المسيحيون العراقيون الذين هاجر ثمانون بالمائة منهم لاسيما (التلكيف) وهو مصطلح يقصد منه الهجاء الاجتماعي، وهم من السريان والكلدان والاشوريين. فقد ثبت أن وطنيتهم العراقية لم يرتق إليها مهاجرون مسلمون، ومدينة ديترويت الأمريكية شاهدة على هذه الوطنية.

من جانب آخر فقد حدثت هجرة العراقيين المسلمين ، وشكلوا في المهاجر أرقاماً سكانية عالية، لكنهم لم يجتمعوا في حي، ولم يحتفظوا بشيء من حياتهم العراقية، وتفتقر مجتمعاتهم إلى الوشائج وإلى روح التواصل والتخادم والتوادد. وكان أي منهم أذا صادف نزيلاً جديداً قريباً من داره، تحاشاه ، إلا في حالات استثنائية نادرة. وتم ازدراء اللغة العربية لأبنائهم الذين يتحدثون

لغات المهاجر – فيما ظل المسيحيون العراقيون يشكلون بحق العنوان الواضح والأصيل للشخصية العراقية في المهجر أسوة باليهود في إسرائيل أم في المهاجر التي ذهبوا إليها عنوة وبالإكراه.

قلنا إن المشروع القومي لم يكن يعنى بما هو محلي ووطني وعراقي، مثل عنايته بل وخضوعه للعامل الفكري النظري – فكان القوميون يعتبرون الاحتفال بمناسبة عراقية تراجعاً إلى الوراء القطرى الإقليمي، وقد لا يتأخر الدعاة القوميون عن وصف التوجه نحو ذلك، باعتباره خروجاً مدسوساً على قواعد العمل العربي وأهدافه الوحدوية، وعلى هذا التوجه مع اختلاف الأسباب والأهداف نشأت الحركة الإسلامية واعني بها هنا الشيعية وان لم تختلف عنها كثيراً غريمتها السنية، فالعناية بالحدث الوطني وتاريخه وأبطاله يكاد يكون معدوماً في برامج الثقافة والإعلام لدى الإسلاميين الشيعة حالياً، وقد تتصل المناسبة بجغرافيا التشيع وقد يكون البطل الذي أغفلته برامج الإسلاميين الشيعة، واحداً منهم مثل عبد الواحد الحاج سكر وعلوان الياسري، وشعلان أبو الجون والشيخ محمد رضا وشقيقه محمد باقر الشبيبي وسعد صالح جريو والشيخ علي الشرقي واحمد الصافي النجفي.

والمناسبة العراقية على قارعة التاريخ الحديث قد تتصل بذكرى حركة وطنية جليلة الأثر مثل ثورة 14 تموز عام 1958 أو يوم الاستقلال الوطني في 3 تشرين الأول، أو ذكرى وثبه كانون عام 1948. ولا يقترب شيعة السلطة من الاحتفال بذكرى إعلان الدستور العراقي في آذار 1925 أو ذكرى انتفاضة تشرين عام 1953، ولم يفكروا يوماً بالمشاركة في احتفال وطني بذكرى خروج العراق من حلف بغداد، أو الإسهام في التنديد بسياسات غير وطنية سار عليها رعيل من السياسيين العراقيين.

أن جداراً عازلاً يرتفع بين الإسلامي العراقي والذاكرة العراقية، حتى تلك التي تتعلق بالفن الإنساني والإبداع الشعري، والإنجاز العلمي، فلا إشارة إلى جواد سليم، ولا اعتراف بعبد الوهاب البياتي، ولن يمر اسم عبد الجبار عبد الله عالم الفيزياء الفذ على خاطر الدعاة الإسلاميين لأنه وطني وصابئي! ولا لعزيز علي وهو عبقرية مركبة، وعلم من أعلام الشعوب، وكان مضطهداً في جميع

العهود، وأمضى في سجون النظام السابق عقوداً صعبة في أواخر عمره، والرجل كان معلماً يلقي بالتعاليم الوطنية، على صورة شعرية مغناة بصوت يهز أعماق النفس الوطنية من داخلها.

إنه علم مهجور... واسم منسي... مثلما كان منسياً في الحركة القومية العربية، وهو من روادها الأوائل! وعندما تذكرته.. وضعته في السجن المؤبد!

وفي جانب سياسي مباشر، لم تشترك الحركة الإسلامية في الجبهات الوطنية ولم يسمع صدى إسلامي لعراقي، في مهرجان وطني، باستثناء الانتماء إلى لجنة العمل المشترك في سورية والتي لم تستمر سوى فترة قصيرة، تحول الإسلاميون بعدها إلى مؤتمر فيينا الذي أسسه الدكتور أحمد الجلبي.

ولم يتوقف شيعة السلطة لحظة لمراجعة الخيارات، فالخيار محسوم مع مانح السلطة أكبر الامتيازات الاجتماعية في العالم الثالث، فإذا كان الممنوح في غايات التعطش للسلطة والحرمان منها، والحلم بها قروناً فأن حجم المنحة سيبدو أسطورياً والعلاقة بين المانح والممنوح تأخذ شكلاً مماثلاً، يضاف إلى ذلك مستجدات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر – أيلول – واتجاهات السياسية الأميركية نحو خصم يواجه به في جوار جغرافي ما توصف بمنابع تنظيم القاعدة. وهذا الحليف يتجاوز السياسي التقليدي في المنطقة، فكان شيعة الحركة الإسلامية هم الأقرب إلى المواصفات المثالية في الصراع الجديد.

فهم خصم عقائدي لفكر القاعدة، ومدربون على الأعمال العسكرية، ولهم تنظيمات سرية متمرسة في الاغتيال والتفجير، وبهذا تكون السياسة الأميركية قد عثرت بسهولة على خط المواجهة الأول، ولم يكن البيت الأبيض، أو البنتاغون، والسي آي آيه، قد وضعوا في حسابات منظورة سهولة الحصول على حليف سني ينهض بمهمة مماثلة، إلا بعد سنوات من الاحتلال، كان الحاضن السني للقاعدة بسبب حماقة القاعديين وسوء تصرفهم

مع محيطهم، وتجاوزهم على منظومته الاجتماعية وأعرافه القبلية، وتراتب السيادات فيه، قد بدأ ينسحب عن تأييد منظمة قادمة من أعماق البداوة العربية، فاستعان المحيط السني الحاضن للقاعدة (بالدولة) فوجدها قاصرة عن إسعافه، ومزورة أيضاً وخائفة من تسليمه ودعم مجموعات (سنية)، ولم يكن أمام الثائرين الجدد على القاعدة سوى التحالف مع القوات الأميركية وبهذا تم إخراج القاعدة من مواقع أساسية.

الواقع على الأرض أن قوات البدوة الشيعة (كلمة عراقية بمعنى البداية وهي من الفصيح) لا تختلف عن قوات الصحوة، كونهما حليفتين مع الأمريكان ضد القاعدة، ومن الأنصاف أن الصحوة السنية هي التي نجحت في ما أخفقت به قوات البدوة في الداخلية والدفاع ومنظمة بدر والمتطوعين السريين، الذين يظهرون حالياً كفاءات عالية في ضرب غريمهم الشيعي، في التيار الصدري الذي أصبح يشكل في البيئة الشيعية خطراً مشابهاً لخطر القاعدة المعلن أول الأمر ضد قوات الاحتلال.

• عروق العراق ليست أقليات:

سيأتي زمان قريب وتعلن هيئة الأمم المتحدة جدولاً بالمحرمات اللغوية، ومعاقبة مستخدميها في الحديث والكتابة، ومنها الاجتثاثات. والأقليات.

أما على صعيد عراقي، فأول المحرمات أن تكون عروق العراقيين الأولى، وأطيافهم الدينية الرائقة، أقليات مهمشة. وهي مهمشة بلفظتها دون الحاجة إلى تشريع برلماني ما دامت مفردة الأقلية، تعني جماعة خاصة، وكأنها خارجة على النسيج العام، فهي فضالة مجتمع، وثمالة شعب، ومنبوذة حق!

لا بأس. ليكن السريان وهم آباء المعرفة العربية، وأعمام الكلام العربي أقلية، لكنها مثل حساب الأبناء العشرة من أم واحدة، والأكثرية جاءت من واحدة!. وقدماء الأديان هم الصابئة الذين يعطي اسمهم لمواطنهم الأصلي، نكهة العراقة، والامتياز، والفضل على شعوب وأمم، لم يعش الصابئة فيها. فكأنهم يجعلون العراق متحفاً للأديان ومحفظة شعوب وأقوام.

أما الآشوريون والكلدان، فهم بابليو الحاضر والماضي، ومن سميت بلاد ما بين النهرين باسمهم، قبل أن تأتي العرب بمصطلح أرض السواد.

والفضل في استمرار الصابئة، والآشوريين والكلدان والسريان على مذاهبهم وأديانهم، واحتفاظهم بموروثهم الثقافي، يرتبط بقرار عمر بن الخطاب، الخاص بأهل العراق، وتركهم على ما نشأوا عليه من معتقدات دينية وعدم وضعهم في الخيار القاتل بين السيف والإسلام .. وعليهم أن يقرروا واحداً منها.

إن عمر بن الخطاب، أعطى الحرية للعراقيين في الخيار الآخر، وتركهم على ما كانوا عليه، فبقي المجوسي في العراق وبلاد فارس يشعل النيران، والصابئة تتزوج على ضفاف النهرين، والسريان في ديّاراتهم، والآشوريون على جبال نينوى وسهولها.

إن عمر هو سر بقاء الأديان والأقوام العراقية على حالها.

ولعل مؤسس بغداد، وأبناءه، قد تمسكوا بهذه القاعدة. فنشأت الحضارة العباسية على مبدأ (عالمية بغداد)، وهي تعلو درجات على عالمية أية مدينة أوربية ومنها لندن التي لم تصل بعد في مستوى المشاركة، والتعبير عن عالميتها، ما وصلت إليه بغداد، حين كان الخليفة عربياً، ووزيره فارسياً، ورئيس الديوان صابئياً، ووزير الصحة سريانياً!.

فعاشت أسماء وعرفت أسماء في البلاط العباسي، مثل ابن بختشيوع وابن سهل ، وأبي البركات البغدادي، وهو فيلسوف يهودي، وأبي هلال الصابي.

من المفارقات أن مصطلح الإسلامي في العصر العباسي كان يعني أي ناشط في الحضارة الإسلامية، فيلسوفاً يهودياً أم طبيباً مسيحياً أم شاعراً صابئياً، فيما المسلمون هم المسلمون فقط.

لكن الإسلامي في زماننا هذا، هو الذي يعتبر محيطه المسلم غريباً عليه.

ولهذا فقد أقصى الإسلاميون الشيعة، المسلمين الشيعة عن أي دور.

وهذا تطور طبيعي عندما تنقلب معايير الحضارة وتتعثر الأمم وتكبو العقول فيصبح الإسلامي في بغداد سبباً لإلغاء عالمية بغداد، التي بناها ابن بختشيوع التلكيفي، وأبو هلال الصابي صديق الشريف الرضي وصاحبه.. فيصدر تشريع خاص بإلغاء حق من كان على دين قومه في حصة بمجالس المحافظات.

إن القرار يدخل في باب ضعف الحمية على العراقيين.

• قصة التلكيف.

وتل كيف، مدينة على ضواحي الموصل شمال العراق، يسكنها مسيحيون منذ تاريخ طويل، وينسب إليها من باب الإساءة، جميع مسيحيي العراق، للتقليل من شأنهم، وكون بعض أهالي تل كيف محاصرين بالبطالة، والتمييز الديني والعنصري، فيلجأون للعمل في قطاعات خدمية، بدلاً من اللجوء إلى ما يلجأ إليه المضطرون عادة من ارتكابات الرزق.

وأصل الكلمة جاءت من حصن كيفا، الذي تحمل اسمه مدينة ثانية في الأناضول، وقد تحول الحصن بعد خرابه إلى تل.. فصارت الكلمة تل العربية ـ وكيفا.. السريانية.

وفي التاريخ الإسلامي أن عدداً من الفقهاء كانوا من أهل تلكيف، كالشيخ التلكيفي الإمام أبو الفضل الشافعي، الحصكفي، وهذا النسب، إلى تلكيف سابقاً. وهو فقيه نشر الشافعية شمال العراق، وكان شاعراً له غزل جميل، وقد عشق فتاة من بني قومه التلكيف فقال فيها:

أشكو إلى الله من نارين: واحدة	في وجنتيه وأخرى منه في كبدي
ومن سقامين: سقم قد أحلّ دمي	من الجفون، وسقم حلّ في جسدي
ومن ضعفين: صبري حين أبصره	وودّه، ويراه الناس طوع يدي

ولا أظن أحداً من الساخرين بالأنساب وبالألقاب العراقية الأصلية، سيكون

بعد اليوم على حق في السخرية من التلكيف، وقد وضح الحق، وجلا عن العيون غياهبا.

فإذا بحثت عن العراق في المهاجر، فستجده في مهاجر التلكيف الأصلاء. الذين لم ينتحلوا لهم نسباً ولم يستعربوا رياءً إلاّ من كان قد وجد في حياة العرب وحاضرهم، ما يوجب الحب والولاء، عن إيمان وتجرد.

إنهم السريان، والكلدان، والآشوريون وغيرهم من الأعراق العراقية.

لكن أمر بقائهم على قيد العروق العراقية أحياء مستقرين في ديار الأجداد، أصبح مشكوكاً فيه، ودولة رئيس الوزراء، قد عاد خائباً من معركة (تطهير الموصل). التي أشعلت الخلايا النائمة، فعادت على مرأى من القوات الأميركية وقوات الشرطة والجيش، والبيشمركة تفتك بأقدم مدينة لمسيحيي الشرق، وتقتل أفراد العوائل المسيحية، بما يشبه حركة إبادة منظمة لإفراغ العراق من أجمل ألوانه، وأقدم مواطنيه، مما اضطر تلك العوائل إلى الهجرة من ديارهم وقد يستقرون في دول الغرب.. وهذا هو ما تحلم به سلطة من هذا القبيل لرؤية العراق بلا مسيحيين.

إن مسؤولية هذه السلطة عن إجلاء المسيحيين من العراق، كانت ستُعرض على مجلس الأمن لو حدث ذلك في ظلال حكم وطني أو قومي. لكنه إجراء لا يثير حفيظة أوروبا المسيحية ما دام النظام القائم محسوباً على سياستها.

سايكولوجية الانتحاري... ووصاياه في مستودع القوارض!

❖ ما الفرق بين الانتحاري القادم من إيران سنة 1984، والقادم من الجوار العربي سنة 2004..؟

❖ الشهادة موت بغير قتل النفس.

❖ وصية أبي بلال وساعته اليدوية في مستودع القوارض.

❖ الراجلان: عبد الصاحب الحكيم وعلي العضاض.

● سايكولوجية الانتحاري... نموذج شيعي.

كما فصلنا في سايكولوجية العربي السني في حوارنا الذي أجـراه الكاتـب العراقي عمار البغدادي، أن هذا القادم لم يدخل العراق بحثاً عن دفتر إقامـة، والحصول على موافقة عمل، وليس له هم البحث عن وظيفة، ولم يفكر لحظة بالتوقيع على عقد تجاري، وهمه المشحون المعبأ به وجدانه، والمرتاح لـه عقله، وأقدامه، إنه ذاهب إلى مهمة استشهادية، فإذا كان الهدف لا يوصـله إلى المقام الأرفع، فالإثم على أميره وأمير أميره، ومن لقنه وحشى وجدانـه بالضغينة، وبالأمل المرجو قد خاب آمله.

فإذا انتشرت شظاياه، وإذا وجدت قطعة من جسد امـرأة منتحـرة عريـت بصوت الانفجار فمن فعل الفعلة النكراء سوى أميرها وغاسل ضميرها.

لا ذنب يلقى على بائس محروم يوحي إليه شيخه، بأنه سيلتقي بعد لحظات من الانفجار بنبيه الأعظم (ص) وصحابة بدر واحد وحنين أو بالأئمة من أهل البيت.

بهذه الروح يتوجه أبو بلال الضابط السابق في جهاز المخابرات العراقية، والذي انتمى إلى حركة المجاهدين عند أسره في الحرب العراقيـة الإيرانيـة فبترت ساقه أثناء تدريبه على أحدى المهمات، فيأتيه هـاتف التأنيـب مـن الداخل والملقن من الخارج، أنه كان يوماً رجل مخابرات، وأنه اليوم مجاهـد فلم لا يكمل مسيرته... فيتطوع للشهادة، ويتسلل إلى العراق، فيحشى جسـده بالديناميت، والهدف وزارة التخطيط، ليس أمنياً ولا عسكرياً، ولا للحزب لـه فيه دور، بعد إعدام وزير التخطيط عدنان الحمداني، وإهمال الوزارة باستيزار شخصيات ليس لها دور، فانتهى أبو بلال، وما بقي من جسده، شـظايا مـن اللحوم الملتصقة على جدران مبنى وزارة التخطيط.

● **وصيته مرمية في مستودع الجرائد.**

من المصادفات التي جعلني الله أتفرد بخبرها، وكأن شهادة الله تأبى إلا أن تيسر لعيني ولسامعي سبل الإفادة بشهادتي أمام الله، وأنا في طريقي إلى الحلاقة في محل مجاور لمكتب المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بدمشق، فتناولت الشاي هناك، وكان موظفو المكتب قد أصبحوا وزراء ومدراء عامين في السلطة الجديدة، وعمال ينظفون المكتب من أوراق، وقصاصات مرمية على جوانبه، فعثر العامل على مجموعة أكياس ورقية كانت مرمية تحت أكداس أعداد سابقة لجريدة نداء الرافدين، فشرع الموظف المسؤول بفتح هذه الأكياس.

وكانت المفاجأة تساوي عندي نصف هذا الكتاب! إنها وصايا أبو بلال وأبو عمار وآخرين فجروا أنفسهم في عمليات وزارة التخطيط والإذاعة والتلفزيون، كان الكيس الأول يحتوي على ورقة صغيرة بخط اليد، وقد لفت فيها ساعة يدوية بسوار جلدي قديم..

كانت تلك الساعة هي كل الإرث الذي تركه أحد هؤلاء الضحايا، قبل أن يتوجه إلى أهدافه وفيها يوصي بتسليم الساعة إلى عائلته!! لا ندري إن كان له ابن أو شقيق سيرث ما تركه الرجل قبل أن يتشظى جسده، ويتناثر دماغه، وتتقطع أصابع يديه ورجليه. من أجل أن يصبح رئيس المكتب الذي أودع عنده الوصية وزيراً للإسكان وللداخلية وللمالية، يدعى بيان جبر الذي حمل نفسه مع أولاده، فشكلوا مجموعة عمل في أية وزارة أسندت إليه، ولتذهب وصية أبو عمار وأبو بلال طعاماً للقوارض في مستودع الأوراق القديمة.

لا شيء يدعو للتساؤل... فالبؤساء ضحايا... والضحايا قرابين الآلهة منذ عصر جلجامش.. والوصايا محفوظة في أكياس الورق، لم تفتح ولم ترد، وهي ودائع وأمانات لأصحابها وارثي الساعة اليدوية. ما دام مدير المكتب المسؤول قد أصبح المسؤول عن ودائع العراق والأمانات المصرفية في بنوك العراق والعالم. وما ضاعت حقوق دمائهم، وإن ضاعت أوراقهم فداء لمرشح

المجلس الإسلامي، حاكم سوق الأوراق المالية، إضافة إلى وظيفته.

وأبكي يا أرملة حسام... فأنت الأخرى وديعة وأمانة تالية...!

● **حسام... «جيفارا المجاهدين»!.**

تزورني الوفود العراقية التي تزور الشام، ويشكو لي من وقع عليه ظلم أو جور، لعلي أرفع قضيته في مواجهة تلفزيونية أو إيداعها في كتاب!.

وهكذا اتصل بي والد الفدائي الشهم عثمان بن علي الأعظمي، الذي استنقذ سبعة أرواح شيعية قبل أن تسحبه الثامنة معها إلى قعر النهر، في حادثة سقوط زوار الأمام الكاظم، من على جسر الأئمة. فأفادني بالتفاصيل التي أودعتها الكتاب، أما زائر اليوم، فرجل كان قريبه من رجال حركة المجاهدين التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى ـ وهي الجناح العسكري ـ كما أشرنا سلفاً، ويدعى حسام المعروف عند الشيخ محمد المولى رئيس أركان فيلق بدر، ورئيس بعثة الحج، والنائب عن شيعة العراق في البرلمان، وهو تركماني عراقي محب بعمق للسيد محمد باقر الحكيم، وإن لم يعد يذكره منذ وقت بعيد.

حدثني الزائر عن حسام، شجاعاً، ومقاتلاً، وعندي لهذا الطراز أولوية، ومكانة، واعتراف لا أتأخر في الإعلان عنه وتسجيله في مدوناتي، وهو بالتأكيد أفضل من أي إسلامي آخر، ممن يقتلون أنفسهم ليقتلوا الناس المدنيين الأبرياء،

حسام دخل إلى العراق مع مجموعة فدائية، للقتال وجهاً لوجه في ميدان عسكري فأُخذ أسيراً مع رفاقه، وسجلت له مقابلة متلفزة قبل إعدامه، فبدا فيها رابط الجأش.. مدافعاً عن عقيدته السياسية.

أما زوجته فقد لجأت إلى ملاذ العراقيين بدمشق... وكأن طهران الواسعة ،لم تتسع لها فخصص لها أربعة آلاف ليرة سورية شهرياً، لكن ذهاب المجلسيين إلى السلطة، حرمها من هذا الدخل الذي يساوي ثمانين دولاراً، تدفع منه إيجار غرفتها وتعيش على الخبز والشاي بالباقي! ولا أعرف إن

كان لها متعلقات من أهل وأطفال، فذهبت إلى العراق، وقد انفتحت أمام زملاء زوجها ومكلفيه بالمهمة أبواب المصارف، والوزارات، والمجالس البرلمانية، لاسيما أن مدير المكتب في الشام صار وزيراً... فلماذا لا تطرق بابه، وتتحدث بثقة إلى سائق المجلس القديم، محمد الحريري، مدير مكتب الوزير وأمين أسراره!! (حامل جواز إيراني، وعليه اعتمدت الداخلية اللبنانية في أعطائه الإقامة القانونية).

في تلك اللحظة اكتشفت حجم الخسارة الكبرى... والرد الذي يصدم زوجة المقاتل، أن الحريري قد أنكر معرفته بحسام ومن ينتسب إليه برابطة، فعوملت هذه السيدة المفجوعة وكأنها متسولة تطلب إحسان المحسنين.

واكتشفت أيضاً أن دماء حسام ورفاقه ذهبت أدراج الرياح، لتقيم لبيان جبر وعادل عبد المهدي وأضرابهما، أدراج المكاتب الرئاسية والوزارية!

إن المومى إليه لم يجد في صندوق وزارة الإسكان المسؤولة عن مشاريع الإعمار في العراق، ثمانين دولاراً لأرملة مقاتل، في وقت تتحدث فيه قناة تلفزيونية بريطانية، وفي برنامج بانوراما، أن وزير الإسكان، قد وزع مواد إنشائية مستوردة على أنها من مستورداته الشخصية على الأسواق بكذا مليون دولار.

من الخطأ الكبير اعتبار هذه الحالة وتلك فردية.. وعدم ربطها بنظام العمل المصادق عليه في شيعة السلطة.

فهذا الذي لم يوصل وصية المكلف بتفجير وزارة التخطيط، أو مبنى الإذاعة والتلفزيون، وهي وديعة وأمانة، ولم يردهما إلى أصحابها ولم ترسل «الساعة اليدوية» إلى وارثها! كيف يجوز أن يختاره المجلس الإسلامي وزير مالية لسلطة تحمل لقباً لأهل البيت؟ لو كان شيعة العراق هم الذين يختارون ممثليهم في المؤسسات التشريعية والتنفيذية، هل كان سيرد اسم بيان جبر على خاطر أحد منهم، وهم أهل التكنوقراط، والخبرة المالية والمصرفية، وأساتذة علم الاقتصاد الذين يتوفر منهم في لندن فقط أربعون شخصية اقتصادية ذات شهرة عالمية؟!

لماذا يتجاهلون خبرة العراقيين الشيعة في حقول المال والاقتصاد، والتربية، فيدور الواحد منهم معصوب العين من جانبيها، وليس أمامه سوى أسماء لا علاقة لها بمهنة وهي تتدرب لأول مرة بصفة رئيس وزراء، أو وزير مالية؟

إن الساعة التي أودعها أبو بلال في وصيته ورميت في مستودعات الورق هي التي ستقرر ساعة الصفر لإعلان الحد الفاصل بين شيعة العراق ومن انتحلوا لقبهم ليعملوا بمبدأ الهوية المزورة.

ولعل ساعة أبو بلال هي التي ستعلن «يوم الساعة» وقيامة شيعة العراق.

• زوجة حسام.... وأخو فاطمة!.

إن زوجة المقاتل حسام، ووصية أبي بلال، وأبي عمار، في مستودع القوارض، منعكس واحد لنفوس مشوهة، منزوعة، انتقلت إلى مقامات ليست مؤهلة لها، اجتماعياً وسايكولوجياً، فانفصلت عن بيئة، لم تكن في يوم من نتاجها الشرعي، ولم تنشأ في منظومة على صعيد الشهامة في مجتمع قبلي لم تولد فيه، أو على نخوة ابن البلد، وابن المحلة الذي عشنا معه، وهو يدافع عن جار يهودي، يتعرض لسرقة ليلية، فيرمي البغدادي العريق نفسه إلى مخاطر تهدد حياته.

إن الوشائج المقطوعة، تشي بطبيعة المنحدرات السلالية، والمكانية، بما يؤكد غربتها، وانقطاع أسباب الرحم، والجوار.. فكيف رفقة العمل (الجهادي) بمنظمة سرية واحدة!؟

في أعراف اجتماعية سائدة، فان الحرامية لا يتركون صاحباً لهم تعرض لإشكال أثناء السطو على المسروق! وفي أعراف المافيا العصرية، أن الأخذ بيد عضو يقع في قبضة البوليس، سيكون تحريره اختباراً (لمبدأية) العضو الآخر في المافيا!

فعلى أي دين، وعرف، يترك الشريك نهباً للديناميت، وتترك وصيته نهباً

للقوارض، ولم تصل إلى من يجب أن يعرفوا ما في الوصية الواجبة على كل مسلم.. لاسيما في مذهب التشيع وهو مذهب الوصية والوصي. وأية منظومة أخلاقية وسياسية، تهمل زوجة مقاتل شجاع وهي تطرق أبواب السلطة التي اختصرت دماء زوجها، الطريق إليها؟.

هذه الصورة منعكس سلوكي واجتماعي، وسلالي وبيئي لفقدان الشهامة... والمسألة فوق السياسة... والحل عند صاحب النخوة... وأنا أخو فاطمة..!

إن كاتب السطور، طالما أثار مسألة الشهامة السياسية في نقد سلطة صدام حسين التي أصدر مجلس قيادتها قرارا، بفصل مديرة مدرسة من عملها، لأنها اشتركت مع معلمات المدرسة بتقديم العزاء لمعلمة بإعدام أبنها!.

أن نزع الشهامة والنخوة بقوة الإجراء الحكومي، كان سائداً وكنا له بالمرصاد، في عشرة كتب على الأقل.

ويتكرر مشهد يفتقر إلى الشهامة والرجولة والشعور بالمسؤولية، وعدم تأدية الأمانة، لمسؤول عن مكتب (المجاهدين) ولمسؤول تودع تحت يديه ودائع مالية وأمانات وموازنات العوائد النفطية..!!

إن الجواهري، شاهداً ومراقباً، وصانع وعي.. قد مر بصورة رجل استخدم الزي الديني للارتزاق فكتب رباعيته عام 1961.

قلت للشيخ ارتضى ... العمة رزقاً والقميصا
غطيا منه صغار الفكر ... والنخوة والرأي المحيصا
كيف عريت من الدين ... بما زورت روحاً ونصوصاً
قال ما بالك أمسكت ... تلابيبي وأعفيت اللصوصا؟

في زمن النص... لم تكن لهؤلاء الشيوخ سلطة وسلطان، وامتيازات الدولة المركوبة دابة... فاعتذر في نهاية الرباعية، بأن صغير الفكر، وعديم النخوة، وفاقد الرأي الحصين تحت الجبة والعمامة... لم يخف مالاً

مسروقاً... وتلك حسنته في لاوعي الجواهري... الذي رحل ولم يعش ليسجل القيمة المضافة التي تتقدم على سواها لدى العمائم العاملة في الخدمة السياسية، بعيداً عن زهد المسجد، وتعفف العالم.

وفي الرجوع إلى مدونات النخوة المعروفة في البيئات الشيعية يقتطع السيد محمد علي كمال الدين مقطعاً من أحداث في ثورة العشرين، عايشها وسجلها في كتابه عن الثورة الكبرى... وفي الصفحات 96،97،98 وفيها الفرق بين أهل النخوة، شيعة العراق، ومنزوعيها في شيعة السلطة.

يقول محمد علي كمال الدين، اجتمع عموم الزعماء لدى الشيخ عبد الكاظم الحاج سكر، فوافق على الحضور إليهم حاكم الشامية والنجف (نوربري) ومعه حاكم أبو صخير (هوبكنز) ومعاونه مصطفى أفندي خرمة السوري.

وما أن التأم المجلس بالزعماء والحكام الإنكليز، حتى رقى السيد محمد الباقر المنبر الذي كان منصوباً في المضيف بدون سابقة ولا استئذان، وابتدأ ينشد هذه القصيدة الرائعة التي أعدها من قبل، ومنها:

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكرا ... خذوا حذركم منهم، فقد أخذوا الحذرا
ومن مات دون الحق والحق واضح ... إذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

إلى أن أكمل الشاعر قصيدته، وأعقبها بعد ذلك مخاطباً من بين الحضور زعماء الخزاعل قائلاً: يا زعماء الخزاعل إن قبيلتكم كانت تسمى خزاعة، وقد دخلت في بيعة النبي (ص) وكان الحلف بين النبي وبين قريش، ألا يؤذوا من يحالفهما، وحين تعرضت خزاعة لأذى أحلاف قريش قال النبي (لا ينصرني ربي إن لم أنصر خزاعة) فجّيش جيوشه على مكة حتى تم له فتحها... وهكذا استمر السيد محمد الباقر يخاطب زعماء الخزاعل، ويحرضهم على الثورة قائلاً: وأنتم يا زعماء الخزاعل انتصر لكم النبي وغضب لأجلكم، فمتى تنتصرون له. أما في الآخرة فأنتم أحوج إليه. نعم يمكنكم الانتصار له في هذه الدنيا.. أما آن لكم أن تنصروا محمداً.

وعندها ثار الشيخ سلمان العبطان أحد زعماء الخزاعل وسل سيفه، وتقدم إلى السيد محمد الباقر، وهز السيف في وجهه قائلاً: «عند وجهك... أنا أخو فاطمة» وهنا استثارت حمية الحاضرين كلهم، ونهض الزعماء جميعاً، يهزجون بالهوسات، بحضور الحكام الإنكليز الذين أسرعوا بالهرب من الديوانية كالميجر نوربري حاكم لواء الشامية والنجف، والكابتن هوبكنز.

أخو فاطمة من شيعة العراق... وأخو الجهالة في الوزارة ينعم!

• الشهادة موت بغير قتل النفس ومجاهد من حائل.

صوت «سعاد محمد» يتنقى مع نقاوة المقصد، ونظافة الروح فيجول في خاطري، وكأن السنين لم تمر يا مجاهد في سبيل الله وهي تخاطب فوزي القاوقجي، والمتطوعين الذين جاءوا إلى فلسطين من فجاج العرب.

وفي الذاكرة.. كنا في مقروءاتنا وقد جزنا الصبا والصبوة نتحرك على المخيال الفلسطيني أحداثاً وروايات كانت أكثرها إثارة للإعجاب.. أن عربياً متواضع التعليم من قبيلة شمر في حائل قد حصل على خبر الجهاد في زمن لم يكن المذياع متوفراً في حائل، ولا الصحف، لكن القادمين إليها من الشام، قد نقلوا لأهل حائل حاجة فلسطين إلى مجاهدين... وبذكاء البدوي وإصراره تسلسل من مضيف كان يستمع فيه إلى الطارش الشامي، وكأن الفكرة التي قدحت في ذهنه ساعتها قد أنجبت فوجاً من المتطوعين الذين زرعت ثلث عظامهم في الضياع الفلسطينية:

فهد المارك حمل متاعه بعد أن تمكن من إقناع آخرين، أخذوا طريقهم الصحراوي، تهديهم النجوم، فإذا استضافتهم قبيلة، خرجوا منها، وقافلتهم أكثر عدداً، فانتهى المسير إلى تبوك، ومنها إلى الأردن، وعديد الفوج خمسمائة وثلاثة عشر مجاهداً، وكانت ميرتهم من ذات الميرة التي حملها جند حذيفة بن اليمان والأحنف بن قيس والنعمان بن المقرن، كسر الرغيف اليابس والتمر اليابس وقربة ماء يبلون بها الريق.

وكانت سورية، وهي (دولة منذورة) لفلسطين منذ ذلك التاريخ، قد استقبلت المتطوعين يتقدمهم (فهد المارك)، وخصصت له مكتباً في هيئة الأركان مجاوراً لرئيسها، حيث خضع الفوج السعودي غير الرسمي، وغير المدرب، إلى دوره تدريبية سريعة قبل أن يتوجه المتطوعون إلى جيش الإنقاذ في فلسطين، فاستشهد (134) مجاهداً، وهم يواجهون عصابات الهاغاناه الصهيونية.

أما فهد المارك فلعله قرر ألا يترك القضية الفلسطينية، وإن طلقها زعماؤها فأمضى حياته في دمشق، وكان الملك السعودي أصدر قراراً بتعيينه ملحقاً عسكرياً في السفارة السعودية بدمشق، فصار رحمه الله جسراً فلسطينياً إلى السعودية، وجسر السعودية إلى فلسطين، وبواسطته تعرف الملك فيصل بن عبد العزيز بالزعيم الفلسطيني ياسر عرفات وكان شبه مستشار للملك في هذا الشأن.

صورة المارك، وفوج المتطوعين شبه الحفاة في صيف عام 1948 في طريقهم الطويل دون مساعدة من سلطة، أمامي هذه اللحظة... وأمير القاعدة يجهز أتباعه، ويأمر أمير القاعدة في العراق، لتفخيخ النساء، فتسير المتفخخة في شارع الإمام أبي حنيفة، وسيارات الهمر الأميركية تمر أمامها. لكن تعليمات الأمير وفتواه تلزمانها بأن لا تضع يدها على زر التفجير قبل وصولها إلى لحظة خروج المصلين من مسجد أبي حنيفة، لتقتل معها ثلاثين مصلياً من أتباع المذهب الحنفي، وتلفزيونات ملحقة بالقاعدة تكبر وتدعو للمفجورة بثواب الجنة وثيابها وقد تناثرت قطع من جسدها المحرم، وانكشفت وهذا فعل المجاهد في هذا الزمان! وذاك فعله في سالف الأزمان، وما بين الزمنين كانت جماعات إسلامية شيعية ترسل بالمفخخين في الحرب، وبآخرين لكي يفجروا أنفسهم فيقتلوا المطرب محمد عبد المحسن عند باب الإذاعة مع موظفي الاستعلامات، ويسجل هذا باعتباره نصراً مبيناً... فيما صدام حسين ومنظمته السرية بخير وعافية.. إن الانتحاريين الشيعة قد سبقوا زملاءهم الانتحاريين السنة بعشرين عاماً على الأقل!

فإذا كان انتحاريو القاعدة إرهابيين، فانتحاريو الشيعة مثلهم... فإذا اعترض العشرات على هذا القانون الصحيح، فالحكم على كليهما يتصل بالأهداف التي يتوجه إليها الانتحاريون، وسنرى أنها واحدة في الحالتين، فهي مواقع مدنية، والضحايا وفي المقدمة منهم المنتحرون، هم من ينبغي الحزن عليهم... والذين يتم اختيارهم ممن لم يجدوا في حياتهم ما يستحق الاستمرار عليها أو بها وسيكون الموت والحياة سيان لهؤلاء البؤساء المضللين بالأوهام.

لا اخفي تعاطفي مع قاتل نفسه شيعياً قادماً من إيران، أم سنياً قادماً من وراء الحدود العربية لأن موته يكشف فضيحة حياته.

إن المنتحر في الحالتين ناشط عاجز عن الوصول إلى هدفه، وغير ميال للمواجهة فيفجر نفسه في المكان بعيداً عن هدفه، ولو أنه اقتحم إدارة عسكرية للاحتلال، فقد يكون مبرره الواجب الوطني وليس الذهاب إلى الانتحار قد حتم عليه الخيار.

وكم كانت كلمة فدائي جميلة وصحيحة ومناسبة، فالشعوب الحية ستحتاج إلى فدائيين على طراز جول جمال وهو يخترق بقاربه باخرة إسرائيلية، وليس هذا المزنر بالحزام الناسف المفجور في سوق الخضرة أو في سوق الطيور.

إن المنتحر فاشل عن أداء مهمة. فيما الفدائي مقتحم لأداء مهمة وطنية يجود من أجلها بنفسه ولم يكن هدفه أن يقتل نفسه، فبيده سلاح وليس حزاماً ناسفاً وأمامه عدو مسلح مثله، وهنا تتحقق شروط الشهادة كما هي في الآية الكريمة التي صارت تكتب على أبواب مجالس عزاء لقتلى من الانتحاريين.

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله»، لم تأت لا في آية أخرى ولا في حديث شريف بصيغة الذين يقتلون أنفسهم.

وشرط الشهادة أن يموت بغيره لا بنفسه، ولم يتحدث تاريخ الإسلام عن مسلم يقتل نفسه في سبيل الله، لكنه شهيد عندما يقاتل في سبيل الله.

ومن إبداع البدع خداع المسلمين بأن قاتل نفسه شهيد.

ولأن أمراء الانتحاريين يعرفون ذلك، فهم لا يرسلون أنفسهم ولا أبناءهم إلى عملية انتحارية تفتح الجنة بعدها أبوابها لهم.

الفرق بين الجهاد... والانتحار.. هو الفرق بين فهد المارك السائر على تراب نجد إلى تراب الشام ليقاتل عدواً غاصباً، وبين هذا الذي يقتل نفسه ليقتل بها المطرب محمد عبد المحسن أو يقتلها ليقتل بها المصلين الخارجين من مسجد إبي حنيفة.

هذا الفرق... لم تدركه بعد فضائيات تصلي على قاتلي المسلمين،.. صلاة الغائب.. لأنهم... مقاومة...!

• الراجلان: حكيم وعضاض!.

وضعف الحمية على شيعة العراق، يتواصل بالحاجة إلى روح المشاركة، وضعف الإحساس بالمسؤولية في دائرة إسلامية صرفة، وإغفال مجاهدين ونشطاء، ومقاتلين في الصفوف الإمامية، سواء من المحسوبين على المجلس الإسلامي أم على حزب الدعوة، أم كانوا فقط ناشطين في التيار الإسلامي.

ومن الطبيعي ألا نحيط بعلم المكان منهم، وهم اليوم يراقبون في بلدان الغربة زملاء لهم ممن كانوا تحتهم، وقد اعتلوا صهوات السلطة، تاركين الرجال راجلين.

وسنقتصر الحديث على هذه العينة من الرجال الراجلين، وحسبهم أنهم راجلون، وحسب الرجولة، أنها أخذت في جذرها اللغوي.. من الشخص الذي يمشي على رجليه ويدع ظهر الدابة للمرأة والطفل والشيخ العاجز، فوصف بالرجولة!

والراجلان هما عبد الصاحب الحكيم وعلي العضاض وقد يكون وراء عنونتها على رأس الصفحة، أنني عرفتهما عن قرب كتفاً إلى كتف.

• عبد الصاحب الحكيم.. المستميت لا يموت.

طبيب أسنان، وحافظ قرآن وشاهد عيان، وداعية حقوق إنسان، فبماذا يبرر الناكثون القاسطون فعلتهم، والرجل الذي كان ملأ العيان صار طي النسيان، لكن ضمائر شيعة العراق ستتذكره وإن نكث شيعة السلطة وقسطوا.

كان واحداً من سبعة إسلاميين، تألفهم نفسي، وامتزجت بناته مع بناتي في دائرة عائلية صادقة، وكنت أطل على محتويات داره، فالزجاج قد يعزل بأوراق الصحف والمقاعد تئن وتتحرك تحت الجالسين، فكأن زلزالاً هز الدار ومشى.

وإذا عرف عن دعبل الخزاعي خشبته المحمولة على ظهره، فقد حمل عبد الصاحب الحكيم هذه الخشبة، وحفر على هويته الشخصية المحمولة عبارة بالإنكليزية (قتلتني مخابرات السفارة) لكي يسهل على المحققين معرفة القاتل بشهادة القتيل لكنه لم يقتل لأن المستميت لا يموت.

وعبد الصاحب الحكيم.. هل رآه الجواهري إذ يرى نفسه: عريان يحمل منقاراً وأجنحة أخف ما لم من زاد أخو سفر. وهو يقطع الدروب الموحشة لقلة سالكيها في مدن غريبة قد تحنو على مشردي العرب وجياع المسلمين، فيشارك حيث اختفت أسماء لم تظهر إلا بظهور خليل زاد.. في بغداد.

وكان يحمل لفافات الطعام بغية أن يتوفر له بعض المال، وهو يخاطبنا في مؤتمر عام، وقد سئل عن ممول منظمة حقوق الإنسان التي يرأسها..

أيها الناس لم يدخل جيبي فلس واحد من بيت الحكيم.. وإذا خدعكم اللقب، فلا تخدعكم الحال، فآل الحكيم لم يبعثوا لي قرشاً من أموال الله ولا توماناً من أموال الدولة.

أن كثيرين ممن عرف حاله ظنوا أنه ينتسب إلى حكيم آخر.

كان طبيب الأسنان وداعية حقوق الإنسان، أجرأ متحدث سياسي في مؤتمر حضرته، وأكثر إقداماً في مواجهة خصوم الحركة الإسلامية، والمعارضة

العراقية، لمواجهة من يعتقد أنه متواطئ مع سلطة بغداد، ولم يكن تابع حزب أو مأمور مجلس، لكنه يتحرك بدور مؤسسة لا بدور الفرد، وهذه حالة عراقية خاصة بأجيال انقطع نسلها من بين مثقفي وكتاب الجيل الحالي.

كان عبد الصاحب الحكيم من هذه السلالة المنتجة والمتخصصة، وهو في معارك الدفاع عن الإنسان ميمنة جبهة، كان قائدها في الطرف الآخر برزان التكريتي، والرجال السريون في جنيف، وعشرون مصرفاً لا زال يحتفظ بأموال العراقيين التي قد تسيل بعضها إلى وكلاء ومتعاونين ضد جبهة عبد الصاحب الحكيم وعلى يساره شجاع من نمطه هو الدكتور علي العضاض.

كان المتوقع أن لا يصدر قرار بتعيين دبلوماسي في سفارة العراق التي طاردته ثلاثين عاماً في لندن دون أن يكون على رأس القائمة الدبلوماسية الجديدة بعد سقوط النظام، رأس الحقوق الإنسانية وذراعها عبد الصاحب الحكيم.

لكن شيعة السلطة وبالتواطؤ مع هوشيار زيباري اكتفوا من حصتهم الدبلوماسية بأن يشفق زيباري فيعطف على حامد البياتي لتعيين شقيقه مستشاراً ويرسل مسؤول آخر شقيقه سفيراً إلى بلد آخر.

وحسب عبد الصاحب الحكيم وحيداً في دروب الحق التي مشى عليها الإمام.

• علي العضاض... المدينون للمدين.

ليس كمثل القرآن كتاب إلهي ينظر إلى الإتباع المسلمين بحكم السواء، لكنه لا يترك مثقال ذرة من الدرجات يستأثر بها قاعد من حق قائم..

فسقاية الحاج وعمارة المسجد ليست كمن أمن بالله، ويفضل المجاهد على القاعدة درجات.

والقرآن دليل عمل وقدوة في السياسة والاجتماع والمعاملات، وستقف مسيرة آية منه إلى جانب مقاتل من أجل الحق والحرية وشجاع في مواجهة الباطل والاستبداد.

والدكتور علي العضاض من هذا الصنف، في معركة غير متكافئة يخوضها قبالة الرجل الثاني في دولة المنظمة السرية، والذي أوكلت إليه في جنيف، زراعة حقول من الوكلاء السريين الذين يتغذون من ودائع عراقية تتنافس عليها البنوك المركزية في سويسرا وأوروبا.

كان العضاض كصاحبه الحكيم ينتظران يوم اللقاء في اجتماعات لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف، وقد نجح العضاض في الجلوس على مقعد شعبي، لمواجهة الجالس على المقعد الرسمي برزان التكريتي، الذي تفر من اسمه رعباً أسماء تغلفت بالكنى والألقاب، فظهر الأبوات الإسلاميون والأسماء المستعارة والأنساب المنتحلة التي يفيض بها تاريخ بغداد (لا عربٌ ولا نوبٌ).

كان العضاض ظاهرة وطنية في المقاومة يتهاوى أمام أسمه من خوفه أشخاص من أمثال موفق الربيعي ومحيطه.

والسر الذي أكشفه هنا: أنني عرضت على السيد محمد باقر الحكيم فكرة لإسناد مقاومة العضاض في جنيف بمجموعة عمل، وسأتطوع شخصياً لأن أكون واحداً منهم، فاشترط أن لا يترتب على تشكيل هذه الجماعة نفقات مالية لقلة ذات اليد، فتعهدت له بأن هذه المجموعة ستضم أصدقاء يتمتعون هناك بمساعدة الدولة، فأبلغ الدكتور علي العضاض بذلك، وتوجهت إليه مع عائلتي الصغيرة فاستقبلني في مطار ليون في فرنسا، وتسللت معه سراً إلى داخل الحدود السويسرية في جنيف، وأودعت لديه مبلغاً غير قليل كان قد أرسل من دمشق إلى الصديق الفنان التشكيلي سعيد فرحان، فضلاً عن مبلغ شخصي يعود لي راجياً الاحتفاظ به حتى خروجي من معسكر اللاجئين الذي مكثت فيه (48) ساعة فقط.

كان العضاض خلالها قد أودع المبلغ في حسابه، ولما كان مديناً فقد تحول المبلغ جميعه لتسديد الدين، وظل العضاض في حيرة من أمره مثل حيرتي بصاحب الأمانة سعيد الفرحان الذي حولت له مستحقاته من حسابي الشخصي، وبقيت الأمور المالية مع ديون العضاض إلى وقت آخر.

كان علي العضاض يعاني أزمة مالية حادة. وإشكالاً عائلياً بسبب مرض زوجته، وكون أولاده بين تربية إسلامية صارمة ومجتمع أوروبي مفتوح، وقد حافظ علي شيء من التوازن، ولم يفت ذلك من عضده هو في المواجهة الكبرى مع ثاني رجل في دولة المنظمة السرية بلا حجاب بينهما، فلم يكن مختفياً في دكان ولا متوارياً عن الأنظار في حانات الليل. في الوقت الذي كان ممثل المجلس في بريطانيا طالب الأصفهاني (حامد البياتي حالياً) يتمتع في بحبوحة وهو صامت أو شبه صامت مغموراً متوارياً لا فعل له ولا دور.

إن العدل كان يقضي بالنظر إلى الدكتور علي العضاض باعتباره قائد جبهة المجلس، وعنوانه العريض في قلب أوروبا، وإحاطته بما يحتاج وعدم تركه يواجه المقادير ووجهه إلى السماء.

علي العضاض صاحب ظاهرة لم تتكرر في أي مدينة، حتى في مدن عربية متخاصمة مع بغداد في تلك الفترة، إذ الواقع أن المعارضين العراقيين في تلك المدن كانوا يتحاشون الإعلان عن أسمائهم، والظهور في مكان عام، والاقتراب من مؤسسات تتواجد فيها السلطة، بمعنى أنهم يهربون عن مواجهة حاملي الكواتم الدبلوماسية ووكلائهم المنتشرين.

في جنيف الوضع مختلف والمحسوبون من العراقيين على أهل السلطة، يتحاشون الاقتراب من علي العضاض! ولعلهم يفرون أمامه.

أتذكر أننا كنا في مقهى مقابل مركز حكومي لتزويد طالبي اللجوء بالوثائق، فحضر إلى المقهى شخص عراقي، فإذا بعلي العضاض ينهض بقامته الطويلة، وهو يناديه بيده كمن ينادي مأموراً يعمل في خدمته، وعندما اقترب منه مد ذراعه الطويل، ووضع كفه الثقيل على كتف الرجل وهزه قائلاً... أنت جاسوس جاي تتابع حسن العلوي. لو شفتك مرة ثانية مترجع لبرزان وعندك عين ترى فيها.

والرجل تتعثر الكلمات على لسانه وهو يراني لأول مرة وجهاً لوجه، فاحتضنني معتذراً بأنه ليس جاسوساً وليس معارضاً، لكن الدكتور علي

العضاض هكذا يتصرف مع العراقيين.

كان من العدل والأنصاف أن يكافأ هذا الشجاع، بأن يمثل العراق الجديد حيث كان برزان التكريتي يجلس، لكنه عاد إلى بغداد محملاً بالديون، وسط بيئة مجلسسية لا ترتاح لوجوده، وتشعر بالغيرة من تاريخه لاسيما من أصبح وزيراً للمالية الدكتور عادل عبد المهدي حيث كانٍ هو الآخر في فرنسا، فلم يصدر منه تصريح ولا موقف. ولا هشٍ ولا بشٍّ في مواجهة رجال السلطة السابقة، وكأن هذا دور يختص به الشهداء أمثال علي العضاض.

فقتل العضاض مع زوجته الحامل بشهرها الأخير عند بوابة المستشفى في بغداد، وترك إرثاً شجاعاً وديوناً كثيرة، وبنات لم تلتفت إليهن حمية رئيس الوزراء بمكرمة مثل مكرمته المنافقة لعائلة عدنان الحمداني، ولا أستعطف نائب رئيس الجمهورية عادل عبد المهدي هوشيار زيباري وتوسط عنده لتعيين بنات العضاض أو ابنه بما يناسب مقام أبيهم، وليس بما يهين هذا المقام، مثلما توسط لتعيين ابنته وزوجها وخال زوجها في السفارة العراقية بباريس، ويتوسط لتعيين ثلاثة ممن لم يرهم أحد في جنيف أيام المعارضة، وممن كانوا يفرون لو أطلت عليهم قامة العضاض، ليكونوا مستشارين في جنيف دون دوام في دائرة.

رحل علي العضاض والراحلون همو.. فاقفرت قاعات جنيف، وعم الصمت والهدوء والسلام بين وكلاء العهد الماضي ووكلاء العهد الحاضر، أخواناً على سرر متقابلين، وكان أقل ما على السيد عبد العزيز الحكيم أن يفعله الاتصال، بشقيقه القاضي السابق محمد جواد العضاض الذي كان ترك وظيفته وأعماله وأمواله في بغداد، والتحق بالمعارضة إلى جانب أخيه في جنيف، وأن تعوض هذه العائلة العربية الضحية عن غربة الحياة.

كنا نتوقع أن تسند للقاضي محمد جواد العضاض وظيفة تتناسب مع خبرته الدستورية الطويلة. في سلطة تسلط فيها المرابون والوسطاء والمختلسون وباعة الخضرة وخدمة المكاتب.

إن ذلك لم يحدث لسبب واحد.. أن القاضي محمد جواد العضاض كان ذا

ماضي قومي وحاضر عربي،

وإذ يتجه خطابنا إلى السيد عبد العزيز الحكيم فلعلمنا أن اغتيال علي العضاض قد أزاح كابوساً ثقيلاً ينوء بكاهله خمسة على الأقل من الجالسين في مقاعد المجلس الأمامية.

ومن يدري فربما يحتفل هؤلاء الخمسة بذكرى رحيل العضاض في يوم يسمونه فرحة المجلس.

• مكارم النفاق

يعطي عائلة الحمداني ويحرم عثمان العبيدي!

السياسة، قراب مملوء بالخبرة والتجربة والعبرة، وقوانين الصراع وطوارئ الحدثان وبالقليل من مساطر الايدولوجيا والكثير من استلهام تاريخ الأمم والشعوب في الماضي والحاضر وقدرة على تهجين هذه العناصر لاستخراج قرار أو اتخاذ موقف أو إصدار بيان.

مشكلة السياسة العراقية في الأربعين عاماً الماضية على الأقل، أن المقادير والقنوات السرية قد تدفع إلى واجهة السلطة شخصاً لم يسبق له أن فتح قراب السياسة، وقرابه فارغ فيدخل هو في القراب ليملأ الفراغ.

ولأنه لم يجرب العمل على أي مستوى إداري، فستدخل السلطة معه في فراغ، لكنه يظن كل الظن أن الفراغ مملوء لأن لقبه في السلطة وزير للخارجية أو وزير للمالية أو رئيس للوزراء.

فماذا سيعطي هذا للناس؟

سيعطي بالتأكيد ما يملكه هو من فقر المعلومات وقحط الوجاهة وبؤس التكوين وشقاء النفس وثارات الحزب. وتكون أول معالم الضياع في ضياع الحكمة وفقدان الدراية والدهاء.

ولو كان لحامل لقب رئيس الوزراء شيءً من الخبرة والعبرة والدراية

والقدرة على تهجين العناصر المتناثرة، لكان قراره محكوماً بهذه العناصر ومعطياتها، لكن الفراغ لا بد أن يمتلئ وأسهل المتداول في إجراءات السلطة، أن يظهر حامل اللقب بمظهر من يمنح المكارم، لا حباً بعمل الخير وإنما للنكاية أو لتسليط الضوء عليه، وظهوره بمظهر المحايد المتعالي على الخلاف. وهو ما أراده جواد المالكي الذي يحمل الآن لقب رئيس الوزراء عندما انفرد وبدون صلاحية دستورية لتخصيص راتب شهري مجزي لعائلة عدنان الحمداني.

ما الذي يربط صاحب المكرمة بالعائلة التي قبلت المكرمة وهي في غنىً عنها؟

كان عدنان الحمداني بعثياً والمالكي لا يحقد على كائن يمشي على الأرض مثل حقده على البعثي، وعدنان كان الشخص الثاني بعد صدام حسين. وهو يمتاز بصفتين.. قدرته على إدارة العمل كمسؤول عن تسويق النفط، وعن المنهاج الاستثماري، وكونه من عائلة إن لم تكن ثرية، فهي فوق المتوسطة. وقد ترك لأبنائه ثروة تجعل الصغير منهم، إذا ما دخل مدينة دمشق مثلاً قادراً على حجز جناح في فندق الفور سيزن مقابل ألفي دولار لليلة الواحدة.

معنى هذا أن عائلة عدنان الحمداني لم تكن في عوز حتى ينقذها حامل لقب رئيس الوزراء، ولم يكن الحمداني من حزبه، فهل هو نفاق سياسي أو تملق للبعثيين أم إنه اعتقد أن أفضل أسلوب يواجه به كاتب السطور هو أن يكرم عدنان الحمداني باعتبارنا خصوماً كما يظن.؟!

ونحن من عائلة واحدة، أمي عمته، وأمه عمتي، وأبي خاله وخاله أبي، لكننا قد نختلف على الكثير الكثير، وخلافنا معلن ومكتوب في الصحف والمجلات ومنشور على الشاشات ودخول المالكي بيننا لا يعني شيئاً، فأنا ما زلت عند أحكامي في هذا أو ذاك.

لو كان حامل هذا اللقب قد فتح جراب السياسة واطلع على تاريخ الأمم والشعوب، ولو كان ممن يحمل القليل القليل من الحياد الطائفي، لكان قد خصص هذا الراتب المجزي لعائلة فتى الأعظمية الشجاع عثمان بن علي

العبيدي الذي رمى بنفسه إلى النهر، لاستنقاذ سبعة من زوار الإمام الكاظم من بين الألف الذين جاء بهم حزب المالكي إلى الجسر، وقعقع أحدهم بالمفرقعات، فرمى فقراء مدينة الصدر الذين يقصفهم المالكي بالمدافع الأمريكية الآن بأنفسهم إلى النهر، وعندما حاول الفتى الشجاع إنقاذ الثامن وقد خارت قواه فتعانق مع الغريق وهويا شهيدين إلى القاع.

عندها كان حزب المالكي قد بدأ حملةً استمرت قناة العراقية أسبوعين لنقل صور المتبرعين للضحايا، وأعلن في حينه عن تعويض والد الفتى بقطعة أرض، ومرتب شهري وجزء من هذه التبرعات السخية.

أمس الأول العاشر من حزيران 2008 اتصل بي على الهاتف من الأعظمية والد الفتى المفجوع، ليبلغني شكره أولاً لإهداء كتاب عمر والتشيع لابنه الشهيد عثمان، وليقول إن عائلته بأمس الحاجة والعوز بعد أن فقدوا ابنهم الوحيد عثمان، وأن الأرض التي خصصت له سرقت، وان الراتب التقاعدي كان أكذوبة، لكني بادرته بأنني أسجل هذا الكلام في جهاز الهاتف حتى لا تجد نفسك محاطاً بمجموعة أمنية، وأنت بين الترغيب والترهيب حتى تنكر هذه المكالمة. فأجابني برسالة هاتفية مسجلة للاتصال به على التلفون (009647702732417) لتأكيد ذلك، وإكمال الحديث عن مأساة هذا الأب الذي كان يعقد الأمل على ابنه الوحيد عثمان، لكن عثمان فضل أن يقدم نموذج الفتى العربي الذي يموت لينقذ سبعة أرواح من شيعة العراق.

إذا كان حامل لقب رئيس الوزراء رجل حمية على العوائل الفقيرة والمحتاجة لتخصيص رواتب مجزية فعائلة عثمان العبيدي، لا تتسول منك ولا من سلطة الاحتلال، وإنما تطالب بحقوق الموت بعد أن منحت هذه العائلة حق الحياة لزوار الإمام الكاظم.

لقد أبلغني من التقيت به أن حامل اللقب الحالي، بدأ يفكر بالرد على اعتراض كاتب السطور بمنح شهداء حزب الدعوة (رواتب مجزية) لكنه وهو في حالة النية، قد استثنى عوائل الحزب الذين التزموا زعامة الجعفري أو عز الدين سليم أو عبد الكريم العنزي.

• عجوز الرصيف.

في الساعة السادسة من مساء الثاني من آب 2008، نقلت فضائية البغدادية بالصورة، وصوت مراسلها في البصرة المشهد التالي:

قارعة رصيف مكشوف وأسمال من بقايا بطانية وتنكة مغطاة بالصدأ، وأم في العقد السابع، ظهرت على فمها ثلاث أسنان بيضاء ولم تكشف أضواء الكاميرا سوى بقايا جلد على جمجمة وجهها، المدبوغ بلون الأرض السبخة التي خرجت منها.

هذه الأم تبحث منذ أربعة شهور عن ابنها الذي قادته شلة من الأمريكان بدلالة ثلة من الإدلاء، إلى معتقل أمريكي، تاركاً الأم وأطفاله إلى مكارم سلطة لم تزل تحمل لقبها الشيعي، فلما يئست الأم من معرفة مصير ابنها، وحيث أودعت أطفاله في أحدى المدن، لدى عائلة فيها بقايا شهامة قديمة، قررت أن تجعل من رصيف الشارع المكشوف بيتاً تنام فيه... وتشرب من ماء التنكة.. والحرارة في البصرة تمتزج برطوبة الحد الأعلى وبدرجة مئوية تشارف الخمسين... ولا ماء تتبرد به.. ولا مكان للوضوء.. وهي تنتظر رؤية ابنها يمر ولو في قفص سيارة.

أربعة شهور، ولم ترف عضلة في وجه مسؤول نائباً عن الائتلاف، وزيراً في حكومة الائتلاف ومحافظاً يشرف على أنابيب تصدير النفط، التي تمر من جوار هذا الهيكل العظمي الملفوف بالجلد المجفف.

كان تعقيب المراسل مذهلاً... وصادقاً... «فقد حال دون رؤيتها زجاج السيارات المظللة التي تمر أمامها»... حاملة رجال مجلس المحافظة (المنتخبين) ورجال ملجس الوزراء المنتجبين وممثلي الكتل.. الطاهرين.

إن واحدة من بضعة ألوف ينامون بلا سقف، ويصلون دون الذهاب إلى بيت الماء... لا تشكل حالة تثير في المالكي وحكومته ومستشاريه روح الشفقة بتخصيص مرتب شهري جزيل كذلك الذي خصص لعائلة عدنان الحمداني، أهو نفاق في مراتبه العليا، أم فساد الذمة في مراتبها الدنيا، تحيط

بمن يختلس لقباً لعائلة ورزقاً من عائلة ولقباً لمذهب، ويعمل بالهوية المسروقة، ويصول مع الفرسان بأصوات الأم المرمية على قارعة البصرة؟ لأية وشيجة ينتسب، العاري... عن الوشائج... ومن أية شرعية شيعية يكتسب هذا وذاك لقبه ممثلاً للشيعة.؟

• سر المكرمة: الحمداني يتآمر مع محمد باقر الصدر!.

والمخفي على الناس أن جواد المالكي يحاول بهذه المكرمة التأكيد على رواية الشيخ محمد رضا النعماني في كتابه: الشهيد الصدر... وسنوات المحنة، أن عدنان الحمداني كان يرسل إلى السيد الصدر مندوباً عنه للاتفاق على حركة تغيير... وهي التي أودت بحياته لاحقاً وسنناقش الرواية بعد عرض نصها الكامل:

نص الرواية الخطيرة

«كان السيد الشهيد (رضوان الله عليه) على إطلاع كامل بمحاولة عدنان حسين عضو مجلس قيادة الثورة للإطاحة بنظام صدام التكريتي. ولم أكن مطلعاً على هذه القضية إلا بعد كشفها في فترة الحجز، وبعد أن أحس أن وقت استشهاده قد اقترب، وقصة ذلك كما يلي

كان السيد الشهيد يتصل بمنزلي هاتفياً في بعض الأيام بين الساعة الثانية بعد الظهر ويطلب حضوري لقياس ضغط الدم، وكنت قد تعلمت ذلك من بعض الأطباء، فأحضر ثم أقيس الضغط فيأمرني بالبقاء في بيته ويقول لي: إذا جاء من يطلب مقابلتي فأخبرني .

وبعد برهة من الزمن يأتي رجل لا أجد فيه ما يدل على تدينه فهو حليق اللحية، متخم بالذهب يطلب لقاء السيد الشهيد، فكنت وحسب أمر السيد أبرز له الاستعداد والترحيب، فإذا اجتمع به يطلب مني رحمة الله أن لا اسمح لأحد بالصعود إلى غرفة المكتبة وان لا اترك البيت حتى ينتهي الاجتماع، ولم يكن السر في هذا الأمر مفهوماً لي.

وفي فترة الحجز حينما سمعنا بفشل محاولة عدنان حسين للإطاحة

بصدام، رأيت السيد الشهيد رحمة الله يتأسف، فأردت أن أقول له : أن الأمر لا يعنينا، بل هو في مصلحتنا ونفعنا فقلت (نارهم تأكل حطبهم) فنظر إلي نظرة طويلة/ ولم يجب بشيء .

وفي الأيام الأخيرة من الحجز عندما أحس بقرب اجله

قال لي : أتذكر ذلك الشخص بتلك الأوصاف؟

قلت: نعم

قال : له قصة أخبرك بها لتكون ضمن ما سوف تكتبه عني. أن هذا الشخص كان مبعوثاً من قبل عدنان حسين لمهمة خاصة، فقد اخبرني أنه ينوي الإطاحة بصدام حسين، وطلب مني أن أعطيه وعداً بتأييد الثورة مشروطاً بشروط أنا أضعها، وكان منفتحاً ومتجاوباً إلى أقصى الحدود . قال: شككت في بادئ الأمر بذلك أن هذه المحاولة من محاولات السلطة للحصول على مستمسك ضدي ولكنه قدم لي من الأدلة ما بدد تلك الشكوك، فقلت له، أن موقفي بالتأييد حسب الشروط ــ وكان السيد الشهيد قد بين لي تلك الشروط ــ يتوقف على مدى التزام عدنان حسين بها بعد أن يستلم الحكم، أما قبل ذلك فلا أقف معارضاً أو سلبياً حتى تتبين الأمور.

وقد قال لي (رضوان الله عليه): كان هدفي الأساسي هو إسقاط نظام صدام التكريتي، لأن صداماً هو الرجل الذي يشكل خطورة حقيقية على الإسلام في العراق ، كما أن عدنان حسين لا يكون أسوأ منه في حال استلامه للحكم . ومما يجب أن أشير أليه هنا أن السيد الشهيد رضوان الله عليه كان يعد لمواجهة مكشوفة مع النظام متى ما توفرت الإمكانات أو اقتضت مصلحة الإسلام ذلك.

هذه بعض القضايا التي وقعت وفي إطار الإعداد لمواجهة النظام وإسقاطه، ذكرتها على نحو الاختصار.

وفي الهامش يذكر المؤلف: (واعتقد أن عدنان حسين تيقظ بعد أن عاش في عمق التجربة الطائفية لنظام التكارتة وسياستهم القائمة على أساس

التفريق فقام بهذا العمل ؛ ليصحح بعض تلك الأخطاء الكبيرة وإلا فانه كان يحظى بمركز قوي في السلطة، ولدى العائلة الحاكمة، وكان يعرف بأنه (مدلل) صدام التكريتي ، وكان صدام لا يفارقه حتى في سفراته الخاصة ، وفي زيارة (السمك المسكوف) والتي اصطحب فيها معه السمك مع الشوائين إلى فرنسا على طائرة خاصة، وعلى مائدة العشاء خاطب صدام رئيس وزراء فرنسا جاك شيراك قائلاً له: مشيراً إلى عدنان حسين هذا هو العقل الاقتصادي العراقي المفكر).

مناقشة الرواية.

هذه الرواية لا أشك في حدوثها ولا كان الشهيد محمد باقر الصدر من يروج معلومات من هذا القبيل إن لم تكن واقعة فعلاً ، ولا اشك أن الشيخ محمد رضا النعماني إنما نقل في كتابه ما شاهده. وما سمعه من السيد الصدر لكن الفقهاء وتلامذتهم في وادٍ والمهارات الأمنية وسبل عمل جهاز يشرف عليه برزان التكريتي والمكائد السياسية والإيقاع بالخصم.. أمور قد لا تأتي على خاطر الفقهاء ومريديهم والخصم في هذه المكيدة، هو عدنان الحمداني الذي يريد برزان التكريتي التخلص منه، وأبعاده عن أخيه. وتوريطه (بمؤامرة) لم يكن فيها طرفاً، وتشويه صورته أمام الحزب الذي لا يساوي عدنان الحمداني بدونه شيئاً ما.

ولأن الحمداني من منحدر شيعي رغم أن أعمامه في المحمودية واليوسفية، من أهل السنة، فأفضل وأيسر تهمة أنه يتآمر مع فقهاء شيعة على سلطة الحزب.

وبرزان يراهن على أن من أوفده لهذه المهمة الاستخبارية سيقوم بدوره ... وهو ما كان بالفعل فإذا قبض على السيد الصدر فإن برزان سيحصل على اعتراف خطير لإدانة عدنان الحمداني .

هذا ملخص سيناريو مستقى من مناخ العمل ألاستخباري وصراعات أطراف في عائلة صدام حسين ضد محيطه ومقربيه من غير رجال العائلة. وكان بين عدنان الحمداني وبرزان التكريتي كره مشترك.

وقد يضع صانع السيناريو احتمال إن السيد الصدر فيما لو تم اعتقاله في وقت سابق جداً. قد يفضل الشهادة على تقديم معلومات للمحققين وهو ما حصل فعلاً بعد اعتقاله، وفي وقت كان برزان التكريتي قد حصل على مبتغاه بعد انفراد صدام حسين بقيادة الحزب والدولة، والإعلان عن مؤامرة 1979 التي اعدم فيها عدنان الحمداني وعشرون قيادياً معه.

أن وضع السيد محمد باقر الصدر وإعلان الحصار عليه، تم وصدام حسين رئيس للجمهورية، كما توحي الرواية بذلك ووفقاً لتاريخ الحصار، وفي هذه الحالة، فإن عدنان الحمداني لم يكن موجوداً في السلطة وقد اعدم في آب 1979 ولم يباشر وظيفة في رئاسة صدام حسين سوى يوم واحد.

فهل حدثت لقاءات السيد الصدر مع مبعوثي الحمداني المعترضين، عندما كان الأخير في السلطة، وصدام حسين نائب للرئيس البكر، فما معنى وكيف يتم الانقلاب على صدام حسين؟! وكيف يجرؤ الحمداني على إرسال ممثل عنه للسيد المحاصر، المراقب، والمرصود بالعدسات المكبرة؟

هل كان عدنان الحمداني من هذا الطراز المغامر أو الساذج؟

أغلب الظن أن احد مستشاري جواد المالكي وهم فئة متواضعة التجربة والخبرة والتعليم وممن لا يحسب حساب التارخة، ولم يدرك أهمية مطابقة وقوع الحدث مع زمان وقوعه قد أشار عليه باستثمار رواية الشيخ النعماني التي بقيت مطوية في كتابه إلى أن أثرتها في كتابي (بقية الصوت) الصادر عام 200، داعياً حزب الدعوة للإجابة على جملة تساؤلا فانتشرت الرواية في الأوساط الإسلامية.

الهدف من ذلك إظهار عدنان الحمداني بصورة الطائفي الذي يفضل مصلحة مذهبه على مستقبل حزبه، والإيحاء بإنه كان خاضعاً لنفوذ المرجعية. وان الحركة المزعومة التي ذهب ضحيتها عام **1979** كان يمكن ان تكون قد تمت بالاتفاق مع مرجعية السيد الصدر؟!

ويتوقف هذا السيناريو لحالم أمام رجل بسيط مثل سائق الحمداني ليبطله

ويسخر منه ... فالحمداني خلال صعوده إلى مواقع قريبة من صدام حسين وإلى ما بعد تعيينه عضواً في القيادة القطرية، ومسؤولاً عن المنهاج الاستثماري وتسويق النفط قد تصرف بجفوة مع محيطه العائلي حذراً من رائحة التشيع ولم يعين من أبناء عمومته وأخواله أحداً، وكان يطرد زائريه إذا توجهوا إلى داره، ولم يستعن بأحد منهم سوى شخصين من عشيرة الغرير وهما من سنة حديثة، وليسا من أهل الكرادة.

وأضيف من عندي شهادة أخرى.. فلم يزر عدنان الحمداني ولا أحد من أشقائه خالهم السيد نوري السيد سلمان وهو بمثابة زعيم محلي خلال عشرين عاماً.. كما لم يزر خاله الأخر، عمي السيد داود السيد سلمان. ولا دخل إلى كرادة مريم وزار أحداً من أقربائه. ولهذا فلم يشارك احد منهم بتشييعه رحمه الله.

● أسرى المستوطنة الخضراء.

أكذوبة السياسة التي تتردد على شفاه مذيعي ومذيعات مئة فضائية عربية سنبطل مفعولها بلا مقدمات فالعراق ليس تحت الاحتلال الأميركي.

والبقعة المحتلة هي فقط قريتي وضاحيتي ونخلتي في كرادة مريم – الضاحية الجنوبية لبغداد – والتي تمتد على مساحة سبعة كيلومترات مربعة فقط من 450.000 ألف كيلومتر مربع مساحة العراق.

وفي داخل هذه السبعة كيلومترات، أقام الحاكم الأميركي برايمر واستوطن قائد القوات الأميركية ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء ورؤساء الأجهزة الأمنية وأي عضو له مواطئ قدم في النظام الحالي.

وقد سميت بالمنطقة الخضراء، وكنت قد أطلقت عليها منذ الثمانينات اسم المستوطنة، حيث استباحتها السلطة منذ العام 1970 وأخرجت سكانها الأصليين في غارات قادها برزان التكريتي وأفرغت كرادة مريم من أهلها مقابل مبالغ لم تكن تكفي لتسديد الإيجار السنوي للبيوت المتواضعة التي توزع عليها أهالي الكرادة في اطراف بغداد النائية وأسكنوا فيها القادمين من

قرى السلطة، ورجال المخابرات وفروعها. ولم يبق سوى أقل من ربع الضاحية لأهلها الأصليين.

العراق المحتل هو فقط ضاحيتي التي يعتقل فيها حالياً المسؤولون العراقيون (الكبار) ويحرم عليهم كما يحرم على أسرى المعسكرات مغادرة البوابات المحروسة، لأن الخارج منها سيقتنص أو يختطف أو يفجر، ولهذا لم تقم بعد خمس سنوات أية صلة بين ربع الضاحية خارج المستوطنة والنازلين داخل المستوطنة فلم يشاهد وزير أو رئيس وزراء بل حتى المترجمين فقد تمرسوا على فنون الاختفاء.

الأسرى همو... وليس العراقيين..

الأسرى شيعة السلطة لا شيعة العراق

وقادة القوات الأميركية وليس جنود الجيش العراقي المسرحين.

فلا ينبغي الحديث عن شعب محتل... وإنما عن سلطة محتلة ومجلس وزراء محتل وبرلمان محتل وإذا كان هناك من ينبغي العمل على تحريره، فأولهم حامل لقب رئيس الوزراء المعتقل الدائم في المستوطنة الخضراء وحاشيته، والذي إذا احتاج إلى مغادرة المستوطنة المحتلة فبقافلة يربو عدد سياراتها على عدد باصات نقل الركاب التي كانت شوارع بغداد تزهو بها.

أظن أن إحجام النظام العربي عن إرسال سفراء إلى العراق، يوجز برغبته في عدم رؤية سفرائه معتقلين داخل المستوطنة الخضراء، أو رؤيتهم شظايا متطايرة في الفضاء خارج المنطقة الخضراء.

ولا يتقبل مسؤول عربي أن يسلم مفاتيح الدبلوماسية للحرس الشرق آسيوي التابع لشركات الأمن الخاصة والتي تفتش إلى حد التعرية أي مسؤول سيمر تحت أحدى بوابات المستوطنة.

من الطبيعي أن أكثر من سبب غير هذا قد منع إقامة علاقات عربية مع سلطة المستوطنة، فهم لا يثقون بوزارة الخارجية العراقية، ولا بمعظم موظفيها، وهم يعرفون أن الولايات المتحدة الأميركية منذ احتلال العراق

حاولت أن تكون بعض الوزارات والمؤسسات الأمنية تحت سيادتها المباشرة، ومنها وزارتا الخارجية والدفاع ومستشارية الأمن القومي.

أهو في غفلة التوافق عن هذه الحقيقة، وأن وزارة الخارجية هي حصة أميركية خالصة غير خاضعة لإرادة التحالف الكردستاني في الخارجية والتوافق العربي كما هو شائع.

إن هذه الوزارات ومؤسسات أمنية أخرى هي أقرب إلى الشركات الأمنية الخاصة منها إلى المؤسسات الوطنية العامة.

وكما لم تستطع سلطة المستوطنة الخضراء إلغاء عقد شركة «بلاك ووتر» التي قتل مجندوها سبعة عشر عاملاً عراقياً كانوا ينتظرون من يشتري طاقة العمل في قطاع البناء، فأعلن مسؤول حكومة المستوطنة إنهاء عقد «بلاك ووتر» الذي جدد بأمر مباشر وقعه السفير الأميركي فأخرس السفير الحاكم أفواه المحكومين فلم ينطق منهم ناطق، وكأن الرأي العام العربي لم يسمع تصريح رئيس الوزراء بنفسه أنه ألغى عقد شركة بلاك ووتر وكأنه هو صاحب القرار.

● عودة الألقاب.

في المنقول الصحفي، والمقروء السياسي، شبعت الأوراق والصحف من قضم الكلام المخصص لمن يتعاون مع دولة أجنبية فرداً أم نظاماً، فتحولت كلمة جميلة كالعميل، إلى معنى الجاسوس أو المتعاون مع العدو، ولكل دولة كبرى عملاء صغار، بعناوين سياسية كبيرة، وكان متوقعاً استحداث مكبرات اللغة ومضخمات الألقاب لمعادلة الفعل الشائن، فكانت الفخامة.. والمعالي... والسعادة وصاحب الدولة بلغة أهل لبنان بدلاً من ناهب الدولة مثلاً، فالتقط الجواهري نتفاً من الألقاب وأودعها في ساخرته السائرة... طرطرا! وهو يخاطب بطرطرا... المقادير..

واغتصبي لضفدع سمات ليث قسور

ولهذا سارعت ثورة 14 تموز عام 1958 إلى تحريم استعمالها، وهي لم تعد تحتاجها، فالذين شكلوا الإدارة العراقية العليا للدولة لم يفعلوا المشين حتى نرفعهم بالفخامة، ولا العمالة حتى نرفعهم بالمعالي، ولا البؤس للناس حتى نعطيهم السعادة.

جرى الاتفاق على الاكتفاء بالسيد... وهكذا فعل جمال عبد الناصر قبل عبد الكريم قاسم بست سنوات!! ثم عادت الألقاب في العراق الأميركي لتجدد عهدها البائد في العراق البريطاني. والغريب أن لا مرسوماً جمهورياً صدر باستعمالها، ولا اجتمع مجلس الوزراء لإعادة العمل بها!

لقد جاءت وحدها، تتمشى بفعل الضرورة.. وظهرت على لسان الحاشية لترفع الشائن والمشين، تلقائياً. وفي عودتها العفوية، صدق الإحساس، فلو أنها عادت في عهد عبد السلام عارف لطرحها الذوق العام، لكنها استقبلت كما لو أنها عودة المنفي إلى أهله!

أن الذائقة العراقية في سجيتها العربية تنفر من الألقاب، لاسيما إذا ارتبطت بشخصيات يبدو تقمصها متكلفاً، وكأن الرجل منهم يلبس ثياب غيره.

ولا أظن ناطقاً بها سيكون مقتنعاً وهو يخاطب جواد المالكي، بصاحب الدولة، أو دولة الرئيس.

● الصدريون والصحويون!.

تدفع مصانع الكلام في مدن القرار الدولي، بمنتوجها اللغوي فيتناوله إعلاميو الشرق بنهم وتكرار. وبدون مراجعة أو وقفة تأمل أمام المخلوق اللساني الجديد. وهل هو لنا أم علينا، وهل كان المدفوع إلى الشفاه الإذاعية والأقلام الصحفية مناسباً لذوقنا السياسي أم أنه سينتزع ثيابنا اللغوية!؟

هكذا العالم المستهلك. يأكل ما ترميه مصانع الكلام، ومطابخ الطعام، ومناسج اللباس. وملتهمو الوجبات السريعة يأكلونها، مفردة صحفية جديدة، أم قطعة هامبرغر!

لعلنا بهذا الإحساس – لم نسرع إلى مفردة الإرهاب، وهي، وإن كانت عربية، قرآنية، لكن استعمالاتها ودلالاتها الآتية من وراء الأطلسي، قد جنحت بها إلى سواحل قاصية، وتحولت إلى معانٍ وأهداف معاكسة للاستعمال العربي – القرآني.

ولا نظن أن الخوف ممن يسمونهم حراس اللغة، يرحمهم التاريخ، سيجعلنا عاجزين عن صناعة ما تحتاجه حياتنا السياسية اليومية من مفردات لغوية.

على أية حال...

فلولا الصدريون الشيعة، لما احتفظ بغدادي شيعي بعنوان مسكنه. ولما بقي على البسيطة البغدادية ذكر للشيعة، والقتل عشوائي، والواحد من القاعدة يمزق معه أحشاء الأحياء الفقيرة ويعطل الأسواق، ويغلق المدارس، ويهجر المؤذنين، ويحرق الصوامع!.

ولولا الصحويون السنة الذين ولدوا في الحاضنة القاعدية، الأنبار، ومدنها وقبائلها، لكان شقيقنا المتسلل من أفران في المغرب، ووهران في الجزائر، وأم درمان في السودان، ومعان في الأردن، و(القصمان) في السعودية، قد انتهى من شرب دماء المسلمين أولاً في الأنبار الخالصة لوجه الله، قبل أن يأكل أجساد المسلمين الشيعة، والعراقيين المسيحيين في بغداد والموصل.

لا وزارة الداخلية وذئابها وعقاربها، ولصوصها ولا وزارة اخرى مهما زاد عدد مغاويرها، وأسلحتها الوهمية المسروقة، كانت ستستطيع إزاحة خمسة مسلحين في حي الفضل المغلق وسط الرصافة.، أو في حي العامرية المكشوف على أطراف الكرخ.

الصدريون بفدائيتهم وغيرتهم واندفاعهم، هم الذين ابقوا شيعة بغداد ومحيطها في محيطهم التاريخي.

والصحويون بشجاعة السليك بن السلكة، وعروة بن الورد والشنفرى، ونخوة القبيلة الخالصة، فتحوا بادية الشام. وأنقذوا المسافر على طرقها من الموت اليومي. والنهب والسلب والقتل على الهوية، بعد أن عجزت أو

تعاجزت القوة الأمريكية عن حفظ حياة الناس على هذا الطريق.

والصحويون أعادوا ديار الأنبار لمنظومتها التاريخية، فحفظوا بيئة السـنة من اجتياح منظومتها التقليدية بالطارئ عليها.

ولأن الصدريين نظفوا الأحياء من فئة لا تمتلك لغـة، ولا نهـج عمـل، ولا خطاباً، سوى الانتحار، فقد آن للمهزومين أمام القادمين من إفران ووهـران وأم درمان والقصمان أن يستزلموا ويسترجلوا.. بعد أن استنوقتهم غزوة الغـزاة.. فشرعوا بالبحث عن الخارجين على القانون، وصولة الفرسان تصول...

أما خبراء أهل الصحوة والنخوة، والذين أبلـوا الـبلاء الشـجاع فقطـع الأرزاق، وتسهيل الوصول لمن يريد بهم سوءاً، وكريت قنوات سرية، فعـاد الموت القاعدي وبموافقة حكومة الاحتلال وبغمض منها، إلـى الـذين بهـم وبصدورهم، قاتلوا موت القاعدة، وصرعوه!.

اشهد أن السهولة التي يجري فيها حالياً تفجير الصحويين هي مـن فعـل هذه السلطة المأزومة بالخوف من السنة العرب ولو قاتلوا معها، واشـتركوا في عملياتها.

أما الصدريون فحديثهم السحر الحلال!

هم الآن غيرهم بالأمس.. فحمامـات الـدم المفتوحـة، سـيخرج منهـا الصدريون وقد غسلوا العوالق، وسيصبح التيار الشجاع والمقدام، هو تيـار التوحيد والتحرير.

ومن هذه السطور تعلو دعوة ونداء إلى قيام الحـزب الواحـد، والقائمـة الموحدة، لأهل النخوة الصدرية، ولأهل الصحوة.

إنها القوة الجديدة التي ستكتسح أحزاب التقسيم. وبهما سيولد العراق من جديد. مثلما ولد عشرين مرة في عشرين قرناً أسود. لكنها دعوة رجل حـالم بالعودة إلى أول مدرسة في مدينة حديثة عمل فيها، وإلى مقهى البلدية فـي الرمادي.. أو إلى بقايا نخلة الدار في الكرادة.

فالصحويون، كما يريدهم الاحتلال، قوة إسناد لهم.. ولا غير.

والصدريون كما نراهم، ونحسبهم لا يحملون وداً وطنياً لأهل الصحوة..

.. رغم هذا ففي السياسة. يلتقي الفرقاء.!

وهذا هو معناها ومغزاها.

محمد باقر الحكيم... حيث لا تدفن الرايات

❖ رجال الحكيم ورجال صدام، تنكروا لهما بعد الرحيل.

❖ التقينا في أربع عواصم.

❖ لقاء مع السيد الخامنئي.

❖ اعتذار الدوحة!.

❖ عبد العزيز الحكيم... مجلس الوراثة.

• عنوان رثائية لكاتب السطور في رحيل السيد الحكيم نشرتها جريدة النهار البيروتية في عددها الصادر بتاريخ 8 ــ أيلول ــ 2003

• تنكروا لهما بعد الرحيل!.

قد يسعفني كاتب في الإعلام الإسلامي، وينشط ذاكرتي، فيذكر كاتباً له نفوذ وقراء ولغة وحس وطني، قد سطر في رحيل رئيسه الذي بدمه صار المغمور وزيراً، والمركون نائباً أول وبائع الأدعية رئيساً لهم.

من عذاب الذاكرة الناشطة، أن تلح على الكاتب دائماً بإقامة المقاربات، وإن بين طرفين متعاكسين، وقد التقطت في السنوات الخمس مشهدين يجتمعان في موقف الإتباع فيهما ويختلفان على كل شيء آخر، بين رحيل الزعيم المعارض، الذي أورث سلطة لإتباع مغمورين، فلم تتحرك عضلة في قلوبهم، وبين رحيل رئيس الجمهورية وزعيم الحزب الحاكم شنقاً على منصة أميركية، فيما من كان لحم أكتافهم من جيبه، وأساور نسائهم من هباته، وشامخات قصورهم من مكرماته انفضوا عنه في لحظة واحدة.

كتب لوحة الفجيعة في جريدة النهار من لم يكن يوماً من أتباع الحكيم، ولم يصل وراءه ولم ينتفع بنافعة وهو في غنى عنها، فيما اختفى الأصحاب، وقد صاروا به قادة ووزراء وبرلمانيين وموقعي عقود.

وكتب عن صدام حسين طريده في المطاردة التاريخية، حتى صار هو من يطارده، ويتحدث عن لحظة رحيله، وحاملو الكواتم الدبلوماسية، والمنتفعون بنفاياته منتشرون في بلدان ترحب صحفها وشاشاتها بهم إن أرادوا.

• التقينا في أربع عواصم.

ثلاثة أرباع الإسلاميين الشيعة لا يحبونه!

وأربعة أرباع المتصدين منهم للعمل السياسي مرتاحون لغيابه!.

ومعظم الكوادر العسكرية والإدارية والإعلامية، تذمرت منه وخرجت عليه، ولم تعد. فترك جيلاً من منتقدي سياسته، يملأون شواغر الكوى الإسلامية ومؤسساتها الإعلامية المتواضعة، لكن أياً من هؤلاء لم يذهب إلى حزب

الدعوة غريمة الأول، ومتصيد هفواته، وناشرها بين الأوساط السياسية. وكان أشد الصامتين على المنبر، أشدهم قسوة عليه في تسريب الإشاعات بقسماتهم القاسية، وقسوتهم عليه.. وكان أي منهم يريدها، ولا يقدر عليها.

من المصادفات النادرة أم من، سعة الميدان واستجابة الأقدام أن نلتقي السيد محمد باقر الحكيم وأنا في أربع عواصم!!

زرته في طهران بدعوة منه بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية مرات، وزار دمشق مرات فالتقينا وزار الرياض واجتمعنا أكثر من مرة. وفي الكويت وكنت ضيفاً، أخبرني وزير الخارجية الأمير الحالي، بأن السيد محمد باقر الحكيم سيصل، ومن الأفضل لو أجلت سفرك يومين للالتقاء بسماحته. وفي أحدى ديوانيات الكويت طلب الحاضرون إلى كاتب السطور بمداخلة أو حديث، فاعتذرت عن ذلك.

وفي الرياض اجتمعنا قبل وصوله للتداول حول طريقة استقباله، رداً على معارضين عراقيين كانوا مستاءين من تلك الزيارة، لكن أكثرهم أستياءً، كانوا من معتمري العمائم البديلة الذين قدموا أنفسهم للعمل مع دول غربية، قبل أن تنفتح أبواب الخليج للمعارضة بعشر سنوات!

وفي دمشق كان حزب الدعوة يتكتل مع جماعات وأشخاص من طراز هؤلاء الذين رصدوا مشهد تقبيل يد السيد عند استقباله في الرياض، وليس لحزب الدعوة زعيم أو وجه يمكن أن يقدمه إلى وجوه العرب... فالمالكي الموجود بدمشق لم يكن يفكر موظف بدرجة مدير قسم باستقباله طيلة عشرين عاماً، لأنه غير مؤهل اجتماعياً وليست له ميزة ما تساعده على الوجاهة.

وكان السيد محمد باقر الحكيم، قد ارتكب خطأ دونه أي خطأ... وهو في جلسة مع الرئيس الراحل حافظ الأسد الذي سأله كالعادة عن أوضاع عمله.. فشكا إليه أن أحد القادة الأمنيين الكبار لا يوافق دائماً على تلبية مطالب مكتبه الذي يديره بيان جبر بدمشق!.

وكأن الدولة السورية أو أية دولة أخرى، ستهم لإقصاء ومعاقبة قائد أمني مجرب ومتمرس، وممن خاض الغمرات لمجرد أن ضيفاً عندها كان مستاءً منه!

لا أدري من أشار على السيد بهذه الورطة، وإن كان واضحاً أن بيان جبر كان وراءها.

إن المجال السياسي والنفسي، كان حتماً سيضيق أمام المتحدثين في هذا القمة وقد هبط عنها طرف، وانزلق إلى الصغير من الأمور.

كان السيد الحكيم، ومن ورائه بيان جبر، يعتقد أن الرئيس حافظ الأسد، يشبه المرويات عن صدام حسين في اصطياد أي خبر يقدم إليه عن حركة أي مسؤول ليتشفى بتقريعه أو يسجل نقطة عليه سيحتفظ بها إلى يوم موعود!

ذلك لا يعني أن يضحى رئيس الدولة بأفضل مساعديه الأمنيين، من أجل خاطر الزائر! ولو كان هذا الرئيس هو صدام حسين المعروف باستجاباته السريعة للشكاوي المرفوعة ضد المسؤولين العراقيين.

والأغرب من هذا، أن السيد قد أبلغ مساعديه بهذه الشكوى!! فشرع بيان جبر بترويجها في الأوساط السياسية، مما يعني أنها وصلت في ذات اليوم إلى المصدر الذي استهدفته الشكوى،.

• لقاء مع السيد الخامنئي.

أما لقاءاتي بالسيد الحكيم في طهران، فكانت طبيعتها ونتائجها على جانب من أناقة البروتوكول، وحسن التدبير.. وقد رتب في واحدة منها لقاء مع السيد علي خامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية فوجدت أمامه، وهو يجلس على بساط الأرض، مجموعة من كتبي، وبعد حديث مشترك، قال وقد رفع بيده نسخة من كتاب أسوار الطين في عقدة الكويت وإيديولوجيا الضم قائلا:

هذا الكتاب كان يمكن أن يجيبنا لو صدر أثناء حياة الإمام الخميني، وكنا نتوقف عند أسئلة بلا جواب، فقرأنا الجواب فيه..

وأضاف أنه سند الحق..

فشكرته قائلاً أنني لست إسلامياً، وهذا كتاب للتاريخ كنت فيه شاهداً أو ناقل خبر.

فأجاب.. ولكن كتاباتك تخدم البشرية.. فنشر كلام السيد الخامنئي في الصحف، ومنها جريدة نداء الرافدين التي يصدرها المجلس في دمشق، وكان الشيخ محمد علي التسخيري يترجم للسيد الخامنئي الذي أنهى حديثه بتكليف الشيخ التسخيري لاجتماع خاص معي.

كان حزب الدعوة يقاطع محاضراتي ولقاءاتي في طهران معلناً، أن الدعاة لا يحضرون اجتماعاً بعثياً، لكن علي الأديب زارني مشكوراً في الفندق، فأثرت ذلك معه موضحاً... «أن جميع الدعاة في سورية يحملون هوية حزب البعث الصادرة عن القيادة القومية، ولم أحملها مع من يحملها من عائلة المالكي مثلاً المالكي، للأسف الشديد حتى الآن، فعسى أن يتوسط ممثلكم في سورية لاستخراج هوية القيادة القومية لأفراد عائلتي» أسوة بأفراد عائلته وحزبه.

• اعتذار الدوحة عن لقاء الحكيم.

وكان متوقعاً أن نلتقي في عاصمة خامسة، هي الدوحة حيث استقبلني أمير قطر عند دعوتي لإلقاء محاضرة عامة، حول دوافع صدام حسين لاحتلال الكويت، فخصصت قاعة كبرى في شيراتون الدوحة، ونقلت المحاضرة على الهواء مباشرة في التلفزيون القطري بإيعاز من ولي العهد.

وكنت على اتصال مع السيد الحكيم، حول معظم التفاصيل الأساسية للقاءاتي مع قادة الخليج ونخبهم الثقافية وممثليهم في المجالس البرلمانية، واتفقنا على جس نبض القطريين لإقامة علاقة على غرار العلاقة الكويتية، أو زيارة على غرار زيارته للرياض وكلتاهما تمت في وقت لاحق، فأبديت مع المقترح حذراً في احتمال أن يأتي الرد سلبياً هذه المرة لحساسيات معقدة، ترتبط بعلاقة قطر بجوارها الخليجي وبينت للسيد أن دعوتهم لجلال الطالباني

ولي، كانت لغرض إعلامي أكثر منه سياسياً وأن جرت أحاديث سياسية على هامش تلك الدعوة.

وكان شرط ظهوري في التلفزيون القطري في تلك الدعوة، أن انفرد كعادتي وحدي مع المكلف بالحوار وهو الأستاذ الدكتور محمد المسفر واعتذرت لهم عن الظهور بندوة مشتركة، كان ثالثنا فيها الأستاذ محمود الشيخ راضي، وهو ممثل حزب البعث العراقي في سوريا ولم يكن إعلامياً فوقعت المفارقة، وهو رجل ليس له ماض إعلامي أو تجربة في هذا الإطار، فكيف سيوفق لأداء دوره مقابل الطالباني المثقف والأديب وراوية الجواهري والزعيم الكردي المعروف في المحيط العربي؟

ومن المفارقات أن تستمر ضيافتي حتى انعقاد مؤتمر قمة الخليج في الدوحة، وأن تعرض مقابلتي دون غيرها ست مرات، كانت واحدة منها والملك فهد متفرغ في جناحه وهو يتابع تفاصيلها، فطلب إلي مسؤولين في الديوان الأميري القطري الاتصال بي وزيارته فبادرني ومعه مجموعة من مساعديه وهو يبتسم.

أنا لا أكاد أصدق أن معارضاً كان يعمل عشر سنوات ضد صدام حسين، فيما تحسب له الدول أكثر من حساب وأبلغني أنه طلب نسخة من هذه المقابلة وقد أمر ببثها في التلفزيون السعودي كما هي.

أن العلاقة هذه ولقاءاتي مع ولي العهد الأمير الحالي، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، قد شجعتني على مفاتحته وأنا في لندن في رسالة خاصة لإقامة علاقة مع السيد محمد باقر الحكيم، فاستلمت رسالة منه أرسلت عندما أحالها مكتبه الخاص إلى الوزير والمستشار القانوني في المكتب وليس المسؤول السياسي فيه، فشعرت من إطلاعي على العنوان في أعلى الصفحة، وكأن الإشكال ليس سياسياً، وإنما يتعلق بأعراف أخرى، وهو يعتذر لعدم سماح ظرفه في الوقت الحالي، وأن تسمح الظروف في المستقبل لتحديد موعد للقاء سموه.

فاتصلت بسفير قطر لدى المملكة المتحدة، وزرته لاحقاً فأبلغته أن مقترحي

هذا كان يستهدف توفير فرصة لدولة قطر بالتعرف على زعيم المعارضة العراقية، ولم يكن السيد الحكيم على علم بهذه الترتيبات، وهذا أسلوب عملي المشترك منذ سنوات. فأجابني بأن أعراف الخليج تقضي بعدم المنافسة في علاقاتها مع الآخرين، وإن دخولنا على الخط سيفهم في سياق هذا التنافس.

ومن المصادفات أن يزورني بعد عودتي إلى دمشق الدكتور عادل عبد المهدي قادماً من باريس، ومعه ممثل المجلس بيان جبر، فيعرض علي الدكتور عادل فكرة توسيع دائرة عمل المجلس الإسلامي في دول الخليج، واستخدام علاقاتي الواسعة في هذا الشأن ولم أبلغه بأية تفاصيل سوى القول، بأن شرطي لمواصلة جهودي مع الخليج، أن تكون مجموعة من شيوخ الفرات الأوسط بملابسهم العربية أعضاء في الوفد الذي يتزعمه السيد الحكيم لزيارة الخليج بدلاً من المعممين أو الذين ينحدرون من أصلاب غير عربية، تثير حساسيات قومية لاسيما وأن الحرب العراقية – الإيرانية لا زال دخانها يملأ فضاء الخليج.

وللأسف الشديد فلم يلتق عقال خليجي بعقال عراقي في الوفود التي رافقت السيد محمد باقر الحكيم طيلة سنوات.

وهذا هو نص الجواب الذي بعثه مكتب ولي العهد وزير الدفاع:

الوزير المستشار القانوني

الدوحة: 1413/5/22هـ

الموافق: 1992/11/17

الرقم: م و ع/92 –

السيد الأستاذ حسن العلوي المحترم

تحية طيبة

وبعد، فأود إبلاغكم أن سعادة سفير دولة قطر لدى المملكة المتحدة قام بتوصيل رسالتكم إلى سمو ولي العهد ووزير الدفاع، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

وبعد اطلاع سموه عليها أشار بالكتابة إليكم ليشكركم على ما جاء فيها من كلمات رقيقة طيبة.

وإبلاغكم أن يأسف لعدم سماح ظروفه في الوقت الحالي، للقاء السيد محمد باقر الحكيم، بسبب ارتباطاته الكثيرة بشأن ممارسة مسؤولياته ولقاءاته التي حددت مواعيدها منذ فترة طويلة.

وأرجو أن تسمح الظروف في المستقبل لتحديد موعد له للقاء سموه.

ولكم مني أخي العزيز صادق المودة وخالص التقدير.

د. نجيب بن محمد النعيمي

الوزير المستشار القانوني

بمكتب سمو ولي العهد وزير الدفاع

● عبد العزيز الحكيم... ومجلس الوراثة.

حين وقعت عيني على لحظة اعتقال صدام حسين، ازددت يقيناً أن قراري بالتوقف عن نقده ونظامه الذي اتخذته وقد خرجت كاللديغ من القصر الجمهوري بعد الاحتلال كان صائباً... وكان صائباً أني لن أدخل هذا المكان.. وعلى جراح السنين أن تندمل، وهذا خصمي قيد الأسر بعد أن طاردني وطاردته ثلاثاً وعشرين سنة، أحال فيها كل قائم بالأعمال في بلد يعيش على أرضه معارض عراقي إلى قائم بالاغتيال، كما ورد في مقال لنا نشر عام 1994.

فهل سأكتب في السيد عبد العزيز بن السيد محسن الحكيم، وشقيق محمد مهدي، ومحمد باقر، وكلاهما شريك عمل وشهيد حرية كلاماً يمس شخصه الكريم، وهو في مرضه هذا؟

سأحترم العلاقة الإنسانية، وسأحترم أيضاً تاريخاً تشبثت به شاهداً وكاتباً.

فلم يكن السيد عبد العزيز قريباً مني ولا كنت قريباً منه، ولم يحضر لقاءاتي مع السيد محمد باقر، ولا فكرت بزيارته، ويعود ذلك إلى لحظة عابرة مرت علينا في جلسة يتيمة تحدث فيها بربع اللسان، وتحدثت إليه بصفر

القلب، وبادلته الجفوة بالجفاء!

غير أن العلاقة بالمجلس ورئيسه كانت على وتيرتها الصاعدة، وكنت أسعى معه لأن يتحول إلى رئيس للحركة الوطنية العراقية بمزج إسلاميته بعروبته، ووطنيته، وهذا المثلث إن لم يكن متساوي الأضلاع، فإن أي ضلعين فيه يتعاونان لصياغة زعيم على غرار محمد رضا الشبيبي ومحمد جعفر أبو التمن.

ولم تنقطع مشاوراتي معه، فاقترحت عليه في رسائل احتفظ بها، أن ينتدب إلى لندن شقيقه السيد عبد العزيز ممثلاً عنه في المفاوضات مع الأطراف العراقية والدولية، بدلاً من حامد البياتي الذي يبدو في حجم أصغر من ممثلي القوى السياسية الأخرى.

وفي مؤتمر لندن الذي انعقد أواسط كانون الثاني 2002 قبيل سقوط صدام حسين، فوجئت بدخول السيد عبد العزيز إلى القاعة وكنت واقفاً قبالة المدخل، فمر ومعه بيان جبر، والشيخ همام حمودي، وحامد البياتي، فلم يلق أي منهم بالتحية وكأنهم شموا رائحتها، فأخذهم الكبر وكانوا على حق...

وإذا كنت أبرر هذا للسيد عبد العزيز الحكيم بسبب الجفوة المشتركة، فقد لا تكون مبررة للشيخ همام حمودي وبيان جبر، لما بيننا من ود مشترك، وعلاقة قديمة كما سيفصل الحديث فيها عند مرورنا عليهما في هذا الكتاب.

ولكي لا يظلم الرجل، لا بد من تحليل علمي، يفسر أداءه المحدود للعلاقات العامة، وعزوفه عن مشروع لتوسعة فلكه الشخصي والاجتماعي والسياسي، وهو في عقر العمل في حقل الخدمة العامة.

فقد أمضى السيد عبد العزيز الحكيم طفولته وجزء من صباه في الحوزة البيتية، إذ توفر له شيوخ في دار المرجعية، ووسط أشقاء وأعمام وأبناء أعمام من العلماء، فلم يخرج إلى الناس ويختلط بهم، ومن هذه العزلة، انتقل وفي ظروف قاهرة إلى طهران، ليجد نفسه أمام مسؤولية كبيرة لقيادة حركة المجاهدين، وهي جناح عسكري للمجلس الإسلامي، وهذه مهمة تتطلب منه

الإيغال في العزلة عن المحيط تحت مفعول الهاجس الأمني، فأمضى سنوات طويلة في بيئة سرية خالصة.

ولم يكن حظه حسناً في إرث الزعامة القادمة إليه من غياب السيد محمد باقر الحكيم، فصار قريباً إلى ما أصطلح عليه، بنظرية الأسطورة والفراغ التي حكمت وتحكم سلسلة الرئاسة الأولى، في عالم السياسة والدول والأحزاب، بالصف الثاني وأرث الزعامة ولياً للعهد أو نائباً للرئيس أم أميناً عاماً مساعداً، والفرق بين الغائب ومن يليه قد يستغرق عدد سنوات التجربة والخبرة والنفوذ الروحي والشخصي، التي ينفرد بها السابق، فيقع القادم إلى الزعامة في فراغ يصعب عليه تعبئته.

والحالة ترتبط أيضاً بالكارزيما التي قد تستكمل حلقاتها في تجربة الزعيم الأول، وتضعف عند انحدارها إلى الثاني.

وفي مجلس الحكم الذي شكله الحاكم الإداري بول برايمر وفي دورته الرئاسية لمدة شهر، كان تصريحه غير المدروس حول تعويضات عراقية بمائة مليار دولار لإيران بسبب الحرب، مثيراً للاحتجاجات الوطنية والقومية، فكيف يلزم بلده وشعبه بأداء هذا المبلغ لطرف معاد في معادلة الحرب، والحكيم بمقام رئيس الدولة، وهو في أول خطوة سلطوية، وفي مطلع تحول كبير لصالح الشيعة؟!

ربما أمسك خصومه، أو لعله هو الذي أعطى لهم ممسك العنق.

لم يقدم لشيعة العراق وعداً بمشروع زراعي، ولا بزيادة كميات المياه في نهر الغراف، ولا أملاً في إعادة المياه إلى الأهوار المجففة، ولا ألزم نفساً في فرصة نادرة لقيمومة سلطة الفقراء، ولم يخاطب نصف الشعب الآخر، الذي فتح عينيه فوجد نفسه منزوع السلطة، منذ عهد أبي جعفر المنصور، ولا خاطب الخائفين، ونحن في الأيام الأولى من التغيير، بأخوة الضرر والمنفعة، والمصير الواحد.

لم يكن في إدائه هذا صاحب مشروع سياسي، ولا حامل أفكار، مما كان

السياسيون يروجون لها بغية كسب الناس إليهم، والتفافهم حوله.

فإذا حكمت الآجال لا سامح الله ورحل السيد عبد العزيز الحكيم فما الصورة القادمة؟

قلنا إن المجلس ليس له أيديولوجيا خاصة ولا تنظيم صارم، وهو يقوم على فكرة بسيطة... فمن كان شيعياً مرتبطاً بالمرجعية، وأحب القيام بعمل سياسي، فليس عليه أكثر من إعلان موقفه هذا، وسيكون من أتباعه على الفور.

ولهذا فإن الخوف من انشقاق تنظيمي قد لا يحصل، والمجلس يقوم على موروث مرجعي من تلك الهالة التي أحاطت بالسيد محسن الحكيم بوصفه المرجع الذي تحرك سياسياً، وولدت في غرفة ابنه محمد مهدي، فكرة الدخول المباشر للإسلامي الشيعي في السياسة اليومية، قبل أن تقوم ثورة الخميني، ويصبح ابنه السيد محمد باقر الحكيم الممثل المعتمد والمفضل لدى الخميني في الشأن العراقي، بعد رحيل محمد باقر الصدر.

إن المجلس لم يأت من فراغ، ولم يكن قراراً أصدره قائد الثورة الإسلامية، والذي صار عند خصومه قراراً إيرانياً محضاً، إن حركة السيد محسن الحكيم في السياسة العراقية، تعود إلى عهد صباه، وهو في السادسة عشرة، أميناً مالياً، وسكرتيراً للسيد محمد سعيد الحبوبي في حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني في الحرب العالمية الأولى، قبل أن تنفجر ثورة العشرين التي كان الحكيم من رجالها.

الحكيم عائلة سيا ـ دينية، وهي أوضح نموذج لامتزاج الدين بالسياسة على غرار مدرسة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، وتنفرد بأن عائلة في تاريخ العراق، لم تقدم من الضحايا مثلما قدمته عائلة الحكيم، فقهاء، وقادة، وزعماء سياسيين، وطلبة علم في مقتبل العمر حتى بلغ العدد الذي أفردت له افتتاحية في جريدة التيار الجديد عام 1986 أكثر من 22 عالماً وزاهداً.

والمفترض توسيع المشاركة في قيادة هذه المؤسسة، ما دامت قد دخلت العمل السياسي العام و شاركت في الانتخابات البرلمانية، وصار لها وزراء

ونواب بغض النظر عن سوء الاختيار، لكن القرار صدر بتسمية السيد عمار الحكيم بن السيد عبد العزيز نائباً لأبيه.

فهل هي بداية تمرد أو تململ على الأقل، لأعضاء بارزين في المجلس، أو لعلماء في عائلة الحكيم خارج أبنائه؟

من المستبعد أن تسند الولاية إلى عمامة بيضاء، ما دام التيار الصدري، وتقاليد أخرى.. قائمة..

والأبعد أن يصبح حاسر الرأس زعيماً له، خلافاً لغريمه حزب الدعوة الذي أبقى الحاسرين، وأقصى معتمري العمائم بلونيها الأسود والأبيض.

فإذا جال جائل منهم، ورفع ذيل ثوبه، وبحبح وتنحنح إيذاناً بخروج المجلس إلى ما بعد مرحلة التأسيس، فسيعود إليه نادماً...

إن المجلس سيعود إلى ذاته ـ كلما حاول الخروج عليها.

هذه هي القاعدة عندنا، ولهذا، استكان عن طيبة خاطر أم عن سوئه جميع الأعضاء الأساسيين لهذا الخيار!

فلماذا لم يصطلح على المنتسبين إلى المجلس بالحكيميين أسوة بالصدريين؟!

لماذا يعلن الصدريون بالكثير من الاعتزاز أنهم صدريون، فيما يهرب هؤلاء عن مصطلح الحكيميين؟!

وإذا لم يفعلوا ولن يفعلوا، فهل يمكن الاصطلاح عليهم بالمجلسيين، وواحدهم المجلسي... وسينصرف الذهن الشيعي إلى المؤرخ الإيراني الأشهر محمد باقر المجلسي، بدلاً من محمد باقر الحكيم؟!

قلت مرة في جريدة الشمس الصادرة عام 1992، كل محمد باقر يرحل إلى الآخرة، فهو مكسب للسيد محمد بحر العلوم! فبعد محمد باقر الصدر ظهر محمد باقر الحكيم، فإذا رحل محمد باقر الحكيم، فسيبقى أمامه محمد باقر

الناصري بعمامته الكبيرة البيضاء، التي باتت مشكلة في حزب الدعوة الحاسر والذي أقصى العمامة عن حزبه، فأي حزب سيقبله زعيماً عليه، والأفضل أن تتم العودة الجماعية إلى محمد باقر المجلسي فهو الشريان المغذي للخطاب السائد رغم ملاحظات الخميني على بعض أجزائه!

قد تنفرج أسارير الخصوم التاريخيين لمعتمري العمامة، ظانين أن هذه السطور موجهة ضد كل معتمر بسودائها وبيضائها، وهم يجهلون كتباً ووجداناً لكاتب السطور وعرفاناً بمن كان يسميهم هادي العلوي لاهوت التحرير... فالعمامة الإسلامية أنجزت الاستقلال والحرية للجزائر، والمغرب العربي ولليبيا السنوسية وللسودان المهدية والختمية وأنجزت الحرية والاستقلال للعراق.

لقد سألني مراسل التلفزيون القبرصي أثناء انعقاد مؤتمر للمعارضة عن هذه الأطباق السوداء، فوق رؤوس السياسيين فقلت له: أنها عمائم مكاريوس! الذي أنجز الاستقلال الوطني لقبرص فهل كانت مقاربتي قريبة؟!.

وحيث أتحدث عن العمامة في هذا الكتاب، فهي عمامة سياسية خرجت من الحوزة إلى المكتب، ومن الإرشاد إلى الدولة ومن الدعوة إلى الدولة ففقدت حقها المقدس عندما فقدت شروطها بالانتقال إلى حقل آخر في الصراع على المراتب والمكاسب.

إن العمامة التي أتحدث عنها دخلت فقرة في جدول الأعمال داخل قبة البيت الأبيض وليست هي العمامة تحت قبة الإمام.

إن البيت الأبيض قد قرر وأبلغ قراره إلى المؤتمر الوطني العراقي في نيسان 2002 أن مجلس الوزراء القادم بعد سقوط صدام حسين لن تجلس على مقعد فيه عمامة بيضاء أو سوداء، ومن هنا ارتفعت حظوظ حاسري الرؤوس وأصبح عادل عبد المهدي عزيزاً. ولولا القرار الأميركي لكان الأخير يتلقى التعليمات اليومية من الشيخ همام حمودي والسيد محمد الحيدري دون شك.

● مشكلة عمار الحكيم!.

كأنه يعاني من احتجاج داخلي بضرورة العودة بالمجلس إلى سياسة عمه، في توسعة الفلك الاجتماعي فاستحدث لنفسه منهجاً على حداثة تجربته السياسية، والانتقال من مفهوم الحزب المغلق المعمول به الآن، إلى رحابة المجتمع، فلعله يرمم بذلك إذا حالفه التوفيق، علاقات المجلس الهشة مع البيئة الشيعية ولا أقول الوطنية والعربية.

لكن هذا التطور السلبي، نتاج طبيعي لانتقال الحركة السياسية من المعارضة إلى السلطة أكبر الامتيازات وأكثرها تأثيراً على الحياة الاجتماعية والمنظومة الأخلاقية، وقد لا تتوفر فرصة زاهرة وعادلة ما دامت الحركة المحرومة من كل امتياز قد أصبحت تحت قدميها كل الامتيازات.

إنه سيواجه بالتأكيد حرب مكائد، ورغم أني لم أفتح زر الإنترنيت، ولا أريد أن أعرف أسراره، فما ينقل إلي يشير إلى حملة غير عادية تتصدى له بقصص عن رغبة جامحة له في الاستحواذ على العقارات في النجف، وظهور مقارنات تجعل منه قريباً إلى حالة عدي صدام حسين. وقد تأتي هذه الحرب طبيعية، وقد يكون ذلك احتجاجاً من شيعة العراق على تولية الابن السياسي صلاحيات الأب، وإن كان في سن مبكرة، وقد لا تخضع المعلومات المشاعة لأرقام دقيقة، ولا لشهادة شهود، وكون طبيعة النظام الحالي لا تسمح بظهور شخصية على غرار عدي، التي خضعت هي الأخرى لمكبرات لغوية، وإن كان ذلك كله لا ينفي بالإطلاق شهادات عن امتلاك المجلس لعقارات تابعة للدولة، كما قيل عن إقدام وزير المالية عادل عبد المهدي بتحويل ملكية عقارات المجلس البلدي في النجف إلى المجلس الإسلامي. وقيل أن محاصصة تمت بين (الزعامات النجفية الجديدة) يحصل فيها المجلس الإسلامي على المجلس البلدي، ومحمد بحر العلوم على مبنى مديرية الأمن العامة، وينفرد إبراهيم الجعفري بأرض ثمينة زعم أن معهداً باسم السيد محمد باقر الصدر سيقام عليها، وليس لدينا معلومات دقيقة عن هذه المحاصصة لكننا لا نستبعد حصولها في بيئة متعطشة للتعويض عما فاتها في سنوات التهميش.

أقول... إن المهمة التي ستلقى على عاتق عمار الحكيم، لا تتسع لها تجربته ولا سنه ولا درجته العلمية، فالمجلس كما هو مرسوم له «أعلى وإسلامي وشيعي»، أي أنه بمثابة القيادة القطرية لشيعة العراق، أو اللجنة المركزية في مصطلح الحزب الشيوعي العراقي.

ورئيس المجلس رئيس أمة الشيعة وعلمائهم ومؤسساتهم وحوزاتهم على الأقل، في جانبه السياسي، إذا افترضنا أن الجانب الديني مرتبط بالمراجع الشيعية العليا، كمرجعية السيد السيستاني ومن معه ومن سيأتي بعده. وسيخفف من ثقل المهمة، أن رئيس المجلس لو توفرت له في الانتخابات القادمة مقاعد نيابية وافية سيكون رئيس شيعة السلطة حسب تعبيرنا، وليس شيعة العراق، وأعتقد أنه سيرتاح لهذا المصطلح، إذ تبدو قيادة شيعة العراق، أثقل من حجم المجلس الإسلامي نفسه، أما عامل السن، ووراثة الرئاسة عن أبيه، فهو أمر متروك لأعضاء المجلس الإسلامي الذي سيتزعمه، وليس لأحد ما صلاحية في اختيار زعيم لحزب ليس له فيه عضوية أو انتساب. والأرث العائلي مبدأ معمول به في النجف، فالسيد مقتدى الصدر ورث الزعامة عن أبيه في سن مبكرة، وكان رئيس الوزراء وزعيم حزب الدعوة الدكتور إبراهيم الجعفري، يزوره في مقره بالنجف آملاً وده ورضاه، وتبعه بعده جواد المالكي أكثر من مرة بُغية أن يصدر السيد الصدر تعليماته لنوابه بالتصويت له عند ترشيحه من قبل الائتلاف، ثم واصل زياراته وهو رئيس وزراء لنيل بركات السيد، قبل أن يستقوي بالحملة الأميركية لإبادة الصدريين وهم عامة شيعة العراق وبأصواتهم حصل على لقبه الحالي.

وبالعودة إلى المجلس فإن الوقت الذي سيتدخل به من هو خارج إطار المجلس يرتبط مع حالة أخرى، كأن يعرض رئيس المجلس أو سواه نفسه لموقع في الدولة، وسيصار عندها إلى صندوق الاقتراع في الموافقة والرفض وسيكون إذ ذاك على طاولات التشريح.

ولا أهمية لأن أعارض ترشيحه أو أوافق ما دامت الحركة السياسية داخل إطار المجلس وليس خارجه، على عكس ما يحصل مع عادل عبد المهدي

وخالد العطية، وحامد البياتي، والشيخ همام حمودي، وبيان جبر، الذين يشغلون مواقع تدخل في باب الخدمة العامة، وستكون لنا مع إي منهم جولة مستقلة!.

وفي آب من العام 2008، اتصل السيد الغراوي على هاتفي في بيروت وعرض علي رغبة السيد عمار الحكيم الموجود في القاهرة للالتقاء بي أثناء زيارته لدمشق خلال الأيام الثلاثة القادمة، فرحبت بالفكرة وتوجهت إلى دمشق بعد وصوله إليها، وانتدب لزيارتي بمنزلي شقيقه السيد محسن الحكيم، وممثل المجلس في سورية.

وجدت في السيد محسن صورة مختلفة، وتشكل لدي انطباع طيب عنه، فهو شاب عصري معجون بروح عراقية، وله شمرة بغدادية، تذكرني بشباب الكرخ في أيام الدراسة، حتى أنه اعتذر أول الأمر عن حضور اجتماع رسمي معهم، كان سيعقد بعد ساعة مفضلاً الاستمرار في الجلسة معي على الذهاب إلى الاجتماع، فأبلغه الغراوي بأن اسمه مدرج رسمياً في لائحة الوفد.

أما عن اللقاء المشترك أنا والسيد عمار، فقد عرضت مسبقاً وجهة نظري، ففي السنوات العشرة الأخيرة لم أخرج من مسكني لزيارة أحد، والعادة أن من يأتي من العراق إلى سورية هو الذي يتكرم علينا بالزيارة، ولما كان ذلك غير ممكن حسب تعليمات أمنية مشددة، فقد اقترح السيد عمار إرسال شقيقه وممثل المجلس إلى مسكني أولاً ثم نقوم بعدها بزيارة السيد عمار في مقر إقامته، على أن تخصص ساعة كاملة، وأن لا تصور تلفزيونياً أو صحفياً، وأن تسمى زيارة عمل، نستعرض فيها الوضع العراقي العام ورؤيتنا كلاً على حدة، لكي تتاح مواجهة المسؤول القادم عن زعامة المجلس الشيعي بما هو مدون أو سيدون من فصول في كتابنا هذا، فاعتذرت عن توقيت اللقاء.. وأسباب أخرى..!

وبالرجوع إلى احتمالات الانشقاق، على رئاسة السيد عمار الحكيم، أكاد أقرر القانون التالي:

أن الأغلبية في المجلس ليست مرتاحة لزعامة شاب عليهم. وأن هذه الأغلبية، ستنصاع له طائعة... إذا قدر للائتلاف الشيعي،أن يفوز في الانتخابات التشريعية القادمة... فإذا خسر المجلس أصواته.. فستعلو أصوات المجلس ضد عمار الحكيم وينفرط العقد، ويغادر معظمهم لإكمال دراسته الدينية في قم، ويهرب الآخرون إلى جزر الأثرياء!

• قد يكون رئيساً للائتلاف فهل يصبح زعيماً سياسياً؟!.

ومن نعمة الأنساب ولاية الأمر، وأن يرث الابن أباه من ماله وعلمه وجاهه، ولهذا فإن أشق ما يؤذي الابن، ذهاب حقه إلى غيره، وتزوير أرثه وهو في غيابة المنفى! وقد من الله على السيد عمار الحكيم بأن يرث رئاسة المجلس الأعلى وهو في المقتبل. لم يسجن في عهد، ولم يطارد، ولم يكتب ولم يخطب، ولم يبحث عن دار سكن في بلديات استوكهلم ولم يمش على الجليد، ولم يستنشق كاربون أقبية المعسكرات، ولا انشغل أو أشغل نفسه بالبحث عن عمل، ولا تنافس مع الطلاب على درجات القبول في الجامعة!

صار عمار الحكيم في هذه السن المبكرة، رئيساً لحركة سياسية، ورئيساً للائتلاف الحاكم الذي يرشح رئيس الوزراء، والوزراء والسفراء، ويوافق على رئيس مجلس النواب ونائبيه.

لكن هذه لا تجعل من رئيس حركة سياسية زعيماً، وقد كان والده زعيماً للأغلبية البرلمانية، ولم يكن زعيماً سياسياً على مستوى وطني، واستشهد الزعيم الإسلامي محمد باقر الحكيم، ولم يحصل على زعامة وطنية، والحاجز الذي لم يستطع عبوره السيدان محمد باقر، وعبد العزيز، ما يزال بانتظار عابره من الفئوية الشيعية إلى السواء الوطني، ومن المجلس الشيعي إلى الشيعة، ومن الشيعة إلى السنة.. ومن الإسلامي إلى الإسلامي الوطني، ومن الوطني إلى العروبي، وإذا اعترض فقيه أو نائب برلماني، فالرد أن الخميني قد سن سنة باعتماد حق الأكثرية القومية في إيران بأن تعمم ثقافتها ولغتها وأن تحفظ الدولة الإسلامية طابعها التاريخي، وجعل ذلك حقوقاً دستورية،

وفي العراق أكثرية شيعية وأكثرية سنية، وأكثرية كردية.

إن الشيعة والسنة هم عرب العراق، والزعيم الوطني من يحترم إرادة هذه الأغلبية، مثلما احترم الزعيمان مسعود بارزاني وجلال طالباني طابع الشعب الكردي، فنزلوا إلى مؤسسات الدولة باعتبارهم قوميين أكراد، فيما نزل الشيعة والسنة باعتبارهم فريقين إسلاميين.

ماذا سيفعل شاب المجلس الجديد؟

هل يقف أمام الحرس القديم المعبأ بالعزلة، ليقول إن الائتلاف يقود العراق العربي! وأن مقابل أن تكون الخارجية كردية، ستصبح ممثلية العراق في الأمم المتحدة عربية، وأن رئيس المجلس القادم من الائتلاف، سيكون قادماً مع عروبته لإيجاد توازن مع كرودة رئيس الجمهورية بعنفوانه القومي الكردي؟

هل للسيد عمار أن يعود إلى سياسة الخميني باحترام ميراث بلده، وقومية أمته الفارسية؟ وأن يكون المجلس مرجع العروبيين الذين إذ اضطر أحدهم لحاجة حكومية لجأ إلى أكراد السلطة... لأن شيعة السلطة العرب قد تركوا أنسابهم لغيرهم، واستجاروا بأنساب غير عربية لتؤدي دور شيعة العراق.

هل يضع عمار الحكيم أمامه لوائح التكنوقراط الشيعة في العالم وهو يختار وزيراً للمالية، ووزيراً للاقتصاد وآخر للتجارة، ورابعاً لوزارة التعليم؟

هل ينتهي عصر الجهلة الذهبي في السلطة العراقية؟

هل يمنع رئيس المجلس الجديد وصول القصاب في السيدة زينب إلى رئاسة إدارة البروتوكول في مجلس الوزراء !!!

أم تراه سيمتنع عن ترشيح باعة الموبايل إلى وزارة اتصالات.

هل سيقف وسط الرميثة ليسمع أحفاد المؤسسين وليس المنافقين، والقادمين من معسكرات التدريب الإيراني؟

هل لدى السيد عمار الحكيم نية أو قوة أو تصور عن برنامج اجتماعي عام

تحت شعار نفط العراق إلى جياع العراق؟

هل يدعم هيئة النزاهة التي تحقق في منهوبات خلال أشهر تساوي جميع ما أنفقه العراق الملكي. وحكومة عبد الكريم قاسم الجمهورية من موازنات لإقامة العراق الحديث، واللصوص أمام عينيه!

نعم يمكن لشاب في مثل عمره أن يقود شعباً وليس طائفة، إذا اعتمد على جهد المؤسسات واختار مستشاريه من خبراء يدربونه ويوجهونه وينصحونه، وهو المستمع المطيع، ويرسمون له خط السير على خارطة طريق متشعبة فيأنس للدربة وبالدربة يربو.

أما أن يكون مستشاروه من طراز مستشاري رئيس الوزراء القادمين إليه من مطاعم الكباب وبيع الخيار والبصل فما ينتظره، مستقبل برائحة البصل!.

وهو ما زال على صلة هاتفية معي أو من خلال مبعوثه في سورية محمد الغراوي، وكنت كالعادة واضحاً معه إن لم أكن متصلباً في رؤيتي الرمادية لطبيعة السلطة.

عندما يختار الرئيسان صدام حسين وبوش رجالهما ؟!

- محمد حمزة الزبيدي وجواد المالكي: الشيعي لقتل الشيعة.
- عادل عبد المهدي: البراءة من ماضيه العربي.
- خالد العطية: الهروب من مشيخة العرب!
- حامد البياتي، متعدد الجنسية لتمثيل العراق!
- همام حمودي ووطنية بونهام كارتر!
- موفق الربيعي: المكروب المنخوب؟
- محمد بحر العلوم: الأنبوب الأسود في البيت الأبيض!

● **محمد حمزة الزبيدي وجواد المالكي.**

كلاهما شيعي من أهل الحلة ـ بابل.

كلاهما لم يحصل على مؤهل تعليمي.

كلاهما عمل مستخدماً في دوائر الحكومة..

الأول في مستشفى الحلة والثاني مستخدماً في مديرية تربية الحلة.

كلاهما دخل إلى حزب وليس أمامه نافذة هواء غيره، فلا يشغله عنه عيادة طبية ولا مكتب هندسي ولا دار نشر ولا كتاب يستنزف وقته ولا جريدة تنتظر افتتاحيته ولا طلاب يتتلمذون عليه.

والحزب عند كل منهما شغل ومهنة ورزق، سوى أن الأول قد ذهب إلى حزب قومي هو حزب البعث، وذهب المالكي إلى حزب إسلامي هو الدعوة.

وكلاهما لو طاف عليه طائف في منام لما تخيل أن شغله في الحزب، وفي تلك المناطق المهمشة وشبه المهمشة، سيجعل منه في يوم من الأيام، رئيساً لوزراء العراق مثل ياسين الهاشمي وعبد الكريم قاسم وعبد الرحمن البزاز وفاضل الجمالي، والغريب أن كلاً منهما صار كذلك في ظروف سياسية متقاربة.

أصبح الزبيدي رئيس وزراء لأنه شيعي في أعقاب انتفاضة شيعية، وعليه أن يظهر شطارته في قمعها، حتى آخر فقير ومهمش في المحاويل وطويريج. وأصبح المالكي رئيس وزراء لأنه شيعي وفي أعقاب انتفاضة شيعية يقودها شاب، وقد سيطرت على الشارع الشيعي، وأغاضت ولي الأمر الأميركي، فكلف المالكي بذات المهمة لقطع آخر نفس من أتباع أهل البيت في مدينة الصدر المنتفضة.

وكلاهما أستقدم في ظروف تغيرات أثناء الاحتلال الأميركي للعراق اتهمت إيران بأنها ستملأ الفراغ بعد سقوط النظام المركزي.

استجلبوا الزبيدي بعد عاصفة الصحراء، وخوف أميركا ودول عربية من دخول إيراني كاسح، لإسقاط صدام حسين الذي جعل من العراق جداراً جغرافياً حاجزاً لنفوذها، وأبدى المكلف مهارة واندفاعاً قياسيين، لقتل فوق ما كان سيفعله مرشح آخر، ولو باستخدام قدمه التي يدوس فيها على عنق أسير مكتوف اليدين إلى الوراء حتى يلفظ أنفاسه، ومصور تلفزيون بغداد يلتقط الصور التذكارية التي عرضت في تلفزيونات العالم.

ولو لم يفعل ذلك، فإن مستشفى الحلة ستستقبله على وجه السرعة مستخدماً، وإن كان انتقل منها بوساطة رفيقه فاضل الأنصاري[6] ابن مدير مصلحة نقل الركاب في الحلة ليحوله إلى جابي في سياراتها.

أما جواد المالكي المستجلب من طويريج فقد سمي رئيساً للوزراء وسط ذهول الأوساط السياسية والإسلامية، لكون اسمه مغموراً وغير معروف، وقد كلف بالتوقيع على مرسوم لتنفيذ الحكم بإعدام صدام حسين، مع أنه ليس رئيساً للجمهورية، إذعاناً لتوجيهات أبلغه إياها وجاهياً الرئيس الأميركي بوش عندما استدعاه إلى عمان وطلب إليه أن يستعد بعد مرحلة الإعدام التي ستخلف فراغاً قد يشغله التيار الصدري، وستكون مهمته الأساسية الإعلان الحكومي عن حملة ضد التيار. وهي التي سميت بـ(صولة الفرسان)، فاندفع المالكي بنفس اندفاع الزبيدي، وكان يزاحم الجنود الأمريكيين، لنيل شرف إطلاق النار على من يسكنون البيوت الطينية، وهم من المعروفين بإتباع أهل البيت.

يجري كل شيء وحزبه يتفرج على مصارع أهل البيت، فيما كان قراء التعزية الحسينية يبتهلون إلى الله أن لو كانوا معه ليفوزوا فوزاً عظيماً.

والفوز العظيم عند هؤلاء القراء جنة الله الموعودة لا شك في ذلك، لكنه عند المالكي والزبيدي فوز بلقب رئيس مجلس الوزراء.

(6) فاضل الأنصاري: هو ذاته فاضل الأنصاري عضو القيادة القومية لحزب البعث في سورية الذي وافه الأجل في عام 2002.

لقد مر اثنا عشر عاماً على مجزرة الزبيدي ضد شيعة الانتفاضة قبل أن تتشكل محكمة الجنايات الكبرى، وكان متوقعاً أن يكون أول من يدان من المتهمين بهذه المجزرة، لكن شبح المصير والرعب قد عجلا بأجله الموعود، وجاء أجله الموعود قبل صعوده إلى منصة الموت.

ولا أظن أن أتباع أهل البيت سيتركون المالكي لمدة اثني عشر عاماً قبل انعقاد جلسة محاكمته في الجنايات الكبرى.

من الالتقاطات السياسية الموفقة، أن يتشابه الرئيسان صدام حسين وجورج بوش باختيار رئيس الوزراء، وشروطهما واحدة، بما يعني أن القدرة العراقية لإدارة الأزمات وتصريف الأمور بالرجال المناسبين تضاهي القدرة الأمريكية.

ومن العدالة والأمانة والحياد. فإن الرئيس الأمريكي هو الذي اقتفى إثر صدام حسين وأخذ منه كيف استلال الأشخاص وتعليقهم برافعة رئاسية إلى مقام رئاسة الوزراء.

ومن مفاخرنا أن الأمريكان هم الذين يقلدون سياستنا العراقية وسيستنسخون تجاربنا الرائدة!.

وبغير ذلك لا نعطي الرجلين حقهما، ولا الرئيسين حقهما.

وهذه معالم التوفيق العراقي، وتجانس الأحداث شاهدة..

فلصدام حسين أفعال. وللرئيس بوش أفعال..

ولصدام.. محمد حمزة ـ الزبيدي ـ ولبوش جواد المالكي وباقر الزبيدي!!.

والرئيس صدام حسين انتهى من تصفية محمد باقر الصدر ومحمد صادق الصدر ومطاردة الصدريين.

والرئيس بوش أخذ منه هذه العادة وهو يقاتل الصدريين، ويحكم على مقتدى الصدر بالموت!

ومن الأنصاف أنه ليس للزبيدي أو للمالكي تاريخ سيء من القسوة أو تاريخ سياسي مشبوه، قبل وصولهما إلى رئاسة الوزراء الذي كان ضرباً من الخيال، ولم يكن أي منهما قد أعد نفسه لهذا الدور، وهما في هذا الجانب، يختلفان مع شخصيات أخرى مدربة في منظمات دولية لأداء مهمة خاصة، كالدكتور موفق الربيعي الذي كلف بمهمة المستشار القومي وفق عقد مع البنتاغون والسي آي آيه، وهو يعمل كمواطن بريطاني بعقد شخصي مع تلك الجهات، لا صلة له تنظيمية أو إدارية مع حكومات الاحتلال الثلاث، وقد لا يكون الربيعي ملزماً بتقديم معلومات يومية إلى رئيس الحكومة، لكنه ملزم بالتأكيد بهذا الواجب في القنوات السرية التي حددها العقد الموقع مع المؤسسة الأمنية والعسكرية الأميركية.

ينتحل موفق الربيعي لقباً أسوة بالعديد من الناس الذين لا يشير لقبهم إلى جذرهم القبلي أو القومي، وكان والده من الكادحين ويعمل شرطياً في أحد المخافر، وتمكن ابنه موفق بدأبه على اجتياز المراحل الدراسية، ودخول كلية الطب، لكنه لا يعرف شيأ عن مهنته ولم يمارسها وقد انتقل إلى إيران وعمل تحت إمرة الحرس الثوري فترة، قبل أن يظهر اسمه من بين قادة حزب الدعوة أثناء الهجرة التي بدأها الحزب نحو الإقامة في لندن.

لا شيء يمكن أن يغري موفق الربيعي سوى العمل بصفقات سرية – ثنائية ولو على حساب أقرب من يعمل معه، وقد أتيح لي أن أسأل ضابطاً خليجياً كبيراً هو اليوم متقاعد، عن كيفية منحكم الثقة بموفق الربيعي وقدرته على تفتيت الحزب، فقال الضابط الصديق.. أنه عرض لنا صورة ممزقة لحزب ممزق، كما أبدى استعداده للانخراط في مشروع أعلن حزب الدعوة رفضه له.. وهذا يكفي دليلاً على صدقه معنا.

● جواد المالكي في سورية؟!

في شقة فوق مخبز في حي الصناعة بدمشق، أقام شخص عراقي يدعى أبو إسراء، وكان اسمه جواد المالكي، فظهر أن هذا الاسم هو الآخر غير

صحيح. ولا شيء معروف عن هذا الشخص فإمكاناته محدودة ومستوى ثقافته لا يؤهلانه لدور ثقافي أو سياسي، لكنه وُصف بأنه مسؤول تنظيم حزب الدعوة في دمشق، ولم يكن في دمشق لا سابقاً ولا لاحقاً أكثر من خمسين فرداً في هذا الحزب كانوا يؤدون طقوسهم في الحسينية الحيدرية في حي الحجيرة القريب من السيدة زينب، يساعده سائق سيارة المكتب،ويدعى أبو مجاهد الركابي في توزيع نشرة محدودة،كانوا يصدرونها شهرياً، لكن علاقته بمسؤول في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي كانت جيدة، ليس من طرف القيادي في ذلك الحزب إذ هو يزار ولا يزور بحكم موقعه، فكان على جواد المالكي القيام بواجب الزيارة وتقديم طلباته للحصول على موافقات رسمية، هي في الغالب تتصل بمهمة تسمح لسيارة المكتب بأن تحمل لوحة غير مدفوعة الجمرك، وحق السفر إلى لبنان بالطريق العسكري، ثم عقد لقاءات بعد تشكيل لجنة العمل المشترك، وفي كل الأحوال فلم يقف جواد المالكي خطيباً في مكان بل لم يكن معروفاً لدى العراقيين طيلة وجوده في سوريا ما بين عام 1982 و 2003.

ومن الأنصاف أن فرع السيدة زينب لحزب الدعوة، كان يختلف مع الجزء البريطاني الذي كان يتزعمه، إبراهيم الجعفري وإن كان الاثنان يتغذيان من وريد واحد.

وفي كثير من الأحيان، كان جواد المالكي يلتزم بالخطوط التي يضعها له المسؤول في القيادة القومية الذي كان يفضله على بيان جبر (باقر الزبيدي حالياً وزير المالية) باعتباره ممثل المجلس الإسلامي الذي يتزعمه المرحوم محمد باقر الحكيم، فاستفاد المالكي من هذا الامتياز وذهب إلى حدود كانت تضر بالمجلس الإسلامي ومصالحه، فيضطر بيان جبر للاستعانة بأحد الكتاب الإسلاميين المستقلين بتوجيه نقد إلى حزب الدعوة الذي يرد هو الآخر على الكاتب وكلاهما ينشر غسيله على مجلة الشراع اللبنانية.

كان عداء جواد المالكي للمجلس الإسلامي يفوق عداءه لنظام بغداد، والعكس صحيح بالنسبة لممثل المجلس بيان جبر إزاء حزب الدعوة الذي

اتفق مع الصحفي العراقي المرموق السيد صلاح الخرسان علي وضع كتاب عن حزب الدعوة الإسلامية من وجهة نظر المجلس الإسلامي، فأعلن جواد المالكي حالة الطوارئ ضد الكاتب وكتابه، ومن كان وراءه، وكان لا يتردد عن تقديم صورة قاتمة أو غير مريحة على الأقل عن المجلس الإسلامي وبيان جبر أمام مسؤول القيادة القومية. وهذا سيسارع لاستخدام صلاحياته، وقد يعمد إلى تعطيل جريدة «نداء الرافدين» الناطقة بلسان المجلس ومنع دخولها من لبنان إلى دمشق. فيستعين ممثل المجلس باقر جبر الزبيدي بي شخصياً، لتقديم التماس إلى الرئيس الراحل حافظ الأسد، أو لوزير الإعلام الدكتور محمد سلمان لإلغاء قرار التعطيل وإعادة صدورها من جديد.. فتصدر في اليوم التالي!

كان موقفي هذا يغيض جواد المالكي الذي يسارع لمسؤول القيادة القومية لتحريضه ليس فقط على الجريدة، بل على كاتب السطور ودوره، مستفيداً من عدم وجود علاقة لي على الإطلاق مع هذه الجهة ولا المسؤول فيها. إذ لم يسبق لي التشرف بزيارته أو الحديث معه لموقف اتخذته منذ خروجي من حزب البعث العراقي عام 1979.

وفي إحدى المرات تعرض ولدي عمر إلى محاولة اغتيال بالسكاكين كادت أن تودي بحياته، وكان الفاعلون في هذا المحيط الذي يدور حوله أو فيه جواد المالكي وكان علي أن أصرف مكبوتي بطريقة سياسية والاحتفاظ بحزازات النفوس كما هي.

ولا أستبعد أن يكون جواد المالكي مصدر المعلومات المعتمدة حول صلة لممثل المجلس بيان جبر مع الأوساط الأمريكية، وهذا سيحتم على هذه الجهة اتخاذ قرار بحماية مصالحها وأمنها الوطني.. وهنا عدت للتدخل لتوضيح حقيقة هذه الاتصالات وكون بيان جبر يستقبل في مكتب المجلس دبلوماسيين، قد يكون من بينهم أميركيون في ظروف ما بعد غزو الكويت.

ربما كان ذلك كافياً لشخص يمتلك قدراً من الضغائن كجواد المالكي ومحيطه، لوضع شخصي هدفاً لنشاطهم الحزبي، رغم محدوديته مستثمرين

علاقاتهم الحسنة مع أطراف عراقية كانت تتجاوب مع نظام بغداد وإن كانت منتمية إلى المعارضة العراقية بدمشق.

لكن هذه التشابكات لم تجعلني في موقف الضد من حزب الدعوة الذي أسرف خطاب السلطة العراقية بتلميعه وتجريمه في آن واحد.

وكنت أعتبر عدم التصادم مع الدعوة نهجاً لي منذ خروجي إلى المنفى ما دام الطرف الآخر معارضاً أقدم مني لصدام حسين وما دمنا في معارضة واحدة.

وعند تشكيل المؤتمر الوطني أخذت علاقات حزب الدعوة بدمشق أم في لندن اتجاهات متطرفة ممن يتعاون معه أو يحضر نشاطاته، وأقدم الجزء البريطاني من الحزب على إقامة تحالف بين البعثيين السوريين في لندن والحزب الشيوعي، في ثلاثية مناهضة لخماسية المؤتمر الوطني إلى حين نضوج مشروع الاحتلال، فإذا بحزب الدعوة هو الحزب الحاكم بعد رحيل حزب البعث عن السلطة وذهب معه الحزب الشيوعي وبقي الشريك الثالث بعيداً عنهما.

فهل كان ذلك مفارقة لعبت الصدف فيها دورها أم أن رأيا يميل إلى أن لحزب الدعوة في بريطانيا صلات يومية مع الجهات البريطانية التي وفرت له حرية النشاطات ومنحت جميع أعضائه الجنسية البريطانية وقد أقسم جميعهم أمام قاضي بريطاني، ومنهم الجعفري بالولاء لحكومة صاحبة الجلالة لحماية مصالح بريطانيا العليا.

وبهذا فإن تقسيم السلطة العراقية إلى ثنائية بريطانية – أميركية كان أوضح في اختيار رئيس الوزراء وحصص الشركاء الآخرين على ضوء ما تقرره مصالح الطرفين الأميركي والبريطاني.

إن الزيارات المرضية الخاطفة التي يقوم بها المالكي إلى لندن قد تدخل في سياق مرض سياسي يتلقى فيه المسؤول العراقي عند الأزمات، وعند تهديده بالطرد من قبل الطرف الأميركي جرعة بريطانية لإبقائه مدة أطول.

عادل عبد المهدي: الخوف من العروبة.

في كتاب (الشيعة والدولة القومية) توصلنا إلى قانون أو عرف تتقفاه سلطة العراق البريطاني. إذ يفضل رئيس الوزراء أن يختار من السياسيين الشيعة أضعفهم وأعجزهم وأغمضهم لعينيه عند تمرير مشروع في مجلس الوزراء يقصي جغرافيا التشيع عن فوائد سد إروائي أو قانون للخدمة العسكرية.. غير أن ذلك لم يمنع من اقتحام سياسيين يمثلون شيعة العراق ويمنعون أي إجراء قد يمس بمصالحهم سواءً في مجلس الوزراء أم في مجلس النواب، ومن هذا الصنف كان السياسي العراقي صالح جبر والسياسي السيّد عبد المهدي المنتفجي والوزير عبد الكريم الأزري والسياسي صادق البصام.

وبعد أن دارت الدوائر وانتهى عصر الحاكم السني بظهور العراق الأمريكي، وشيعة السلطة فيه هم أصحاب القرار، استلهم أصحاب القرار الجدد طريقة سنة السلطة سابقاً في اختيار سياسي ضعيف ممن يمكن شراؤه وإغراؤه ليكون ممثلاً لسنة العراق.

ولأن سنة العراق لهم تراث طويل في السلطة، وكانوا قد عاشوا هذه التجربة أثناء العراق البريطاني، فقد وقفوا ضد اختيار سني لا يمثل السنة وقفةً تنسجم مع مصالح من انتخبهم لتمثيله.

وكنت في كتابي ذاك قد سلطت الضوء على هؤلاء الشجعان المدافعين عن مصالح ناخبيهم، وعندما انقلبت السياسة العراقية لصالح شيعة السلطة بدأت أدافع عن السني الشجاع والقوي والذي لا يغمض عينيه لتمرير مشروع في مجلس الوزراء أو في البرلمان لا يخدم مصالح ناخبيه.

وفي الكتاب كنت أستخف بمن أسميتهم رجال الضد النوعي الذين يُسخرون مقابل مواقع وزارية أو نيابية أو دبلوماسية ضد نوعهم الديني أو القومي أو

الإيديولوجي. هؤلاء لا يختلفون عمن يباع في سوق النخاسة.

إن مواقف عبد المهدي المنتفجي في مجلس الوزراء ومجلس النواب منذ عشرينيات القرن الماضي دعتني إلى إبرازه في كتبي ومحاضراتي، فأخرجته من دائرة التقسيم السياسي حيث ينزوي الرجل في أقصى اليمين حليفاً للسياسي صالح جبر صاحب معاهدة بورتسموث وكونه محسوباً على تيار التحالف الغربي الذي تعارضه القوى الوطنية العراقية، إلى حقل آخر وزاوية نظر أخرى ــ زاوية الدفاع عن بيئته الاجتماعية والدينية، وجعلت ذلك فوق أي معيار إيديولوجي أو سياسي فنقلته من دائرة اليمين الحكومي المنبوذ إلى دائرة الوفاء الإنساني لبيئته التي دفعته إلى ذلك الموقع.

وبنفس الإحساس والمعيار والهدف والأسباب تفسر علاقتي الحالية بأي فريق حريص على احترام ناخبيه ومصالحهم في ظروف انقسام اجتماعي ووطني كالذي يشهده العراق الحالي(7).

أن إعجابي بهذا الطراز من الممثلين النوعيين المخلصين لبيئتهم قادني إلى التفاهم مع عادل عبد المهدي فضلاً عن خيمة المجلس الإسلامي الأعلى التي كنت أستريح عندها في بعض محطاتي، والرجل ناشط سياسي في هذا التكوين السياسي يضاف عامل المكان. فكلانا عاش شبابه في الكرادة الشرقية وفي حزب البعث ثم افترقنا والتقينا في دمشق مرة أخرى في شقة أخي هادي العلوي وقد تحول السيد عادل إلى ناشط في الحزب الشيوعي العراقي ــ القيادة المركزية التي ينتصر لها أخي هادي.

(7) ونحن نحرر هذا الفصل أعلن تلفزيون الحرة 14 حزيران 2008 أن مظاهرات جابت شوارع أحياء العدل والعامرية يطالب فيها المهجرون الشيعة من هذه المناطق بعودتهم إلى بيوتهم ويضيف الخبر أن المتظاهرين وجهوا انتقادات للدكتور عدنان الدليمي زعيم جبهة التوافق السنية ودون إيضاح موقفه هذا والمعروف أن الدكتور الدليمي يطالب بحزمة لحل مشكلة المهجرين في سياق عودة عادلة وشاملة يسترجع فيها الشيعي مسكنة المغتصب في الأحياء السنية والسني إلى مسكنه في الحرية الشيعية.

وبلغت علاقتي به أنني تساجلت في الرسائل ووجهاً لوجه مع الزعيم الإسلامي السيد محمد باقر الحكيم بعد صدور «كتاب الشيعة والدولة القومية» محتجاً ومستغرباً من عدم إيلاء الدكتور عادل عبد المهدي دوراً يتناسب وحجمه السياسي والفكري والاجتماعي، إذ كان مركوناً في مطبعة صغيرة في إحدى الضواحي الريفية في باريس، دون أن يمتلك رأس مال لتحويل تلك المطبعة إلى مشروع ثقافي وإعلامي، ولمّا عجزت عن إقناع السيد الراحل عرضت عليه وبكتاب خطي أن يسند للدكتور عادل مهمة تمثيل المجلس في بيروت والإفادة من علاقاته الواسعة مع مختلف التيارات اللبنانية وكون والدته شامية وله تجربة في العمل الحزبي، وقد ركزت على حاجة المجلس إلى إبراز العناصر العربية في إدارته العليا وفروعه، لإبعاد تهمة العجمة عنه، وهو مشروعي الذي حملت لواءه ومازلت منذ أربعين عاماً. وأضفت في رسالة أخرى للسيد الحكيم أن يكون الدكتور عادل عبد المهدي ومجموعة من معتمري العقال من عشائر الفرات الأوسط مع أي وفد يصطحبه في زياراته العربية.

لكن السيد لم يستجب لأيٍ من هذه المطالب فيما استجاب لمقترحات على مدى ربع قرن من العمل المشترك. وبعد وقتٍ ليس بطويل أضيفت ممثلية المجلس في بيروت إلى بيان جبر بالإضافة إلى تمثيله المجلس الإسلامي في سوريا.

ولمّا لم يستطع أن ينقسم إلى اثنين رشح مرافقه المكلف بحمل جريدة نداء الرافدين التي تطبع في بيروت السيد محمد الحريري ـ وكان يحمل جواز سفر إيراني، ممثلاً للمجلس في بيروت.

حدث هذا قبيل الاحتلال الأمريكي للعراق بسنة فظهر اسم عادل عبد المهدي بعد الاحتلال لحاجة المجلس لشخصية تكنوقراط يمتلك القدرة على الحديث بثلاثة لغات أم، العربية والإنكليزية والفرنسية ولتحاشي الفيتو الأمريكي على المعممين.

برز عادل عبد المهدي بعد الاحتلال الأمريكي وتشكيل مجلس الحكم،

وشوهد يجلس خلف السيد عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس للاستفادة من خبرته ومعرفته باللغات، ولكونه ما زال أفندياً حاسر الرأس، لكنه نجح في إحداث تغيير قد يعجز عنه جراحو(البلاستك سرجري) ليستنتج صورة رجل الدين الذي يلتصق حنكه بقفصه الصدري دون أن تشاهد له رقبة ويثقل وزنه إلى حد تضيق به العباءة الفضفاضة، وهو ما لم نكن نتمناه له، فنصحته أكثر من مرّة بأن شخصيته هذه مصطنعة، فلا هو أفندي ولا هو رجل دين، بل أقرب إلى طبقة عراقية من التجار المساندين للمرجعيات في سوق الشورجة.

كان أمامه متسع لملأ فراغات شاسعة، في سلطة طارئة مستحدثة، ليست لها تجربة في الحكم والإدارة ولا تمتلك برنامجاً اجتماعياً، فلجأت إلى استثمار الطقس الديني والطائفي لتجميع الأتباع وتحفيزهم ولتشكيل قواعد يفتقر إليها شيعة السلطة.

كان بإمكان عادل عبد المهدي كما عرضت عليه أكثر من مرة أن يستقل بالقناة العربية في المجلس وقد أصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية ومعروف أن «السيد النائب» عندما تتشكل له رؤية كهذه، فقد يتجاوز بها حجم موقعه إلى حجم الدولة. والمحيط العربي سيرحب به والقوى القومية وإن تشظّت فما زالت تشكل تياراً في الداخل والخارج.

وقد سألته ـ كيف يرضى المزروع في المشروع القومي منذ يفاعته أن يلوذ القوميون والعروبيون، وقد بلغ بعضهم سناً متقدمة، بالرئيس جلال الطالباني والرئيس مسعود البارزاني وكلاهما قومي ـ كردي، واستقبالهم وتبني مطالب هؤلاء اللاذين، على بساطتها، وكونها ذات طابع شخصي أقل من المتواضع، فيما النائب الأول والعربي المعرق لا يفعل شيئاً ولم يرشح اسماً، ولم يشاهده أحد على التلفزيون، وهو يستقبل شخصية عربية أو يسأل عن شخصية عربية، سوى إنه قدم مساعدة لعوائل أصبحت إسلامية بعد رحيل معيلها القومي، فكأنه يندفع بالعامل الطائفي لتلبية مطالب ذات جذور قومية أو كان هو وراء تخصيص رواتب لبعضهم، أما من استمر من أبناء تلك الشخصيات على سويته العربية، فلم تصله لا المكرمات ولا الرواتب المجزية.

ولا أعرف الأسباب التي تخيفه وتمنعه من التصريح بماضيه القومي.

كنت أظن أن وجود الدكتور عادل عبد المهدي في الصفوف الأولى للمجلس الإسلامي قناةً يمكن توظيفها لتوسعة الفلك السياسي للمجلس وهي الفكرة التي ولدت في بيتي في إطار جلسات متكررة كان أطرافها كاتب السطور ومصطفى جمال الدين والشيخ أحمد الوائلي والشيخ محمد جواد السهلاني وفاضل الأنصاري، وعدد آخر من العلمانيين الشيعة [8] لكن أداء الدكتور عادل وهو في موقع النائب الأول لرئيس الجمهورية وأحد أبرز ممثلي الائتلاف الحاكم لا يبشر بولادة هذا الفلك. والرجل أقرب إلى شخصية الموظف منه إلى شخصية الزعيم، بل لم يتصرف بحجم وظيفته سواءً عندما كان وزيراً للمالية أم نائباً لرئيس الجمهورية أم عضواً في المجلس الإسلامي ومرشحه الأبرز لرئاسة الوزراء.

والذي يبدو لي أن الدكتور عادل عبد المهدي يعيش عقدة الماضي العلماني التي تحولت نقطة ضعف، بدل أن تكون عامل قوة، ولعله انسحب أمام منافسيه الذين يركزون على هذا الجانب أمثال الشيخ همام حمودي والسيد صدر الدين القبانجي وشخصيات أخرى، فاستفاد نوري المالكي الذي كان يشهر أثناء المنافسة بينهما بماضي عبد المهدي مما أكسب تأييد التيار الصدري ففاز المالكي عليه بفارق صوت.

شعرت بالحزن أن يمثل شيعة العراق وهم أهل التكنوقراط وبعد سنوات مريرة شخص متواضع التحصيل وشبه مغمور وليس له دور في الحياة السياسية، وليست له تجربة مع الدولة؛ فدفعني ذلك، إلى الحديث في تلفزيون المستقلة بلندن وإجراء مقارنة بين مرشح الشيعة الفائز برئاسة الوزراء والمرشح الخاسر. فقلت إن ذلك ينبئ عن مستقبل يشبه الماضي الذي خرج منه العراق لتوه، عندما كان النظام الحزبي يضع في وزارة التصنيع

(8) راجع نص المذكرة التي أرسلت إلى السيد الشهيد محمد باقر الحكيم في آذار عام 1991 في هذا الكتاب.

العسكري عريفاً سابقاً في الجيش، وفي وزارة الداخلية مفوضاً سابقاً في سلك الشرطة، ولوزارة التربية معلماً سابقاً في إحدى القرى.

لقد ضحى الائتلاف بمنظومة حكم وبمئات الخبراء والتكنوقراط، وهو يضحي بمرشح حاصل على دكتوراه في الاقتصاد السياسي من فرنسا ويتحدث بلغات ثلاث أساسية، وله تجارب في الأحزاب والتيارات الفكرية، لصالح مرشح لم يظهر مرةً خلال عشرين عاماً، ونحن نعيش في دمشق بدور المتحدث في جماعة صغيرة، لكنهم كانوا يشيرون إلى أنه من حزب الدعوة، وهو أصغر الأحزاب السياسية بعد سلسلة انشقاقات، كان آخرها خروج الزعيم الأبرز للحزب والمثقف والفقيه الأول فيه الدكتور إبراهيم الجعفري لصالح جواد المالكي وهذا اسمه المعروف ولا اسم له غيره في الوسط السياسي المعارض وغير المعروف تماماً في أوساط الشعب العراقي، والدليل أنه يستخدم الآن اسماً غير الاسم الذي ظهر عليه بعد أن حمل لقب رئيس الوزراء.

وعليَّ الآن بعد سلسلة اختبارات وجملة مواقف الإقرار: بأن أعظم فرصة سيحظى بها جواد المالكي هي في أن يكون عادل عبد المهدي بديلاً له، فيما لو لم يكن رئيساً للوزراء في الدورة القادمة.

عندها سيشعر كثيرون، وأنا منهم، بان أداء المالكي، كان مبهراً، بالقياس إلى ما سيلتف حوله عادل عبد المهدي العاجز تماماً عن إصدار قرار بإحالة صديق إلى التقاعد أو إعادة حق مغصوب ما لم يحصل على ضوء من مسؤوله في المجلس.

والحمد لله أن دائرته العائلية ليست واسعة كثيراً، فأختصر اهتماماته على تعيين ابنته وزوج ابنته وخال زوجها دبلوماسيين في السفارة العراقية في باريس، وتعيين ثلاثة آخرين من العاطلين في جنيف مستشارين دبلوماسيين على أن يداوموا في بيوتهم. إن دائرة حركته تصغر كل يوم وقدرته على الأداء تضعف، ولم يظهر له أداء واضح سوى خطابه في قمة دمشق العربية إذ استقى المادة الأساسية كاملةً وبالنص من كتاب الشيعة والدولة القومية.

ولم يشر إلى المصدر، وربما تصرف كذلك لأن الكتاب طبع للمرة الأولى في مطبعته وبإشرافه الشخصي.

إن صورته وهو يستقبل الضيوف المشاركين في مهرجان الشهيد محمد باقر الحكيم، وإيصالهم إلى مكانهم المخصص، والسيد عبد العزيز الحكيم جالس مع أعضاء المجلس الإسلامي، يدعوني للاحتجاج على من كان وراء تكليفه بهذه المهمة، وهو النائب الأول لرئيس الجمهورية والممثل عن شيعة العراق في أعلى مركز.

ومن يستريح لهذا التكليف، فليس عليه سوى أن يستريح من التكليف الرسمي، لعدم حاجة رئاسة الجمهورية لموظف علاقات في الوقت الذي تكاثرت فيه أسماء السياسيين الكبار للقيام بوظيفة موظف علاقات عند سفر الرئيس وفي حله وترحاله!

رابح لقب رئيس الوزراء قد لا يتكرر الحظ عنده مرتين، فالتيار الصدري الذي صوت في لائحة الائتلاف، لصالحه ضد عادل عبد المهدي، سوف لا يصوت لأي منهما. وما يتمناه الاثنان أن تنعم عليهما الضغوط الأميركية لتصفية التيار الصدري، قبل الانتخابات القادمة، وسيشهد العراق صولات أخرى ضده قبل موعد التصويت.

غير أن حصة عادل عبد المهدي سترتفع، وسيقع عليها اختيار المسؤولين في الإدارة الأميركية بدلاً من المنتهية مدة خدمته.

ولا بأس أن أقدم مشورة خالصة لتلك الإدارة، وللقيمين على أمور شيعة السلطة، حيث البصيرة مغلقة على أسماء معينة منهم، خشية أن يشترك أحد من شيعة العراق، ويشاركهم في الحلال والحرام، المشورة أن يكون بيان جبر رئيساً للوزراء بدلاً من عادل عبد المهدي للأسباب التالية. وكنت سأعرض هذه الفكرة على السيد عمار الحكيم لو التقينا بدمشق أثناء زيارته في آب من هذا العام 2008.

إن الهندسة الشخصية لبيان جبر بعد أن نضجت تجربته، تبدو أكثر لياقة

من الهندسة المستعارة للدكتور عادل عبد المهدي، فاختلط على عين الناظر منظره.

والهندسة البدنية ضرورية جداً لمن سيكون في هذا الموقع، وأن كان السيد خليل زادة، سفير أمريكا في بغداد، لم يلتزم بها عند اختيار جواد المالكي الذي تبدو هيئته أقرب إلى جرير الناقة.

واستناداً إلى معرفة طويلة بالاثنين، فالدكتور عادل عبد المهدي يفضل أن يكون تابعاً على أن يكون متبوعاً، ويشعر بمتعة بالغة وهو يقف أمام آمره، فيبدو تحت الطلب وبين الأصابع. وهذا جانب لم أتلمسه في شخصية بيان جبر، فهو يفضل كأي إنسان آخر، أن يكون متبوعاً لا مأموراً، وأن يتخذ القرار وفيه هامش إرادي مستقل عن قرار المجلس.

وفي عمله الطويل، كان بيان جبر الرجل الذي يمكن أن يعترف به ممثلاً للعمل الإسلامي الشيعي، بدمشق، ولم يكن المالكي بعد عشرين عاماً معروفاً في الوسط السوري ولا في وسط العراقيين، وينسحب هذا على الدكتور عادل عبد المهدي أيضاً.

وبيان جبر عنده شيء من الإقدام يفتقر إليه الدكتور عادل عبد المهدي، الذي يلجأ إلى التوفيقات والمكاذبات البروتوكولية.

هذا، وذاك، سينعكسان على أداء إي منهما، وسيكون من حسن حظ المالكي، أن يأتي بعده عادل.

إن شيعة السلطة اختزلت 14 مليون عربي شيعي بنفسها، وهي مجلس إسلامي، وحزب بلا جماهير، فإذا سارت أمور الاختزال السياسي لشيعة العراق، وأقصيت كفاءات وخبرات، ومدن وقبائل، وقمم سياسية على شكل المجلس والحزب، فتوقعوا أن يصبح عباس بياتي، وتقي كبابي، ومحمد مولى وإضرابهم رؤساء وزراء قادمين.

• عرض عليّ استحصالي موافقة السوريين لمرور السيد الحكيم.

اتصل عادل عبد المهدي على هاتفي المنزلي بدمشق، راجيا بذل مساعٍ حميدة لدى القيادة السورية، لتوجيه دعوة للسيد عبد العزيز الحكيم الموجود آنذاك في واشنطن والمساعدة على تذليل الإشكالات السياسية، بين المجلس الإسلامي الأعلى والحكومة السورية إن أمكن بهذا الخصوص، وأضاف أن السيد الحكيم يرغب أن تتم الزيارة وهو عائد من واشنطن في طريقه إلى بغداد. فسألته عن هدف الزيارة وهل لديكم مشروع ما، للحديث حوله، فإذا لم تحمل حقيبة السفر القادمة من واشنطن أفكاراً عربية، فسوف لا أكون هذا الوسيط المرجو.

فأجاب عادل عبد المهدي، أنها فرصة لكسر الحاجز النفسي الذي تشكل حول الحدود العربية للعراق، ومن هذا المنطق فإن استضافة سورية للسيد الحكيم سيكون مفيداً، على صعيد عربي، فبدأت في أول خطوة، فاتصلت عارضاً على كبار المسؤولين في دمشق، هذه الرغبة مع تأييدي لها.

وبعد سؤال وجواب وإيضاحات من قبلي وصل الردّ، أن البلد مفتوح أمام العراقيين على أي مستوى شعبي أم رسمي، وإذا كان السيد الحكيم يرغب بزيارة دمشق، فلا مانع من الاستجابة لطلبه، على أن يتفق على موعد الزيارة. من جانبي هاتفت عادل عبد المهدي ناقلا له بحذر بالغ أنني لم أجد لدى السوريين اعتراضاً على زيارة السيد الحكيم أو غيره، وسوريا تستمع لوجهات النظر المختلفة لما فيه مصلحة البلدين العربيين، وسألته عن موعد الزيارة فتلعثم، وبدا وكأنه أراد التنصل من هذا الالتزام الذي أوقعني فيه، وكان متوقعاً لأي مراقب الشك بأن موافقة أمريكية لم تعط للسيد الحكيم بالمرور علي دمشق المتفضلة بالموافقة، فازداد، موقفي حرجاً عندما اكتشفت في اليوم التالي أن السيد الحكيم قد غادر واشنطن إلى طهران مباشرة. ولم يكن لديّ ما أدافع به عن نفسي أمام المسؤولين السوريين الذين بذلت معهم جهداً كبيراً لتوضيح نوايا السيد الحكيم الحسنة التي يأمل بإيصالها إليهم.

أما الذي خفف من الشعور بالحرج أمام السوريين أنني عرضت على عادل عبد المهدي وهو النائب الأول لرئيس الجمهورية جواباً عاماً لا ألزم الطرف السوري به، فسورية مفتوحة الأبواب له ولغيره.

وفي تجربة أخرى معه، طلبت إليه أن يسد الفراغ العربي، وأن نتعاون على ترتيب زيارات له إلى دول عربية، فتحمس للفكرة، واخبرني بأنه سيباشر بأعلى ضوء جهودي الخليجية أولاَ.. فإذا به يغادر من بغداد إلى الكويت ليستقل من هناك طائرة إلى باريس حيث مقر إقامته الدائم. ومنها بعد أن تأكد من سلامة أوضاعه الخاصة، انتقل بجوازه الفرنسي إلى بروكسل ليحضر اجتماعاً عاماً للمفوضية الأوربية باعتباره مستمعاً. ولم يتحرك خطوة أخرى لإظهار عروبته وعروبة العراق لدى رؤيته في مطار عربي!

أما التجارب ذات البعد الشخصي والخاص، فالأكرم لنا أن تظل مخبوءة تحت اللسان!.

• خالد العطيّة: الهروب من مشيخة العرب.

ينتمي إلى عشيرة الحميدات العربية في الديوانية، وكان عمه زعيم هذه العشيرة وواحداً من خمسة زعماء عراقيين كلفوا بالذهاب إلى الحجاز لإقناع الشريف الحسين بن علي بإرسال ابنه الأمير فيصل، ليكون ملكاً على العراق فجاءوا به إلى بغداد، وكان الشيخ رايح العطية، وهو والد الدكتور غسان العطيّة عضواً في مجلسي النوّاب والأعيان في العهد الملكي واستوزر للزراعة، كما أظن، لكن خالد العطية لم يكتسب الكثير من عمه، ولا كانت له علاقات متينة مع محيطه القبلي، وقد توّجه لدراسة العلوم الإسلامية في حوزات قم. وتخرج منها وكلف من قبل السيد محمود الشاهروري رئيس القوة القضائية في إيران بالإشراف على مجلة (المناهج) التي كان يصدرها في بيروت، قبل توجهه فجأة إلى لندن، لمهمة قيل أن الحكومة الإيرانية أوفدته بها، فعاد إلى العراق في أعقاب سقوط النظام، وهو يحمل دكتوراه

وليس لديّ معلومات عن دراسته هناك.

كان وضع اسمه في قائمة الائتلاف، التي لا يعرف الناخبون عنها شـيئاً، اختياراً موفقاً بغية أيجاد توازن في الأصول القومية، وقد ضمت القائمة جملة أسماء تنحدر من أصول إيرانية محضة.

لكن الرجل لم يتوقف عند هذه النقطة التي كان من الممكن أن تزيـد فـي قوته، ويكون شيخ الحميدات عنواناً عربياً في البرلمان، وهو ما كنت أبشر به نفسي قبل اكتشاف أدائه البرلماني الضعيف، والبعيد عما كنت أفكـر بـه، ولعله يشعر أمام مفردة العروبة بالقشعريرة.

لقد وافق خالد العطية على جميع المشاريع المطروحة، ولم ينـاقش بمـا يشير إلى قدرة علمية أو ممانعة سياسية.

كان ائتلافياً سهل القياد، ومجلسياً تحت الطلب، بما لا ينسجم لا مع انتسابه للحميدات ولا مع موقعه نائباً أول لرئيس البرلمان، إن لم يكن هو الرئيس في معظم الجلسات.

وفي الوقت الذي تعمد فيه رجال السلطة الغابرة اعتمار العقال العربي، وإن لم يكن بعضهم عربياً كطه الجزراوي، فقد اتخذ حفيد شيوخ الحميدات، نوعـاً من اللباس الديني مع إهمال واضح لتقاليد العمامة الطارئة عليه.

تمر على خاطري وأنا أتابع أداءه من على شاشـة التلفزيـون، صـورة الدكتور غسان العطية، وأتساءل عن المكاسب التي كـان سـيحققها شـيعة السلطة لو كان الدكتور غسان العطية في مكان ابـن عمـه علـى المنصـة الخطيرة بسعة أفقه واتساع علمه ودفء صوته وخبرته الأكاديمية.

وشتان ما بين ظني والواقع الحزبي، الذي لطالما تحدثت عن قوانينه وهي تدفع صدام حسين لإقصاء طبيب بعثي متخصص في جراحة الدماغ، ويتمتـع بكاريزما هو الدكتور خالد محمد سعيد، فيترك العراق هارباً إلى الغرب، فيمـا صدام حسين كان قد سبقه في اختيار شقيقه عبد السلام محمد سعيد الـذي لا

يحمل مؤهلاً كي يكون وزيراً للصحة.

فهل صار من شروط التشيع، في الترشيح للمواقع العليا، ألاّ يكون المرشح من ذوي الخبرة والتجربة، والقدرة على إدارة الامور وتصريفها؟..

أم أن شرطاً خفياً يوجب أن يمر المرشح إلى موقع في الدولة، على دورة تدريبية في مدينة قم، التي لا شك أنها قدمت فقهاء وعلماء وزهـاداً، وأهـل ورع وتقوى، لكنهـا ليسـت مؤسسـة لتخـريج وزراء للمـال والتربيـة، والاقتصاد،.. ولا نائبين لرئيس الجمهورية، ولمجلس النواب.

أظن الأمر أصبح واضحاً.. فمؤهلات الدكتور غسان العطية وهو من علماء السياسة غير كافية لجعله في موقع ابن عمه، ولا لجعله ممثلاً ممتازاً للعراق في الأمم المتحدة.. فمثل هذه المواقع مشروطة بالقيد القُمِّي..!

والقاعدة في شيعة السلطة، أن خريج أوكسفورد وهارفر والسوربون، قـد لا يعني شيئاً ما لم تعمد شهادته وممارساته بمباركة شيخ قمي!.

ولأن شيعة العراق في ديارهم. وجامعاتهم، وفي أكواخ جـوعهم، وأزقـة أعمالهم، فلم يبتسم لهم سن الدهر بمباركة الشيخ أدام الله ظله.

• حامد البياتي: كراهة العرب!.

لا يعرف شيء عن ماضيه وجذوره، لكنه معروف في وسـطه الإسـلامي الخاص، بطالب الأصفهاني والأسماء مستعارة، والانتساب للقبائـل العربيـة مشرع الأبواب لمن شاء، فيختار الراغب أقدم القبائل عادة، أو أشهرها، وهذه السنة سياسية واجتماعية منذ عقود تطرق إليها مؤرخـو العـراق الحـديث ومنهم مجيد خدوري الذي تحدث عن انتحال الأنساب في العراق الملكي.

أما الجواهري، فلم يمر عليه انتحال أو سرقة أو تضليل، عن أي مصـدر صدر، فخصص لنقد الظواهر الاجتماعية المقصورة وطرطرا وهـي سـخرية المقادير، التي كان يخاطبها مختزلاً فيها صندوق العجائب العراقية:

وأنــتِ إن لــم تجـدي أبــاً حميــد الأثــر
ولم تري في الـنفس مـا يغنيــك أن تفتخــري
فالتمســي أبــاً ســوا ه أشــراً ذا بطــر
طوفي على الأعراب مـن بــادٍ ومــن محتضــر
والتمســي مــنهم جــدو داً جــدداً وزوري

وكغيره له أن يختار السلالة المناسبة، ولا أدري ما الدافع لهذا الاستعراب؟ وكأن الأمم الأخرى مطعونة الشرف، مهزوزة العقل، فيهـرب الرجـل إلـى انتساب منتحل؟

والرجل لم يدرك بعد أن التركماني القح والفارسي صـحيح النسـب، هـو أصدق مع نفسه ومجتمعه من العربي المنتحل.

لم يكن حامد البياتي مجلسياً في الخارجية، بل كان خارجياً في المجلس! ولم يعرف له موقف أو نشاط وبابه مغلوق، فلم يسمح لإسـلامي مقاتـل، أو مهاجر باختراق حاجبه.. ونجح أولاً بالتوسط لـدى الوكيـل الأول، صـاحب القرار الأول في الوزارة بتعيين أخيه مستشاراً سياسياً في السفارة العراقيـة بلندن كي لا تنقطع صلة الوصل مع ضابط الارتباط السابق.

وأرسل آخر.. وثالثاً من محيطه الصغير إلى سفارات أخرى، وكان هوشيار زيباري لا يرتاح لرؤية ممثل حركة سياسية قويـة فـي الـوزارة، ويفضـل الموظف السابق متهماً وخائفاً ومطلوباً للعدالة، وهذه شروط صحية عنده!.

ففي أول إشارة وافق زيباري على إرسال حامد البيـاتي ممـثلاً للعـراق العباسي في أمم الأرض وشعوبها وليردد رواة الجواهري طرطرا في الغبوق والإصباح.

والخطأ ليس فيه بل في قرار انتداب ممثلين لحركة سياسية عراقية، مـن أصول غير عربية أو غير عراقية فتلجأ لتعريبه باللقب، تاركة القلب والهوى والولاء! وقد بح صرير القلم، وتكاثرت الرسائل مني على السيد الحكيم رحمه

الله وهي محفوظة لدينا، بأن يلتفت إلى أبناء العشائر العربيـة ممـن يثـق (بإسلامهم وإسلاميتهم) وهم قريبون منه، ليستعين بهم في تمثيل المجلـس، أو في وفود يصطحبها معه في زياراته العربية، حتى يرى المعَقَّلون ومعتمرو الغترة، رجالاً من أصولهم وأنواعهم، وعلى امتـداد بيئـتهم لاسـيما أبنـاء الديوانية والسماوة والناصرية والعمارة الذين احتفظوا بأزيـائهم وأصـولهم العربية.. لكنه رحمه الله لم يستجب!

وكان معظم العاملين في الحركة الإسلامية الذين لجأوا إلى إيـران أثنـاء الحرب العراقية الإيرانية هرباً من العذاب العراقي، من هذه القبائل..

وعلى الإعراب من باد ومن متحضر أن ينسوا عند حامد البياتي دوراً لهم في العراق القادم!

كان هذا المندوب المجلسي في لندن، عنوان الكراهة الصفراء المرسـومة على مسامير وجهه، وكأنه يريد عالماً بلا بشر، لكي يعيش هو وأشقاؤه ومن حوله في بحبوحة بغير منافس، ولأنه كان يتردد علـى الأسـكوتلاند يـارد، وجنسيته بعد الإيرانية، بريطانية.. فقد حجز له الدور المنتظر سـلفاً، وكـيلاً لوزارة الخارجية، ولو تحت أصابع الوكيل الأول قائد الوزارة وحامل لوائها.

إن ممثل العراق في الأمم المتحدة، هو سفير العراق في العالم، ووجهه من بين مائة وخمسين وجهاً. هو أصله وعنوانه، وميراثه، وعرقه، فإذا أخفـق الكثير ممن حصلوا على هذا الموقع في استكمال شروطهم، فالممثل الحـالي معفو من الشروط!

وفي عشرين شهراً، لم يسمع عنه تصريح، ولم يعرف لـه حضـور، ولا سمعت له مداخلة، ولم يقم حفل استقبال، فإذا حاول فالمندوبون غائبون!

كأنه يمثل عزلة العراق العربية بحق، وكأنـه يشـكل صـورة الفجيعـة، فالأميركي... حاكم.. والمسؤول العراقي محكوم... في بغداد أم نيويورك!

إذا كان هذا جواب حامد البياتي على صمته وعزلتـه، ونسـيان عنـوان العراق وفي الأمم المتحدة، فلعله نصف الحقيقة.. والنصف الآخر أن هوشيار

زيباري، يمنع غيره من منتسبي الخارجية عن الكلام.

ما هو حق شيعة السلطة في اختيار هذه الوجوه الناشفة، والمنحدرة من سلالات الغربة، لكي تمثل العراق العربي، وإذا كان العراق العربي لقباً قديماً لا يجوز تداوله، فإن الشيعة العرب في العراق يمتلكون مئات الوجوه. والأنوف المعكوفة وقد عطلت إرادتهم، وأهمل تمثيلهم في السلطة...

لا فرق بين سنة السلطة في ثمانين عاماً عندما حشروا شيعة العراق في الركن الفارسي ظلماً... وبين شيعة السلطة الذين يبحثون في علم الأنساب عن هجين... ليمثل شيعة العراق! وتعيين طالب أصفهاني ممثلاً للعراق في الأمم المتحدة تجاوز مهين لأصوله وجذوره، وحاضره ومستقبله، ويكفي أن وزير الخارجية من الأكراد، وكان بمنطق الخميني، على المجلس الإسلامي، اختيار شخصية عربية ذات بعد قومي على غرار زيباري، لتترأس الوفد العراقي في الأمم المتحدة.

وهكذا تتلون المؤسسات، بألوان شعوبها.

● **همام حمودي وبونهام كارتر.**

اعتمر العمامة البيضاء بعد تخرجه من الجامعة، وانخراطه في العمل السياسي الإسلامي، فاحتفظت روحه بلون العمامة، واحتفظ عقله بعلمية الأكاديمي، أي أنه من أصحاب العمائم الأكاديمية، وهو غرار مصري، فالشيوخ في مصر نخبة أكاديمية!

وقد منحه صوته شخصية دافئة، أبعدته عن غمرات الخصومة والخلاف.

لا يتحدث وإذا تحدث فهو لا يخطب!!

وهذا فضل من الله يمنحه لرجال الدين..

وعلى العكس من الشخصية الإسلامية المصطنعة للدكتور عادل عبد الهدي، تبدو شخصية الشيخ همام حمودي الذي ربما أصبح هو الآخر

دكتوراً، منسجمة مع الهيئة الإسلامية بعفوية واضحة.

همام حمودي ترأس هيئة وضع الدستور، فأثار في خاطري صورة المحامي البريطاني بونهام كارتر الذي أشرف على وضع الدستور العراقي الأول عام 1925.

ودستور بونهام وروحه ونصوصه تمنح هذا البريطاني الغريب لقباً وطنياً عراقياً، مثلما يستحقه الدستوري ناجي السويدي والدستوري حسين جميل، والدستوري حسن الجلبي الذي أبعد عن وضع الدستور لدولة ما كانت ستقوم لولا قانون تحرير العراق لصاحبه الشرعي، الدكتور أحمد الجلبي، فلم يكن الشيخ همام حمودي دستورياً، وهو رئيس لجنة وضع الدستور، وهذه هي المفارقة الكبيرة.

ولا حمل الدستور الجديد وطنية الإنكليزي بونهام كارتر، وحرصه على وحدة العراق، وحلمه في رؤية أول شعب عربي في العصر الحديث، يتمتع بدستور، لو عرض على مونتسكيو لوافق عليه بلا تردد، وهو غير مسؤول أمام قس الاعتراف في لحظة النزع الأخير، عن حكومات ملكية لم ترع للدستور ذمة.

وهذا جانب آخر يسجل لصالح المحامي النصراني الإنكليزي بونهام على دستور الشيخ همام، وإن كان الهامش الليبرالي فيه كبيراً.

إن دستور بونهام كارتر أعطى للعراق وطناً واحداً، وحياة دستورية، ونظاماً ليبرالياً.

أما دستور الشيخ همام حمودي، فقد أعطى العراقيين الحلم الليبرالي، وأخذ منهم الوطن! قبل أن تنقض السلطة على الليبرالية وتتركها علفاً للأقلام.

هذا من سوء أعماله، والإنسان معرض للسوء في التدبير والتفكير، لكن الله قد أعطى البشر القدرة على تصحيح المعتقد والمنهج، فعسى أن يثيب هذا الشيخ بشيء مما أثاب به ذلك الإنكليزي النصراني من وطنية لعراقه، وإخلاص لوحدة الوطن.

وليس ذلك على الله بعزيز فكما أهداناً بعد ضلال، وفتح أمامنا مغاليق البصيرة، فقد يمن على هذا الشيخ بفضله، فيؤلف كتاباً في دستور المنظمات السرية التي وزعت العراق دستورياً على المنظمات العاملة علانية، ويعلن براءته منها.

لم نشر إلى موقع الرجل في المجلس الإسلامي، لماذا لم يكن مثلاً النائب الثاني لرئيسه، أو لم يكن هو نائب رئيس الجمهورية أو رئيساً للوزراء!

سأكشف سراً قد لا يكون صحيحاً... فالذي أوصى به موفدون أميركيون إلى رجال المؤتمر الوطني في لندن، وهم يقتربون خطوات من السلطة ألا يكون رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية ونائبه من معتمري العمامة بيضاء أم سوداء.

كان تأثير الشرط الأميركي للمستوزر في السلطة القادمة، قد فتح الأبواب أمام المجلسيين والإسلاميين من حاسري الرؤوس، فالتفت المجلس بعد إغفال طويل إلى الدكتور عادل عبد المهدي المعزول في ضاحية باريسية كما رجحت كفة بيان جبر، أما في حزب الدعوة فقد أعطى الأمريكان السلطة لقسم الأفندية الذين كانوا قد أقصوا منذ الثمانينات عمائم الحزب الأولى، بإقصاء كاظم الحائري مرشد الحزب والشيخ محمد مهدي الأصفي واستعداداً للإقامة الدائمة في مدن الغرب الاستعماري كسراً للقاعدة الفقهية (التغرب بعد الهجرة).

إن العمامة التي اعتمرها همام حمودي احتراماً لانتمائه وتعبيراً عنه وتجانساً معه، حرمته من حق المنافسة مع حاسري الرؤوس والأفندية وقد ربطوا أعناقهم بعد أن ربطوا أقدامهم مع حركة السياسة الجديدة.

كان على همام حمودي أن يفطن إلى ذلك وقد توجهت العيون، نحو أفندية المجلس ليكونوا رجالاً في الدولة، وكان المفترض بإدارة المجلس الإسلامي أن تعوض الشيخ همام وهو على حق، فإذا ما فقد حق المنافسة على المراكز الحكومية بسبب العمامة، فالعمامة ستمنحه حقاً إضافياً على المنافسة في أحدى

مواقع الزعامة بالمجلس الإسلامي، وليس مجرد عضو في مكتبها أو شوراها!

من جانب آخر، فقد اتصل بي أواسط التسعينيات راجياً التوسط له عند الشيخ الراحل عبد العزيز التويجري، أو لدى الديوان الملكي السعودي بترتيب زيارة له، ولم أكن في الرياض، فاتصلت بولدي عمر الذي كان هناك، وطلبت إليه الاتصال بالشيخ عبد العزيز التويجري وبوكيل وزارة الداخلية لهذا الغرض، فصدرت الموافقة على استضافته، وأعد له عمر مع معارفي هناك برنامج الزيارة، وأقام له الدكتور حمد المرزوقي، وكيل مساعد في وزارة الداخلية وهو من مفكري السعودية البارزين، حفل عشاء وعندما انتهى العشاء والحوارات واللقاءات، سأل الدكتور المرزوقي عمر عن جنسية الشيخ؟، ولماذا قدمه والدك باعتباره عراقياً؟ وقد ظهر لنا أنه مبعوث إيراني، فاعتذر له عمر بتصحيح هذا الانطباع الذي تشكل لدى المسؤولين السعوديين الذين لم يلمسوا من الشيخ ما يشير إلى عراقيته، فقد تحدث عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وإنجازاتها، وأهميتها في المنطقة، ولم يعرض مسألة عراقية، مما أثار استغرابهم من هذه الزيارة التي كان كاتب السطور قد ورط الشيخ التويجري بها، ولم يعرفوا الغرض منها.

ومما أثار استياءهم أيضاً أن الشيخ همام حمودي قد حضر إلى دعوة العشاء، ومعه السفير الإيراني الذي لم يكن مدعواً، ولم يكن صاحب الدعوة على علم بقدومه، وهو إشكال بروتوكولي آخر.

لا بأس.. يجوز هذا!!

وقد حاول عمر دون علمي وهو في بغداد أن يزور الشيخ همام حمودي، للسلام عليه باعتباره صديقه فاعتذر له بأنه مشغول، هكذا كان رد المكتب عليه.

لكن الذي لم يكتشفه همام حمودي بعد، أنه سيحتاج إلى أربعين سنة قادمة، حتى يستكمل أدواته ليصبح في موقع من يرفض استقبال رجل، هيأ له فرصة الوصول إلى الضيافة الملكية، بما يترتب عليها من تقاليد وأعراف لم يحسن رئيس لجنة وضع الدستور الحالي العمل بها.

ربما انتقلنا من العام إلى الخاص، وهذا جائز في مناهج المنطق، وسيكون أكثر جوازاً عندما تملي الضرورة المنهجية على الكاتب أن يقدم الأمثلة والشواهد... فلا قاعدة بلا شاهدة!

• موفق الربيعي: عقد بريطاني مع الجيش الأميركي.

طبيب لم يمارس الطب وعصامي يبخس حق عصاميته، وهو من مغلولي الأيدي، وله نفس مغلولة تشي بها هندسته البدنية كأنه صراف يهودي في سوق مناحيم دانيال.

وشأنه شأن آخرين من منتحلي الأنساب مباشرة إلى أعالي ربيعة، والله وحده يعلم ما في الأرحام صرنا بفضله نعلم ما في أرحام السياسة، وما تحمل بطونها، ونتعرف على المخفي والمدروز بخيوط الحرير الفرجيني، ظهر في لندن أم قدم من إيران.

وموفق الربيعي كان من الموجة الأولى التي وصلت لندن تاركة دولة الفقيه الشيعي وراءها ليقسم أمام القاضي المسيحي يمين التجنس في الولاء للعرش وصاحبته وحفظ مصالح بريطانيا في العالم، ويده اليمنى على نسخة من القرآن.

إنه القسم بالكتاب المقدس للقاسم، وهذه مسألة لم يبت بها الفقهاء، فهل يجوز القسم بالقرآن الكريم لرعاية مصالح غير إسلامية، والولاء لعرش مسيحي، وملكة مسيحية، دون أن يقلل هذا من حبي المديد والمعروف للمسيحيين ودينهم؟

سؤال مدون أرفعه لسماحة السيد علي السيستاني بغية الحصول على حكم شرعي.

في أواسط الثمانينيات خير الإيرانيون حزب الدعوة الإسلامية بقيادة الأصفي والحائري والجعفري بين البقاء في معسكر الأحواز والعمل تحت قيادة الحرس الثوري، أو تسليم المعسكر للقيادة العسكرية الإيرانية، وتلك مشكلة، كان طرفاها السيد الحكيم والدعوة ومخابرات المنطقة الثامنة للحرس الثوري.

يومها وقف عضو من الدعوة مشارك في معسكر التدريب خطيباً في منبر المعسكر الذي يقع على بعد 30 كيلومتراً عن مركز مدينة الأحواز منوهاً بدور الجمهورية الإسلامية في دعم الحركة الإسلامية، لكن الأخوة في إيران يريدون منا أما تسليم المعسكر لقيادة الحرس الثوري، أو العمل تحت إمرة إيرانية. فاختارت الدعوة وجل دعاتها الخروج من معسكر الأحواز، والتوجه إلى مدينة قم للانخراط في دراسة العلوم الدينية بما عرف فيما بعد بمدرسة الحكمة.

في غمرة هذا الانسحاب الأكثر إيلاماً للدعوة وقيادتها، سمعت همساً مسموعاً يتردد في جدران وآذان الحكمة القمية أن قيادياً في الدعوة يقيم في لندن، يدعى موفق الربيعي، تم فصله لأنه خرج على شريحة الحزب بسبب علاقاته مع أطراف دولية... ومن يومها وأنا أعرف أن الربيعي منشق على الشرعية[9].

لكن إسلاميين قدماء يعتقدون أن حزب الدعوة، دأب على توزيع الأدوار، فتوزع أعضاء المكتب السياسي على ثلاث عواصم، فقسم منهم استمر في إيران على شروطها، والآخر استقر في بريطانيا بشرط اليمين، فيما اختار القسم الثالث حي السيدة زينب في دمشق.

لكنهم في نهاية الأمر تحولوا إلى كتل شبه مستقلة عن بعضها، حتى سمي كل فريق بمصطلح خاص تحت لافتة الحزب الواحد، وفي التسعينيات تجدد الحديث عن فصل موفق الربيعي من الحزب لاتصاله بدول خليجية والاتفاق معها على برامج غير مصادق عليها حزبياً.

وما يعنينا أن موفق الربيعي، قد اتصل فعلاً بمخابرات دولة خليجية، كانت تنسق مع المعارضة العراقية بعد غزو الكويت، وأنه تعهد بتفكيك حزب الدعوة من الداخل، وتشكيل مجموعة عمل إسلامية شيعية خارج نفوذ إيران، وبالتعاون مع تلك الدولة. وبعد أسابيع دفع موفق الربيعي اللاجئ العاطل في بريطانيا ما يقرب من (270) ألف باون لشراء فيلا في حي هاتكرلين، وفي

(9) شهادة داعية كان في معسكر الأحواز وقد كتبها وأرسلها بخط يده.

شارع خاص بالأثرياء، لكن الربيعي عاد بمشروع لتشكيل جماعة دون علمها، من خلال التوقيع على بيان تدرج فيه حقوق الشيعة بعد التغيير المرتقب، فوقع عليه مفكرون وقادة عسكريون ورؤساء قبائل ومهندسون وأطباء وتجار، فحمل الربيعي النسخة الأصلية من التواقيع، واختفى، فقيل أنه في إيران، والصحيح أنه كان في زيارة سرية إلى دولة خليجية ومنها إلى أميركا، وعند عودته تداعى بعض الموقعين وعلى رأسهم سعد صالح جبر للاجتماع في بيته، واتخاذ موقف من حركة الربيعي الغامضة والتي فسرت بأنه قد باع هذه التواقيع لتلك الدولة، مدعياً أن هؤلاء الموقعين هم زعماء هذه الحركة الشيعية التي بشرتكم بها.

فحضر الربيعي ومعه الدكتور علي علاوي، وكان أبرز الحاضرين إلى جانب سعد صالح جبر العميد توفيق الياسري والعقيد سالم أحمد الزيادي وكاتب السطور. ففاجأنا الزيادي المعروف بعنفوانه وجرأته في قول ما يريد أن يقوله، وقد انفجر في وجه الربيعي قائلاً... أنك لم تستطع الدفاع عن نفسك وأنت على شاشة التلفزيون، فخرجت من المقابلة مهزوماً أمام خصمك وخائفاً فهل ستدافع عن طائفة وشعب ووطن ببيان شيعي، وشيعة العراق نصف السكان، ومشاكلهم لا تتسع لحلها قوى سياسية، ثم نهض ليغادر المجلس موجهاً كلامه للربيعي.. أنك تتحرك تحرك الجبان، لكن الحاضرين أعادوه إلى مقعده، وقد حاول علي علاوي الانتصار لصاحبه، وهما شريكان مؤسسان إلى جانب عبد الصاحب الحكيم للبيان الشيعي. فقررنا نحن أصحاب الدعوة إصدار بيان صحفي للتنديد بتحركات موفق الربيعي، وإعلان عدم مسؤوليتنا عن بيانه الشيعي، ونشر هذا التنديد وقتذاك في الصحف العربية.

وعلى ذكر الدكتور علي علاوي، فمن الأنصاف، أن الرجل كان أعلى مقاماً من صحبة الربيعي وقد استوزر بعد التغيير، للتجارة وأضيفت إليه وزارة الدفاع، فقيل وقتها أن قرابته من رئيس الوزراء إياد علاوي هي التي بوأته المقعدين.. لكن الحقيقة أن الدكتور علاوي عقل اقتصادي كبير ومثقف واسع

الأفق، وهو أكثر حنكة ودراية من قريبه رئيس الوزراء ولعله هاجر مع الخبرة التي حرمت شيعة السلطة منها أهل العراق لتنغلق على أسماء معينة لا عهد لها بالتجارة والاقتصاد.

فائدة:

عند تصحيح ملازم الكتاب في خاتمة الفصل هذا، سألني المصحح العراقي... وكيف أغفلت السيد صدر الدين القبانجي، والشيخ جلال الدين الصغير، فأجبته:

إن الأخير رأس حربة يقاتل به القاعدون على المواقع، وهو ضحية لهم وليست له قناعة بهم، وقد خرج على المجلس وأصدر جريدة متخصصة للنيل من السيد محمد باقر الحكيم ومجلسه، وهو اليوم مدفوع إلى المجهول.

أما السيد صدر الدين القبانجي، فلعله أصدق صوت في المجلس وهو رجل الصراع عن قناعة،و المتطوع في الصفوف الأولى منذ ثلاثين عاماً، ورجل كهذا لا تملك إلا احترامه رغم أنه هاجمني على كتابي عمر والتشيع، فأعتبرت ذلك أمراً طبيعياً يدخل في نطاق واجبه السياسي.

لكن الرجل الذي لم أوفه حقه هو السيد محمد الحيدري إمام جامع الخلاني الذي كان والده رحمه الله قد أشرف على أوسع مكتبة جعلها عامة للدارسين، وقد اكتسبت معارفي الأولى منها، وكان السيد الحيدري يدربني على كيفية استخراج الكتاب من الفهارس وعمري آنذاك 14 عاماً.

• محمد بحر العلوم: الأنبوب الأسود في البيت الأبيض!.

يشكل مع مصطفى جمال الدين وأحمد الوائلي حالة صحية في بيئة النجف، فهم طلاب حوزة، لكنهم متنورون لم يكتفوا بالعلم الديني، فأضافوا ولم يخرجوا عليه، الدرس الأكاديمي، فحصلوا في أوقات متفاوتة على لقب دكتوراه حقيقية، فنشر جمال الدين رسالته في النحو عن الأصوليين، والوائلي في فقه السجون، لكن الأول اتخذ لنفسه منذ شبابه طريق الدعاة

والعمل الشاق، وعدم الاعتماد على ما تدرُّهُ العمامة من رزق.

ومع أنه رجل المنبر الحسيني بلا منازع لأربعين عاماً على الأقل، فلم يترك الدراسات والأبحاث، وكان كتابه (هوية التشيع) مرجعاً قومياً وكنت أرى فيه شيخي وصديقي في آن.

وإذ كان قلة من المفكرين والدعاة من تتناظر في مسالكهم، النظرية والتطبيق، فالشيخ أحمد الوائلي، عاش الإسلام دعوة على لسانه، وحياة يومية والتزاماً صارماً.

وكنت في الثلاثين عاماً الأخيرة إعايش تجربتين لإسلامي مع حياة الإسلام، ولماركسي في نقل فكره إلى حياته، فرأيت إسلام الإمام في إسلام الشيخ الوائلي، ورأيت صورة الماركسي الحق في هادي العلوي.

كان الشيخ الوائلي ميزان عدل وقسط، فهو يعطي من جهده، ولا يعيش على أعطيات ومساعدات، بريئة أم غير بريئة، شرعية أم غير شرعية، ولطالما لجأت إليه لنتشارك في إنقاذ مريض، أو تسهيل وصول عائلته إلى معيلها في أوروبا ولدي قائمة بالعوائل التي كنا نعيلها من فقراء العراق في حي السيدة زينب بدمشق.

أما هادي العلوي، فقد أنشأ صندوقاً في هذا الغرض، فكان شقيقان في عائلة أحدهما مسجل في دفتر الماركسي، والثاني في دفتر الوائلي، دون أن يعرف أحدهما بسر الآخر.

أما السيد مصطفى جمال الدين، فطراز آخر، لم يكن داعية، ولا انشغل بالأبحاث الفقهية، وهو فقيه، وقد غلب الشعر على حياته... وعاد الشريف الرضي بعد قطيعة، فهو على منهج الشريف شعراً وسياسة وزعامة طالبية.

والضرورة الشعرية غير الضرورات الفقهية عند الشاعر...

يمثل السيد مصطفى جمال الدين، طرازاً ثالثاً وموقفاً ثالثاً فهو لم يترك الشعر ليحتفظ بالفقه مثلما فعل السيد محمد سعيد الحبوبي فخسر الشعر

العربي قرناً من الشعر العباسي.

ولا هو كالجواهري الذي دخل مع الفقه والفقهاء، ومع بيئتهم في حرب السبعين عاماً استمساكاً بالشعر الذي كانت بيئته العائلية لا ترى فيه مجداً ولا خيراً!

مصطفى جمال الدين لم يلق العمامة كما ألقاها الجواهري في سلة المهملات عند باب المرقص، ولم يترك الشعر للاحتفاظ باللقب الفقهي، لكنه لم يدخل مراتب الفقهاء ولم يدع لا آية الله، ولا حجة الإسلام كان حجة الشعر ومن سيحمل لواء الجواهري!

فإلى أين ذهب الثالث منهم، السيد محمد بحر العلوم؟

في شقة يسكنها الشيخ أحمد الوائلي، تطل على حدائق الهايد بارك في لندن، اجتمع الثلاثة إلى جانب آخرين، وكان الشاعر أحمد مطر من بينهم، وبعد أن طال الحديث في الشأن العراقي، اقترح أحد الحاضرين أن يقرأ كل منهم شيئاً من شعره، واختير كاتب السطور قاضياً نقدياً، فوافقت على أن يرضى كل شاعر بما سأصدره له أو عليه فقلتّ:

في الموازنة بين الشاعر الوائلي والشاعر جمال الدين.. أن الوائلي يرضي الله ويغضب الشعر أحياناً! وأن جمال الدين يرضي الشعر ويغضب الله أحياناً. وقلت للسيد محمد بحر العلوم:

ما أنشدته ليس شعراً، فالشعر سيغضب عليك! وترضى عنك السياسة، لأنك معارض بالفعل لصدام حسين منذ سنوات، ولم يُحسب الوائلي على هذا القبيل، ومعارضة السيد مصطفى جمال الدين لينة، شفيفة لا تثير عليه نقمة أحد بينما يعارض بحر العلوم برقبته على مذهب صاحبه السيد مهدي الحكيم الذي اغتيل في الخرطوم.

إن بحر العلوم، سياسي خالص، لم يرتق إلى مستوى الفقيه، كما ارتقى الوائلي، ولم يصعد مراتب الشعر، كما صعد مصطفى جمال الدين، ولربما شكل له السيد مهدي الحكيم مظلة عمل جيدة، فيما فتح الأستاذ سعد صالح جبر،

وهو أول معارض عراقي يواجه صدام حسين باسمه ويصدر جريدة معارضة لنظامه، وحمله إلى مشارف التفاهم مع السياسة البريطانية، وكان بحر العلوم مهيئاً فكرياً، فهو لا يأخذ بنظرية ولاية الفقيه، وقد نادى علانية بمرجعية السيد الخوئي، لكنه لم يتعاون مع الخوئية عندما أقاموا لهم مؤسسات كبرى، واستمر مسؤولاً عن مؤسسة تحمل عنوان مركز أهل البيت الذي انفق عليه شيعة أثرياء لم يكن من بينهم إسلامي، والحصة الكبرى لشراء المركز دفعت في أيام السيد مهدي الحكيم من قبل المرحوم صادق العطية، الذي يعد المالك الشرعي لهذا المبنى.

غير أن السيد بحر العلوم وضعه تحت إدارته الشخصية، وأقصى أبناء السيد مهدي الحكيم، وكما بقيت حصة الأخير شاغرة ظل مكانه شاغراً فلم يمتلئ بالسيد بحر العلوم لافتقاره إلى شخصية جاذبة، وروح جامعة، وأريحية تتيح له التفاهم مع الآخر، فانصرف شيعة لندن عن مركز أهل البيت، وأقفرت صالته الكبيرة، بينما نشطت صالة صغيرة في شقة وسط لندن أتخذها السيد حسين الصدر، بما يتمتع به من انفتاح وشجاعة ووضوح، وصراحة في القول فأخذت الدور السابق لمركز أهل البيت.

وجد بحر العلوم الظروف مواتية لاتصال مباشر مع الإدارتين البريطانية والأميركية، فلم يعد يحتاج كثيراً الاعتماد على سعد صالح جبر، أو غيره، كما وجدها ظروفاً شيعية أوسع في تمثيل كان يعد له في المؤتمر الوطني بغياب ممثل للحركة الإسلامية بعد إعلان الدكتور إبراهيم الجعفري تحالفاً سريعاً مع الحزب الشيوعي وممثل حزب البعث السوري في لندن، وصدور بيان يعتبر من يعمل مع المؤتمر الوطني عميلاً خالصاً للسي آي أيه، ومن يشارك في سلطتها القادمة التي اشترك فيها الجعفري عضواً في مجلس الحكم بإدارة بريمر، كما اشترك الحزب الشيوعي العراقي وبقي ممثل البعث وحيداً خارج الشبهة التي رسمها لنفسه البيان الثلاثي وكان ثمة متسع من الظن أن حزب الدعوة كان يستهدف السيد محمد بحر العلوم الذي لم تكن علاقته بالدعوة طيبة وقد تحمل الرجل اتهامات الإسلاميين الآخرين بسبب ميوله البريطانية.

ولم يكن المجلس الإسلامي الأعلى للثورة الإسلامية قد وضع ثقله في المؤتمر عند تأسيسه، لكنه لم يكن بعيداً عنه، وكان على الإدارة الأميركية أن تأخذ بعامل القدم، وتضع المتقدمين من الإسلاميين الشيعة للعمل معها، بما يرضي جهادهم معها رغم ما كانوا يواجهون من زملائهم!

ولم يكن لا كاتب السطور، ولا السيد بحر العلوم يتوقع في أي استخارة أن يصبح ممثل حزب الدعوة، وحامل لواء معارضة عملاء أميركا هو رئيس وزراء الاحتلال الأميركي، وكان لا بد للسيد بحر العلوم من تعويض، رغم أنه أصبح عضواً أساسياً في مجلس الحكم برئاسة بريمر، وكان مطلبه عادلاً في تعيين ابنه الدكتور إبراهيم بحر العلوم وزيراً للنفط في وقت كانت أنابيب تصدير النفط، منزوعة العدادات وهي تصب نفط العراق في الناقلات العملاقة وبحر العلوم هو الذي اقترح يوم الاحتلال عيداً وطنياً.

ولم يكن الأمر سهلاً على هذه الصورة، فقد أعلن السيد بحر العلوم اعتكافه حزناً واحتجاجاً على مقتل السيد محمد باقر الحكيم، فظهر أن قراره يتصل بتنصيب ابنه لوزارة النفط، فخرج من الاعتكاف، حال خروج المرسوم بتكاليف الوزارة، وكان بحر العلوم يكتب عموداً سرياً يهاجم كاتب السطور في جريدة التيار الجديد التي كنت أنشر فيها، كما أخبرني بذلك الصديقان سعد صالح جبر، والمرحوم صادق العطية.

وفي مؤتمر الغدير الذي عقد بلندن في ذلك الحين، منع بحر العلوم توزيع نسخ من كتابي، الشيعة والدولة القومية. وعندما استفسرت أخبرني أحد عارفيه متسائلاً عن بساطة السؤال. والمؤتمر يمول من أثرياء شيعة في الخليج «والسيد يعد نفسه مستودع أعمالهم، فكيف يسمح بكتاب لو أطلع عليه هؤلاء الخليجيون فقد يؤثر ذلك على مكانته ومصالحه».

كان السيد بحر العلوم أول عمامة تعرض في لندن من العمائم البديلة للسيد الخميني، فاستحق أن تكون أول عمامة سوداء تظهر في البيت الأبيض على مر التاريخ، فاستحق هذا المجد بعرقه ودمه... ولم يكن لأحد من فضل عليه.

شيعة العراق يتمتعون بضمير جماعي فريد، ولم يكن مصادفة أن يخرج في جنازة الشيخ أحمد الوائلي ثلاثة ملايين عراقي، فكم تستطيع شيعة السلطة أن تحشد لتشييع السيد بحر العلوم أطال عمره ومتعه بالعافية؟.

الفساد يزور ملكيات العقارات وأصحابها في غيابة المنفى!

- لغة الفساد وأرقام الفساد.
- الاستيلاء على الأراضي بالطريقة الإسرائيلية.
- تجربة شخصية مع حالة فساد!.
- مكاتب المسؤولين خيام الفاسدين.

• ديمقراطية الفساد .

رحلت وزارة إياد علاوي وهي في عمر الرضيع، ومعها مراضع تكفي لأن يعيش بها الوزير والوكيل والوسيط والدليل إلى مائة عام أخرى دون الحاجة إلى عمل!.

ولأول مرة في تاريخ الفساد الحكومي، يضخ النفط من حقوله إلى الناقلات وليس في الأنابيب عدادات!.

ولأول مرة في تاريخ تصدير النفط، تتقاسم الكتل السياسية عوائد الأنابيب السرية المتفرعة عن الأنابيب الرئيسية، بما عرف بتهريب النفط. وواقع الحال أنه محاصصة وفسحة حاصل، وليس تهريباً.. فالمسؤول الحكومي، هو الذي يبيع النفط، والناقلات تمتلئ وهي على رصيف الميناء.

وتحدث برنامج بانوراما على قناة بريطانية، أن وزير الإسكان الشيعي، كان يستورد من أموال الدولة. ويبيع الحديد والإسمنت باعتباره تاجراً عن طريق مكتبه الذي يشرف عليه أبناؤه!!.

واستورد وزير الكهرباء السني، مولدات كهربائية كبرى، ولم تصل إلى العراق، وسجلت أثمانها في حسابه. وكشفت هيئة النزاهة أن وزير النقل كان يستورد سيارات لم يتعرف على أسمائها الوهمية، سواه.. ومن هو في مكتبه الخاص. واختلس وكيل وزارة كردي تخصيصات وزارته الاستثمارية بعقود وهمية.

شعرت وأنا أتابع أخبار العدالة الديمقراطية في توزيع الفساد بحاجة مماثلة عندما وضعت مطلع الثمانينات الماضية كتاب ديمقراطية الموت.. بآخر يحمل عنوان.. ديمقراطية الفساد..

والفاسد مسلم شيعي إمامي لا يترك موعداً للصلاة، وآثار السجود على التربة ظاهرة على جبهته.

والفاسد خصمه المسلم السني الحنفي الذي لا يترك الحديث عن المقاومة

والتهديد بها لتقويم حال الحكومة!

وثالث الفاسدين، شريكهم في ثلاثية الحكم، كردي ديمقراطي الفساد.

وهناك لصوص ليبراليون، لم يشتركوا في الأحزاب، وهم يتمتعون بفساد مستقل وغير حزبي!.

لأول مرة تخصص طائرة لنقل حاوية للعملة الورقية، تحط في مطار بيروت قادمة من بغداد!.

لأول مرة يجري التعاقد على سلاح لم يصل، وعلى شاحنات لم تشحن، ويتعاقد وزير على توريد مواد البناء، فيعرضها للبيع في الأسواق على أنها مستوردات خاصة!.

والشيعي يطبر جاره السني أربع طبرات! والسني المسلح يستخدم السلاح الأبيض لذبح مخطوفه الشيعي على طريقة شرعية! والقتلة ليسوا شركاء، ولا مستفيدين من الفساد!..

وقد تشكو أمعاؤهم من فساد الطعام الذي يحصلون عليه، كإجراء.. عاملين لوجه الله تعالى.

وعلى الشاشات تتناسل الأفكار والأشعار بين فريقين.. وهؤلاء.. هم أكثر الأطراف بؤساً.. وحسن نية..

أوجد الفساد، حياة ثقافية، وحركة تجارية، وصراعاً إعلامياً وفضائيات وأوقد الحس بأهمية الطائفة التي ستدافع حتى الرمق عن أبنائها الفاسدين!.

● لغة الفساد.

ما زلت متردداً في تناول هذا الجانب لأكثر من سبب..

فالذي عليه الحال في الداخل، لا يملك عند من في الخارج سوى نهايات، مثل مجاري الأنهار التي تنتهي إلى جداول كالشعيرات الدموية. شعيرات من الفساد، ستشفق علينا مقاهي بغداد، والأعظمية التي لدى روادها من

المعلومات والأرقام والأسماء ما ليس للباحثين والمعنيين بكتابة المرافعات القانونية ضد سلطة فاسدة.

وثاني الأسباب هو الخشية من أن الدخول في الفساد يعني الدخول في لغة فاسدة مما يتفاهم بها هذا القطاع، مصطلحاً ورمزاً.

ولا عذر لنا في الأولى، ولا غرابة في الثانية... إذ الفقهاء وأئمة الإسلام لم يترددوا إذا تحدثوا في مسألة الطهارة أو النكاح أن يتناولوا من مفردات يشعر كتاب هذا اليوم بحرج بالغ لو اضطروا لإيرادها، وأمامي الآن نسخة من كتاب الطهارة في جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي المتوفي سنة 1266، والذي تحول عنوانه إلى اسم لعائلة الشاعر محمد مهدي الجواهري، فتقرأ فيه مائة مفردة موزعة على أكثر من ستمائة صفحة من حجم (A4) لو استعمل الصحفي في يوميه واحدة منها لأحيل إلى القضاء بمنطق قانون المطبوعات.. لكنهم تجاوزوا ذلك بقانون منهجي.. فلا حياء في العلم.. وإن كنا في مأمن الثقة أن استخدام مفردات الموروث البغدادي والعراقي، يعزز الصلة بالقارئ ويعفو الكتاب من التنطع والتعقيد.. وقد «هلك المتنطعون»!

الجعيدة.

أحفظوا مصطلح أهل العراق في لهجتهم الفصحى عن دور يؤديه شخص ما فيسمى الجعيدة. وهو مساعد الحرامي الذي يتخذ مكاناً يسهل فيه الرؤية على كل من صاحب الدار وصاحبه الذي يكون قد دخل المكان المحرم ليتم السرقة.

يبدو أن دور الجعيدة في السلطة الحالية أساسي وهو جزء من مكونها وآلية العمل، فدولة رئيس الوزراء أو معالي الوزير وسعادة النائب قد لا يتهيأ لهم رؤية أهل الدار أو الذهاب مباشرة إلى المستودع وهم سيحتاجون شخصاً آخر يكتشف لهم أسرار المكان وتفاصيل الكنز، صفقة أم قومسيون أم كلاهما معاً.

ولا بد من عزيمة وحمية عند ترشيح الجعيدة سفيراً أو مديراً عاماً في أحدى الوزارات ولكل وزير جعيدة، ولكل زعيم جعيدة، مهما اختلفت مذاهب

السلطة وكتلها في البرلمان، وأشخاصها في مجالس المحافظات والبلديات والوزارات.

وتطورت الحال بسبب ضخامة العمل وحجم الموازنة العراقية، مع ارتفاع أسعار النفط، فأصبح لكل جعيدة جعيدة وتتوزع شبكة من الوسطاء والمرابين ودلالي العقارات على خرائط العالم ما بين دبي وبيروت ولندن وجزر لم يتعرف المخلوق العراقي عليها بعد.

أبو حريجة.

عاش في حي السيدة زينب بدمشق شخص يدعى أبو حريجة، فاشتبهت بسلوكه أجهزة الأمن السوري، لكنه كان يلجأ إلى زوج أخته السائق في مكتب حزب الدعوة، ويدعى أبو مجاهد الركابي الذي يستعين بمدير المكتب جواد المالكي، وهذا بدوره سيتشفع له عند المسؤولين في الجهة المسؤولة عنه، لكن هذه الأجهزة المتمرسة قد تغض عنه عينها اليمنى، لتراقبه في اليسرى، حتى تتأكد أن هذا الرسم الكاريكاتيري المدعو أبو حريجة هو مخلوق استخباري مرتبط ببغداد، ولعل المالكي قد أفهم بهذا عند مراجعته للضابط المسؤول. ولما تكاثرت المعلومات وأصبح أبو حريجة في حرج مبين، فقد قرر ولا بد أن يكون اتصل بالجهة التي تم توقيت ساعة الهروب معها من دمشق إلى بيروت، حيث مقر السفارة العراقية التي نقلته على حسابها إلى بغداد، فعاد مظفراً وتم التهريب بسيارة المالكي التي يقودها زوج الشقيقة أبو مجاهد الذي استدعى من استراليا التي كان لاجئاً فيها ليكون مدير المراسم في رئاسة مجلس الوزراء.

فصدر قرار دولة رئيس الوزراء بتعيين شقيق زوجة السيد مدير المراسم في مجلس الوزراء السيد أبو حريجة مديراً عاماً لدائرة المشتريات في وزارة التجارة، وتحت يديه مليارات البطاقة التموينية وثلاثة مليارات للتجارة الحرة، وحوله وكلاء وممثلون من تجار الجملة والمفرد.

إن قصة أبو حريجة ظاهرة توجز اتجاهات السلطة وأسلوب عمل رجالها وسبل حصولهم على الثراء بأقصر الطرق، وقد نكتفي بهذه القصة وترك التفاصيل والأرقام والمعلومات التي يتداولها العراقيون عن الثراء باستخدام الجعيدة، ومن الإنصاف أنها سلطة (جعايد). فلكل وزير جعيدة ولكل جعيدة جعيدة يتم هذا تحت لافتة عريضة تتحدث عن جراح أهل البيت وأتباعهم فأردد مع نفسي وأخاطب تاريخ العذاب الشيعي:

دبت عليك زواحف الأيام وبرئت من جرح وجرحي دامي

● أرقام الفساد في شيعة السلطة.

إذا كان البغاء أقدم مهنة في المجتمع! فإن الفساد أقدم ظاهرة سياسية، ولعله نشأ مع ظهور الدولة في التاريخ الإنساني، ولا شيء يدعو للغرابة من رؤية مسؤول فاسد في مغرب أوربا أم في مشرق آسيا وغربها.

لكن الاعتراض على حجم الأموال والعمليات التي قد تكسر الأرقام القياسية، في مجتمع لا يجد سبعون بالمائة من مدنه، مشاريع لتنقية مياه الشرب، ولا تجد ثمانين بالمائة من مستشفياته، ما يعين الجهاز الطبي على أداء خدمته في معالجة المرضى.

ولمعرفة حجم الاختلاسات لحكومات ما بعد تغيير النظام الجديد وهي التي يمكن أن تنسب إلى مصطلح شيعة السلطة بمن معهم من سنة عرب وأكراد، فإن موازنات العراق منذ عام الاستقلال 1932، والأعوام الثلاثة التي تلته كانت على الأرقام التالية:

*موازنة عام 1932: 3.586.160 (ثلاثة ملايين وخمسمائة وستة وثمانون ألف، ومائة وستون ديناراً).

*موازنة عام 1933: 3.736.444 (ثلاثة ملايين وسبعمائة وستة وثلاثون ألف وأربعمائة وأربعة وأربعون ديناراً).

*موازنة عام 1934: 3.831.197 (ثلاثة ملايين، وثمانمائة وواحد وثلاثون ألف، ومائة وسبعة وتسعون ديناراً).

*موازنة عام 1935: 4.449.176 (أربعة ملايين وأربعمائة وتسعة وأربعون ألف ومائة وستة وسبعون ديناراً).

المجموع العام لموازنات أربعة سنوات ما بعد إعلان استقلال العراق هو 15.692.977 (خمسة عشر مليون وسبعمائة وسبعة وسبعون ديناراً).

وبالدولار يساوي 47،37،9،31 (سبعة وأربعون مليون، وثلاثمائة وتسعة وسبعون ألف وتسعمائة وواحد وثلاثون دولاراً).

أي بما يقل عن خمسين مليون دولار، مع فرق الكلفة والقوة الشرائية. فقد بني العهد الملكي دولة كاملة في نهاية عام 1935 بما فيها من مؤسسات حكومية. وإنشاءات، ونفقات التعليم، وبناء الجسور والسدود، والطرق، لبلد خارج من الخراب العثماني.

ومع ارتفاع أرقام الموازنات النفطية بعد عام 1953، فإن مجموع ما أنفقه العهد الملكي خلال 38 عاماً لا يزيد على مليار ومائتي ألف دولار، وهو الرقم الذي أعلنت هيئة النزاهة أن وزيراً واحداً في حكومة الدكتور إياد علاوي اختلسه!.

ومجموع الأموال المختلسة لوزارات الفساد الثلاث كما أعلنتها هيئة النزاهة يفوق على (8) مليارات دولار.. أي بما يعادل ميزانية العراق في جميع سنوات العهد الملكي لسبع مرات!

وقد ترك الملكيون للجمهوريين، سدوداً عملاقة للري، وجسوراً حديثة. وكليات علمية، وعسكرية.. ودولة ميسورة الحال.

● فدك السيد خلف تجربة شخصية مع حالة فساد.

الإتباع الملقنون يرضعون من أثداء صناعية، مادة مصطنعة، هالكة، وهم لا يكادون يتلمسون دلالة لها. وتوقيت النطق بها.. لكن تعاليم الملقن المتواري تملي عليهم حفظها.. وقد تعلموا مفردة الشخصي... والأسباب

الشخصية.. وكأنهم قد أمسكوا بمقاليد الكلام، وأخرسوا المتحدث على شاشة والمتحدث على كتاب.

أظن أن درساً تربوياً، وبياناً تعليمياً قد يساعدان الموروث المحكي على طريقة استعمال «الشخصي» في الإعلام والسياسية.. لأبنائنا المكلفين بالحكي التلفزيوني والصحفي عند قراءة هذا الكتاب!

وهذه فقرات البيان!

الفقرة الأولى: من المسلمات أن الأعلام والسياسة والأدب هي حقول إنسانية محضة والإنسان فيها قطب تدور حوله مدارات النشاط الذهني.

الفقرة الثانية: إن المذكرات السياسية، واليوميات، والشهادات، هي نتاج طبيعي لهذا النشاط وشخصية كاتبها محور الفصول بما فيها من مستصغر الشرر، ومستكبر الصراع، وقد تجنبنا كتابة المذكرات رغم إلحاح أصدقاء كثيرين، منهم ناشرون عرب معروفون، وإن نثرنا بعضها على معظم كتبنا وأحاديثنا ومنها الكتب التاريخية الخالصة، فضلاً عن شقيقاتها السياسية.

الفقرة الثالثة: أن شهادة الضحية لا تنافسها شهادة من يتحدث نيابة عنه! ويؤخذ بها في لجان حقوق الإنسان، ويفضلها القضاة، وتشد إليها أعصاب المشاهد التلفزيوني، فكيف والضحية كاتب أو شاعر، لا يحتاج إلى الاستعانة بغيره لطرح معاناته.

الفقرة الرابعة: بمنطق من يعتبر الحديث عن سجن الكاتب ومصادرة داره وحرمانه من العيش في وطنه، قضايا شخصية، فسيكون من النافع رمي دواوين محمود درويش في مياه الأنهار، ما دام الرجل مهموماً بداره التي ولد فيها، واستحوذ عليها الإسرائيليون، وحرموه مع عائلته من العيش في مسقط رأسه، وبين ملاعب طفولته..

والجواهري سنرمي بقية قصيدته المقصورة في نهر دجلة بعد أن طار نصفها إلى النهر، فهي الأخرى معاناة شخصية بالكامل.

وسنغلق صفحات ديوان الغربة، لأنه يخاطب سلطة لم تترك له داراً: يا

غريب الدار لم تكفل له الأوطان دارا.

الفقرة الخامسة: من هذا القبيل، وعلى هذا المنطق، دس وكيل أمني للنظام السابق في لندن، وكان حاضراً في أستوديو أحدى الفضائيات ورقة إلى من كان يحاورني، بأني أنما أصبحت معارضاً لصدام حسين، لأنه أعدم أحد أقربائي، فقلت على الفور لو كان كل من أعدم صدام حسين قريباً له قد ثار ثورتي، وقاتل النظام على طريقتي لسقط صدام حسين في عامه الأول، بعد مجزرة قيادة الحزب وكوادره التاريخية عام 1979 والعبث في المتواطئ مع قاتل أخيه، وليس في الثأر على قاتل قريبه... وإن صح هذا العامل فهو يسجل لي، وليس عليّ.

لو أخذنا بهذا المنطق، فإن الإمام السجاد بن الإمام الحسين، كان عليه أن يهادن الحكم الأموي حتى لا يكون السبب شخصياً، وكون الأمويين قتلوا والده.. وأن يترك أهل البيت قضيتهم إلى غيرهم، لأنهم طرف شخصي متضرر لا يجوز له التحرك حتى لا يتهم بالعامل الشخصي...!!

أقول... أن من لا يثور على المس بكرامته الشخصية لا يحركه أن يرى كرامات الناس مهانة، وأن من يسرق حقه ويتفرج، هو ممن كتبت عليهم الذلة والمسكنة.

وأن الكاتب الذي لا يواجه مغتصبي حقوقه المدنية والإنسانية سوف لا يدافع عن مغتصبين غيره.

أن أكبر الأعمال الأدبية في تاريخ الأمم، خرجت إلى التاريخ من معاناة خاصة، حباً أو كرهاً أو غضباً.

أن الأديب المحتفظ بمكوناته النفسية الطبيعية والصادق مع نفسه سيكتب في لحظة المساس بكبريائه ، نصاً مثل هذا:

لعمري أني سوف اختط خطة ... تضاعف دائي أو تكون دوائياً

وسوف أري الأيام نقمة حاقد ... إذا ما تقاضاها أساء التقاضيا

والجواهري كاتب النص، ضمير أمة، وذراع شعب، وصانع وعي.

ولعله التقط عام 1934 حالة فساد مماثلة. فسجلها في قصيدة عقابيل داء:

أفي كل يوم للعراق مؤمَّرٌ ... غريبٌ به لا الأُم منه ولا الأبُ؟

يُشرِّد سكانٌ لسكنى طوارئٍ ... وتُؤخَذُ أرضٌ من ذويها وتوهبُ

أعقماً وأمّات العراق ولُودة ... وإنكِ يا أم الفراتين أنجبُ

تداول هذا الحكم ناسٌ لوانهم ... أرادوه طيفاً في منام لخيَّبوا

المهم أن ينقل صاحب النص، تلك المعاناة إلى مرحلة أوسع يظهر فيها عمل مثل يوم الشهيد... وأخي جعفر، وهما «محرمان بمنطق شخصي» لأنه يصارع السلطة بسبب مقتل أخيه جعفر!! وهذه الحادثة الشخصية قدمت للشعر العربي ملاحم كفاح خالدة.

أن معاناة الشاعر نقلت الخاص إلى عام، فكأنه يدافع عن كل شهيد، وكأن المتحدث عن داره التي سيطرت عليها سلطة سابقة وقدمتها هدية لأحد أتباعها، أنما ينطق باسم آلآف الصامتين.

وعندما أثيرت محاولة تزوير لإلغاء عائلة، وقيام نصابين بإصدار وثائق مزورة، لا أكون فيها أبناً لأبي، ولا وارث عائلة ويكون وراء هذا رجل في مكتب النائب الأول لرئيس الجمهورية فيصبح هذا النائب... جزءاً من مناخ عام يستسهل تزوير الأنساب، للسيطرة على دار السيد خلف السيد سلمان. أليست هذه فدكاً بمقاييس من كان وراء المحاولة؟

إن مصادرات الأموال الخاصة، والعقارات، ومحاولات تزوير سندات التملك وتقديم أشخاص على أنهم ورثة أعرق عائلة في الكرادة، وموقف نائب الرئيس الواضح إلى جانب عصابة مزورة تتحرش بأنساب عائلة علوية تنتسب إلى اسم مؤسسها، محلة الزوية التي استوطن فيها رجال المجلس الإسلامي، إن كل هذه الإجراءات ذات باعث سياسي إلى جانب الواقع العام في السلطة التي وضع معظم رجالها إلى جانبهم مزورين ومرابين، ومتعهدي صفقات.

حدث هذا بعد إعلان موقفي السياسي في معارضة صدام حسين، فصادر

دار سكني الخاص. ومنحه هدية من مجلس القيادة الثورة إلى أحد رجاله، ولدى عودتي إلى العراق، وجدت سائقه الكردي شاهراً مع زوجته سلاحاً آلياً، فيطلق النار على أي مار من عائلتي، مدعياً أنه عضو في الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة الرئيس جلال الطالباني، وكاد أن يقع إشكال حين قرر بعض شباب العائلة اقتحام الدار وإخراجه بالقوة، فتركت الأمر إلى الدكتور برهم صالح ليعالج هذا الإشكال بما عرف عنه من دماثة وحكمة وحمية، فبذل جهده.

فهذا الذي اغتصب قصور الجادرية الاسم الذي طغى على محلة الزوية سابقاً، لمَ لا يضيف لتلك القصور دار السيد خلف مع علمه أن دار السيد مأمونة، فأبلغتهم أنني سأجعل من محاولة التزوير المكشوفة قصة فدك ثانية في تاريخ أهل البيت، وهذا الكلام أبلغته نصاً إلى السيد عمار الحكيم وشقيقه السيد محسن، وقد بادر السيد عمار مشكوراً وأرسل شقيقه إلى مكتب عادل عبد المهدي فقدم له الوثائق المزورة على أنها هي الوثائق الصادرة من دائرة السجل العقاري، وليس فيها للمالك السيد نوري ابن يدعى هادي العلوي ملأ الأرض العربية ثقافة، ولا ابنه السيد حسن العلوي المعروف لديكم وصديق عادل عبد المهدي منذ أربعين عاماً في منظمة حزب البعث بالكرادة الشرقية، ولا للسيد نوري ابن أخر يدعى بدر الذي سجن نفسه في هذه الدار ثلاثاً وعشرين سنة لا يخرج منها خوف الاعتقال والاغتيال بسبب نشاط شقيقيه هادي وحسن العلوي، فأدركته بعد سقوط النظام، وقد تحللت عظامه فتوفي وقد رآني قبل أيام، فكان مفتاح كتابي (العراق الأميركي) وقصته على الإهداء، لكن عادل عبد المهدي إذا كان مشغولاً عن القراءة بمكاسب السلطة فلم يتعرف على قربان العائلة العلوية وهو يقدم الأوراق المزورة للسيد عمار باعتبارها هي الأوراق الحقيقية وأنا البعثي معه في منظمة الكرادة الشرقية وهادي العلوي الشيوعي معه في منظمة القيادة المركزية لسنا أبناء أبينا.

وعندما طلبت إليه إزالة هذا الإشكال بنفسه لأنه يمس كبرياء العائلة، وليس فقط محاولة للاستحواذ على عائلة السيد خلف، قال أن القانون يأخذ مجراه. فقلت له سأقدم أوراقاً مماثلة للتي عندك، وأدعي أنك ابن سيمون كاربيان تاجر الحديد المعروف وصديق والدك، وعليك أن تثبت أنك ابن السيد

عبد المهدي المنتفجي قانوناً، أو أن أحد أبناء سيمون كاربيان هو ابن عبد المهدي وورث مزرعته في أبو هاون في الناصرية وعليك اللجوء إلى القانون... ونحن في دولة القانون، علماً أن عادل عبد المهدي في الوقت الذي كانت محاولة تزوير نسب عائلة السيد خلف والاستحواذ على داره في الكرادة الشرقية المجاور لمبنى السفارة الكويتية قد غادر إلى الناصرية لاستعادة أملاك والده المصادرة حسب قانون الإصلاح الزراعي وإصدار قانون لإعادتها إليه وبناء قصر يحمل اسم والده في مقاطعة أبو هاون.

أفي الله أن ترث أباك ولا أرث أبي أيها المبحوح الحنجرة على بستان بنت الرسول وأنتم تستحوذون في كل يوم على فدك؟.

إعلم أن دار السيد خلف لا تزوَّر ولا تصادر، فهي مستقرة في الحي الذي يحمل اسمه وأنتم الراحلون.

لم يكن الأمر يحتاج إلى قضاء، فاسم السيد خلف تحمله مدينة الزوية منذ القرن الثامن عشر وآخر أحفاده معروف الاسم والصورة، واكبر منه شقيقه هادي العلوي وقد انتبه موظف في مديرية التسجيل العقاري بالكرادة الشرقية، بأن هذه الأوراق مزورة، وقد خلت من اسم هادي العلوي وحسن العلوي وبدر العلوي وملكية وغزية وأولادهم، فاتصل بالحال بي في دمشق، وقد أمسك أوراق المعاملة بأن عصابة اتصلت من أمامه بشخص يعمل رئيساً لمفرزة نائب الرئيس عادل عبد المهدي، وقدمت اسمه بالذات فتحدث مع عصابة التزوير[10] التي هددت موظفي مديرية التسجيل العقاري، وما زال هذا الشخص يهدد من يتقدم نحو الهدف المزور، ولهذا كتبت إلى المحكمة

(10) لدينا جميع أسماء شبكة الاستيلاء على عقارات الكرادة الشرقية وعددها أحد عشر داراً. بعض أهلها خارج العراق وبعضهم يسكن في بيوتهم عندما تم سرقة أصول الدار وسجلت بأسماء تابعة لهذه الشبكة وكيفية عملها ومن هم وراءها وسنعرضها في مقابلة تلفزيونية إن شاء الله. حماية لمصالح أهالي الكرادة الذين استوطن الغرباء على أرضهم وأخرجوهم من ديارهم، في كرادة مريم أثناء النظام السابق وفي الكرادة الشرقية أثناء النظام الحالي.

الأوروبية لحقوق الإنسان واللجنة الدولية لحقوق الإنسان في جنيف، وإلى معظم الصحف والفضائيات العربية، والسفارات العربية ودوائر القرار أن عادل عبد المهدي وذكرت الشخص الذي يعمل معه، مسؤولان مع أعضاء زمرة التزوير، وقد هرب بعضها وتمسك الآخر بمكتب عادل عبد المهدي مسؤولون عن أي اعتداء أو ضرر يصيب فرداً من عائلة السيد خلف في بغداد وسأكون لهم ولمن يحميهم بالمرصاد.

- **على الطريق الإسرائيلية**

الاستحواذ على أراضي العراقيين.

يحاول موظفون وطنيون، من بقايا أصحاب الشهامة و«الأمانة» التشبث لإيقاف حملة واسعة من النصابين ولصوص العقار، إتلاف الوثائق والسندات في مديريات التسجيل العقاري (الطابو) واستبدالها بأخرى تعود لأسماء أفراد في عصابات معروفة يقودها محامون ودلالو عقار، وسياسيون، مرتبطون دائماً بشخصيات ومكاتب السلطة العليا، أو بحركاتها السياسية النافذة فقررت دائرة التسجيل العقاري الامتناع عن نقل ملكيات العقارات، خوفاً من أن تكون السندات والوثائق من ذلك القبيل.

ويسجل للمديرية العامة للتسجيل العقاري أنها تصرفت بعد انهيار الدولة في نيسان 2003/ بما لم يجرؤ عليه حزب وطني، ولا هيئة سياسية كبرى، حينما أوقفت التعامل بعقود البيع والشراء العقارية، وقد لاحظ منتسبو هذه الهيئة الوطنية التي تأسست في منتصف القرن التاسع عشر، أن السياسيين القادمين من الخارج وعصابات الداخل، بدأت تتواطأ على التلاعب بالسجلات العقارية، وتغيير أو إتلاف سندات الملكية. بغية الاستحواذ على العقارات العامة، والخاصة.

وما تزال هذه الهيئة الوطنية تقاوم ضغوط الكتل السياسية ومحاولات إفساد ذمم موظفيها، وتزوير الوثائق وإخراج القيود والوكالات العامة والخاصة التي يتم التلاعب بها في مكاتب الحركات السياسية وممثليها في الدولة.

وكان لا بد لي كمراقب وطني على الأقل أن أرصد هذه الظاهرة، وأعقد لقاءً تلفزيونياً مع فضائية المستقلة في لندن بتاريخ 23 ـ 10 ـ 2004، بالإشادة بموقف مديرية التسجيل العقاري الشجاع والذي حفظ المال العام وعقارات الدولة من تسجيلها بأسماء وزراء كان بعضهم في الخارج، وقد تعاقدوا على صفقات مع تجار يهود لإعادة ممتلكاتهم المجمدة مقابل عمولات كبرى استلم معظمها وزير شهير كان يعمل في ظل الحقل العقاري بلندن.

لكن قرار التسجيل العقاري بإيقاف نقل الملكيات العقارية، قد أفشل صفقة الوزير الدلال، كما جاء في تلك المقابلة، ولم يكن في خاطري أن تتجرأ بعد أربع سنوات جهة سياسية أو رسمية على التواطؤ مع عصابات تزوير الملكيات العقارية، للسطو على ملكية دار والدي السيد نوري بن السيد سلمان بن السيد خلف في الجادرية، وأن يتصدى موظفو التسجيل العقاري لهذه المحاولة، مدعومين بنزاهة مابقي من العروق النقية في الدولة المنهارة، وبموقف القضاء العراقي وما بقي من ميراثه.

يحدث ذلك.. وعادل عبد المهدي معتمد الشيعة في الدولة والساكن في الكرادة، والعضو في المجلس الإسلامي الذي يسيطر على الجادرية.. يدافع عن رئيس مرافقيه.. مثل دفاع هوشيار زيباري عن قاتل الشيخ طالب السهيل..

والعقارات والأراضي المستهدفة تقع في أنحاء مختلفة من بغداد ومدن أخرى وتعود بعضها للدولة، وبعضها لمواطنين يعيشون في الخارج. وكانت حصة العصابة في الكرادة الشرقية فقط أحد عشر عقاراً ثميناً. وبعضها عمارات ذات طوابق متعددة، قد تم الاستحواذ عليها وهي تقع في منطقة نفوذ المجلس الإسلامي الأعلى، وممثله الأول في الدولة، الدكتور عادل عبد المهدي، ووزير المالية بيان جبر، فتقع على المجلس مسؤولية شرعية، ووطنية، في ذروة انتشار أخبار عن رغبة القيمين على المجلس في الاستحواذ على العقارات في بغداد والنجف ومدن الفرات الأوسط.

إن المحاولة الفاشلة للاستحواذ على دار السيد نوري السيد سلمان السيد

خلف، وهو (سيد الزوية) ومعتمدها. تعني أن أستفحال هذه الظاهرة متطور الأداء، ومحمي بمكاتب الدولة، إلى درجة التحرش بما يشبه المقدس المحلي في حالة هذه الدار. والأسماء معروفة لدى من عهد إليه المجلس تمثيل الشيعة، وهو من أهالي الكرادة ذاتها وأكبر الأسماء التي ترددت تشير إلى مسؤول «حرسه الخاص» وهو كردي للأسف الشديد وإلا فمن أين لنا معرفة الاسم، وكان الواجب الوظيفي، والدفاع عن النفس ولا أقول الدفاع عن حقوق (السادة) والمواطنين والأهالي في منطقة نفوذ المجلس يفرض على ممثلهم في الرئاسة أن يكون الحريص على حقوق الأهالي، وأن يكون خبر علمه بهذه العصابة وسواها وبعمليات السطو على دوائر التسجيل العقاري قد أثارت حميته وغيرته السياسية والمحلية لمطاردة العصابة، واستحضار أفرادها وإحالتهم علانية إلى (القضاء) ولديهم قوة أخرى غير القضاء يستخدمها النصابون في عمليات الاحتيال، والأولى به أن يستعملها هو بنفسه لحماية المال العام، والأرض عند العرب عرض، وما يحدث لأهالي الكرادة، قد حدث لأهالي حيفا ويافا، والظاهرة بجوانبها مستلهمة من التجربة الصهيونية في السيطرة على أراضي الفلسطينيين.

إنني أدعو المثقفين العراقيين والعرب لتشكيل هيئة الدفاع عن أراضي العراقيين ليس فقط من استحواذ عملي عليها، بل أيضاً من شراء بطرق ملتوية وتحويلها إلى ملكيات دول أخرى، بأسماء من يمثلهم في هذه السلطة.

وإذا كان جواب السيد عادل عبد المهدي أن حجم العصابات أكبر من حجم القدرة على السيطرة عليها ـ كما قال لي ـ فما هو مبرر وجوده الشرعي والوطني، وهو عاجز ودولته عاجزة مع 300 ألف شرطي للسيطرة على موظف في دائرة تسجيل لا يزيد عدد موظفيها على الخمسين فرداً، وبمساحة لا تزيد على نصف دونم مربع. وهي تقع تحت (سيادة) الحركة السياسية التي يمثلها الموما إليه في السلطة؟ ألا يعني يعني هذا أن من دفعتهم المقادير الشيعية إلى تمثيلها، كانوا قد نكثوا العهد، وقسطوا وإنهم شيعة سلطة لا شيعة محلة، ولا شيعة مدينة، ولا شيعة بلد.

أن مظاهر الفساد وأعراضه، تشبه أعراض أي مرض، وعندما يخبر عن حالة مرضية، ويعلن المصاب ذلك إلى السلطات الصحية، فإن الاحتياطات الحكومية، ستبدأ بمواجهة الوباء!

وليكن هذا وباء وقد اكتشف الفايروس... فماذا على ممثل الشيعة في أعلى مراتب الدولة أن يتخذ من إجراءات؟

وليكن معلوماً أنها ليست حالة خاصة، وإضرار شخصية، وأن من نعم الله على العراقيين الذين تستحوذ عصابات أقرب إلى الموساد على أراضيهم، أن يقع النصابون وحماتهم في الدولة في قبضة كاتب السطور، ليعلنها حالة طوارئ إعلامية عربية لإنقاذ حقوق أهالي الكرادة، وأهالي بغداد والمدن الأخرى بشكل عام، من تكرار التجربة الصهيونية وما تحقق في هذا السياق حتى الآن ليس بالقليل، وقد شاركت في الحملة خمس فضائيات، وعشرات المتحدثين، وكتبت صحف كبرى وأبلغت غرف القرار العربي بذلك.

ستستمر الحملة حتى يعلن في تلفزيون بغداد عن إجراءات لحماية حقوق العراقيين.

أما ما يتعلق (بفدك سيد خلف) فالمسألة محسومة منذ ساعاتها الأولى، والنصابون سيلاحقهم أهل الزوية وقد تحرشت سلطة النصابين، بدار السيد ودار السيد مأمونة، وشاخصة، وسيرفع عليها اسم الله بكرة وأصيلا، وهي تحمل اسم فدك سيد خلف التي حاول شيعة السلطة التستر على ظاهرة تسجيل أراض الدولة لأشخاص من غير أسماء مالكيها.. فجاءتهم بركات السيد خلف لتحرر أية أرض مسلوبة... لأن المسؤول عن محاولة سرقتها في الكرادة، مكتب معين، وموظف معين ومحام وزمرة معروفة الأسماء وهي تدعى أنها ذات نفوذ وقوة إجرامية ضاربة! والحق أن قوتها مستمدة من الموظف المعلوم في المكتب المعلوم، وسيكون المسؤول عن تحرير باقي الأراضي ومطاردة التجربة الصهيونية لتسجيل الأراضي العراقية بأسماء أشخاص تابعين لدولة أخرى، هو كاتب هذه السطور بإسناد الإعلام العربي والمثقفين والمحامين في المنفى والداخل بإذن الله.

وأنا أنجز آخر أوراق الكتاب في يوم السبت 2008/9/6 تلقيت اتصالاً هاتفياً من وكيلي في بغداد أن الدكتور برهم صالح قد أتم أنجاز معاملة استعادة الدار التي صادرها صدام حسين في حي القادسية ببغداد والتي بنيت قبل أن يستلم الحزب السلطة في بغداد وفي هذا السياق اتصل الأستاذ أحمد البراك مسؤول الهيئة القانونية لاسترداد الملكيات المصادرة مشكوراً بالوكيل العام وأبلغه بعودة ملكية داري لي بعد خمس سنوات وهي آخر دار مصادرة سياسياً تعود لصاحبها... فشكراً للدكتور برهم صالح وللأستاذ أحمد البراك...

إن رد الفعل إزاء موقف عادل عبد المهدي لإثبات انتسابي وانتساب أخي هادي وشقيقاتي، لوالدنا السيد نوري بن السيد سليمان بن السيد خلف قد أودى بي إلى إصابتي بأزمة قلبية نقلت في حالة إسعافية إلى مركز القلب في الرياض، وعندما أشيع خبر مرضي في الأوساط أشارت فضائيات وصحف عربية إلى ذلك، لكن الكاتب الكبير عبد العزيز السويد خصص عموده الرائج في جريدة الحياة للحديث عن هذه الأزمة وهذا هو نص المقال.

• معارض في السلطة..

يرقد المفكر العراقي حسن العلوي على السرير الأبيض في مستشفى الملك فهد للحرس الوطني بعد إصابته بجلطة، شفاه الله تعالى وعافاه. الهمة العالية أتعبت قلبه، فضعف الأخير بعد جراحات عدة، يحسب للقامة الفكرية لحسن العلوي الكثير، أبسط ذلك عروبته الناصعة وشجاعته الأدبية في أوقات حرجة، مهما اختلفت معه ستظل تحترمه، وقلب حسن العلوي على العراق، وهل هناك عربي أو مسلم وإنسان حقيقي قلبه ليس على العراق وأهل العراق وأيدي الجشعين تتناوش الأرض والعرض؟.

لكن، ما الذي دفع بالجلطة إلى شريان المفكر؟ رفاق المعارضة أصبحوا من رؤوس السلطة وصاروا يمارسون أو يتغاضون عما كانوا يزعمون رفضه! كانوا يدعون الكفاح ضد الظلم، فأصبحوا يحمون أو يشاركون في أبشع صوره، وها أنت يا ابن السيد خلف تدفع ثمن مواقفك المبدئية من

تصريحك الشهير بعد إعدام صدام حسين إلى كتابك العميق «عمر والتشيع».

كل فترة تثبت الحكومة المتسلطة في العراق طائفيتها البغيضة، ومن ورائها دعم لا هوادة فيه من المحتل يفرش الأخير لأصحاب المفاعلات النووية الطريق لاستلاب العروبة بالسياسيين المتربين في أحضانهم.

صدم حسن العلوي عندما علم أن منزل عائلته في الجادرية في بغداد تم احتلاله بعد تزوير للوثائق، استولى عليه عراقي كردي وباعه لآخر بحماية أحد النافذين من رؤوس السلطة الحالية ورفاق المعارضة سابقاً.

محتجاً اتصل حسن العلوي بأحد رؤوس السلطة الحالية من الأصدقاء، ورفاق المعارضة سابقاً، قال له الأخير أن العراق دولة قانون، وعليه أن يأخذ حقه بالقانون، والواقع أن العراق الحالي دولة قانون فرق الموت وقطع الرؤوس و«بلاك ووتر» والتهجير الطائفي والاستئثار بالسلطة والمال، وكأن في الخفايا محاولة استدراج، يضم فيها اسم حسن العلوي لقائمة اغتيالات مفكرين وعلماء وصحافيين، من هنا جاءت الجلطة من رفيق المعارضة السابق، ابن الجيران الذي يعرف المنزل جيداً.

لكن الرفقة والصداقة في حال الضعف تختلفان كثيراً بعد امتلاك القوة والسلطة أو حتى الوهم بامتلاكها، والواقع أن حسن العلوي أحرج الطائفيين كثيراً، من رفض للمناصب إلى رفع الصوت في كل محفل ضد كل ما يحصل للعراق والعراقيين ثم جاء بغير المتوقع منهم كتابه «عمر والتشيع».

العلم عند الله تعالى، لا يدري لمن ستنتصب المشانق في العراق، مستقبلاً، لكن من شاهد صدام حسين في ملكه ورأى نهايته يعلم بأن الله تعالى يمهل ولا يهمل، أما حسن العلوي فيكفيه أنه صادق مع نفسه ومع عروبته، ويكفيه الأوفياء من إخوان عرب كثر، فالحمد الله تعالى الذي جعل في هذه الأرض وقادتها الميامين حقيقة الشهامة وحضن العرب.

محاولات شيعة العراق لتقويم الإسلاميين

- مـذكرة الشيعة للسـيد محمـد بـاقر الحكـيم في انتفاضـة 1991.
- طمأنة العرب، والابتعاد عن النموذج الإيرانـي، ومشـاركة القوى السياسية الأخرى وعدم الاستئثار بالعمل السياسي. والتحلـي بـروح الصـبر، والعفـو عـن المشـاركين في الحـرس الجمهوري، والقوات الخاصة، وشباب الحزب.
- محاولة كاتب السطور في كتابه «عمر والتشيع».
- موقف أهل البيت من اجتثاث الخصم!.
- الرميثة مستصغر الشرر!.

● شيعة العراق... اعتراضات مسجلة على انتفاضة 1991.

سأترك الوثيقة تتحدث عن نفسها وهي مدونة بخط سيد الشعراء العرب، مصطفى جمال الدين، وتتضمن ملاحظات شخصيات مؤثرة من شيعة العراق، على مختلف انتماءاتهم، حول برامج انتفاضة 1991، وسلامة اتجاهاتها، ومحاولة تقويم ما اعتبر خروجاً على المبادئ الأساسية للتشيع العراقي، وكان كاتب السطور قد دعي لاجتماع مع كل من الشيخ أحمد الوائلي، والسيد مصطفى جمال الدين في بيت الأخير، فضلاً عن الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي في لبنان، الذي كان يراقب تطور الانتفاضة باهتمام غير عادي، واتفقنا على أن أدعو بمنزلي في المزة الشرقية بدمشق، مجموعة من الشخصيات الشيعية، إسلامية وعلمانية، ماركسية وقومية، فعقد الاجتماع الذي حضره فاضل الأنصاري عضو القيادة القومية، وهاني الفكيكي وعلي كريم سعيد، وأعضاء من حزب البعث العراقي في سورية، ومثقفون ماركسيون، وبحضور السيد مصطفى جمال الدين، وأحمد الوائلي ورجال دين في حي السيدة زينب، وإعلاميين موزعين على صحف المعارضة، فاتفق الحاضرون بالإجماع على تشكيل لجنة صياغة من السيد مصطفى جمال الدين وكاتب السطور. بعد أن طرح المجتمعون أفكاراً ومقترحات خطيرة في مذكرة أرسلت على الفور بالفاكس إلى السيد محمد باقر الحكيم، مكتوبة بخط السيد مصطفى وهذا نصها:

أصحاب السماحة رئيس وأعضاء المجلس الأعلى للثورة الإسلامية نحن في الوقت الذي نشد به على أيديكم، ونبارك لكم جهادكم المستمر، في إنعاش آمال الأمة وتطلعها إلى التحرر، من هذا الكابوس الجاثم على صدرها، لا نرى بأساً أن نعرض لكم بعض الملاحظات التي تدور في أوساط الذين يتعاطفون مع الانتفاضة المباركة، ومع مجلسكم الموقر، ومع سماحة رئيسه، ويتمنون أن تكبر هذه الانتفاضة لتصبح ثورة شعبية، تجتث كل ما غرسه الطغيان والاضطهاد في تربة عراقنا الحبيب، لتغرس فيها بذور المحبة والتسامح والإيمان بالشعب والوطن.

وبطبيعة الحال فلم يكن دافعنا لعرض هذه الملاحظات، أنها قد تكون خافية عليكم، فأن لكم من الخبرة وطول الجهاد ما يجنبكم الكثير، من وعورة الطريق وعثراته، ولكننا نود أن تكونوا على علم بكل ما يدور في أذهان العراقيين العرب ممن هم خارج الوسط الإسلامي الذي تعيشون فيه لتكونوا على بينة من ذلك.

• طائفية الانتفاضة.

1ـ يرغب الكثير من أخواننا أن تؤكد التصريحات التي تخرج عن المجلس ورئاسته على شمولية الانتفاضة، لكل القطاعات الشعبية في العراق، إسلامية وقومية ووطنية، والابتعاد ـ مهما أمكن ـ عن إسلامية التحرك، عن كل ما يوحي بالحس المذهبي، وإن كان واقع الانتفاضة، أنها تدور أما في محافظات الجنوب والوسط وسكانها شيعة، وأما في محافظات الشمال، وسكانها أكراد. وقد أكد سماحة رئيس المجلس في بعض تصريحاته على شمولية الانتفاضة ولكن ينبغي أن يكون هذا هو الطابع العام لكل التصريحات الصادرة عن المجلس، أو عن غيره، وحبذا لو خصصت جهة معينة يناط بها هذه التصريحات.

• الاستئثار وعدم مشاركة السنة!.

2ـ يلاحظ أن المجلس الأعلى ـ وهو طرف في لجنة العمل المشترك بدمشق، قد خلت تصريحاته ـ في الغالب ـ عن الإشارة إلى هذه اللجنة، ولعل في هذا ما يوحي بأن المجلس يريدان يستأثر بالعمل الوطني في الداخل، دون شركائه من الأطراف الوطنية الأخرى، وانتم تعلمون خطر ذلك على وحدة الصف الوطني المطلوب توافرها، في هذه الظروف الصعبة، ولا يخفى عليكم أن كثيراً منا يعلم أن الحركة الإسلامية ـ التي يمثلها المجلس هي أكثر الفئات السياسية امتداداً في الداخل، إلا أن أشراك لجنة العمل المشترك في بعض تصريحات المجلس ما يرضي العمل المشترك من جهة، ولا ينقص من واقع امتداد الإسلاميين في الداخل من جهة أخرى، على أن الكثير من أخواننا

يرى أن يتبنى المجلس في الوقت الحاضر فكرة أقامة (غرفة عمليات مشتركة) تضم ممثلين لكل الاتجاهات الوطنية عرباً وأكراداً وسنة وشيعة لتلافي كل ما يقال عن الانتفاضة في الإذاعات الأجنبية.

• طمأنة العرب!.

3ـ يلاحظ أن النظام الحاكم في العراق، خرج من عاصفة الصحراء، وهو في أضعف أدواره، وهذا هو الوقت الملائم جداً لتحشيد كل الطاقات، وبخاصة وأنه فقد الغطاء الإعلامي ـ العربي والدولي ـ الذي كان يساعده على التعتيم على كل جرائمه مع الشعب، ولكن هذا النظام كان واعياً للمأزق الذي وضع نفسه فيه، فأعد العمل بضدين لا بد له منهما: الاستكانة والخضوع ففي الاستكانة أبدى لكل ما يطلبه الحلفاء منه حتى الاعتراف بما سرقه من الكويتيين واستعداده لإرجاعه وتعويضهم عما تلف منه، كل ذلك ليجعل الحلفاء على الحياد في معركته مع الشعب وأظنكم تلاحظون خفوت نغمة مطالبة الحلفاء للشعب العراقي بإسقاطه نظامه في هذه الأيام.

وفي التنمر، أقال وزير داخليته وعين ابن عمه المعروف بشراسته وزيراً لها، مما يوحي بأنه سيستعمل أشد أنواع القسوة ضد هذه الانتفاضة، حتى استعمال الغازات السامة التي جبن عن استعمالها مع الحلفاء، وهذا الأمر يدعونا لان نعرض لكم فكرة (التساهل) في كل ما يطمئن الحلفاء ـ وبخاصة الجانب العربي منهم ـ والتأكيد على نفي أي تطرف توصف به الانتفاضة ومد الجسور بينكم وبينهم، لإيضاح أن الانتفاضة وطنية شعبية ليس فيها ما يخيف جيران العراق وبخاصة الكويت والعربية السعودية، وأنها بالنتيجة مستعدة للتعاون المثمر معهم، وهذا التساهل أن لم يفدكم في دعم الانتفاضة ـ فلا أقل من أنه سيفيدكم في عدم تعاونهم على قمعها بحجة أنها مرتبطة بإيران، أو في عدم تغطية أبنائها والتعتيم على استعمال الأسلحة الكيماوية ضدها ـ لا سمح الله.

• احذروا الاجتثاث والانتقام:

4- في الجانب الإعلامي الموجه للداخل، يستحسن التركيز على مسألة العفو العام من قبل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية عن كل شبابنا الذين أجبروا في هذه السنوات العجاف على التعاون مع زمرة صدام، سواء من كان منهم الحرس الجمهوري، أو في فيالق الجيش الأخرى، أو في الحزب والجيش الشعبي، على مقتضى مما عرف من أن (الإسلام يجب ما قبله) ما ينير طريقنا في هذا الصفح الجميل، وذلك من أجل تخفيف المقاومة للانتفاضة، وربما الالتحاق بها، ممن يعتقدون أن ما عملوه في السابق سيجعلهم في مصاف صدام وزمرته.

نرجو الله لكم التوفيق ولشعبنا المضطهد القوة والصمود في مقارعة الطغيان والدكتاتورية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

انتهى النص

يلاحظ في هذا البرنامج الوطني، أن كاتب السطور، لم يجتهد شخصياً، عندما رفض فكرة الاجتثاث، ولم يكن موقفه تعاطفاً مع رفاقه السابقين، وعودة إليهم، كما يدعى الدعاة، وإن كان ذلك إن حدث حقاً من حقوقي الشخصية. وقد ذهبت الشخصيات الشيعية العربية إلى أبعد من هذا عندما طالبت بكسب ثقة حتى فدائيي صدام حسين والحرس الجمهوري، والابتعاد عن النموذج الإيراني، واحترام الطابع العربي للعراق، والعودة إلى برنامج لجنة العمل المشترك التي تنكر لها إسلاميو الانتفاضة، وإلزام قيادة المجلس الإسلامي باعتباره عضواً في لجنة العمل المشترك، بمشاورة شركائه في المعارضة، وعدم الانفراد والاستئثار بالقرار الوطني، وضرورة مراعاة كسب الجوار العربي لقضيتنا.

هذا البرنامج الذي لكاتب السطور دور واضح فيه، لو أخذ به القيمون على

الانتفاضة، لتحرر العراق بشعبه وقواه الوطنية من تسلط النظام الدكتاتوري.
وكان عدم الأخذ بأي من نقاط البرنامج الوطني هذا سبباً في فشل الانتفاضة. يتحمله الإسلاميون لاستئثارهم بالقرار، ويتحملون معه مسؤولية المذابح التي تعرض لها شيعة العراق فيما بعد، والآثار السلبية اللاحقة التي جعلت معارضي صدام حسين يحجمون عن المشاركة في التظاهر لحظة سقوطه...

• «عمر والتشيع» وصناديق السلطة.

مشروع للسلم الأهلي في بلد مذبوح، يبدأ من المصالحة مع التاريخ ومرافعة مخلصة للدفاع عن شيعة العراق وفك الارتباط الخاسر، وإخراجهم من الحيازة الإعلامية الراهنة، وعدم تحميلهم مسؤولية سب الخلفاء، وعمر في المقدمة، وجعل هذه الظاهرة السيئة من فعل الجهلة في أيام الطفولة قبل ستين عاماً، وقد برأت شيعة العراق من تهمة لا تليق بالمسلم، فقسمت الموقف من عمر على شريحتين، واحدة تدعو للمشاركة وأخرى للقطيعة، وقدمت أمثلة القطيعة من الميراث الإيراني، وأمثلة المشاركة من فقهاء العراق العربي ولبنان العربي، وعزوت التشهير بالصحابة، إلى مصادر إيرانية قديمة وبرأت الخميني منها.

وعقدت مقاربة لأول مرة في الفكر السياسي الإسلامي، بين فتح فارس في زمن عمر بن الخطاب وفتحها ثانية في زمن الخميني، وكلاهما حطم عرش كسرى، وأقام دولة إسلامية على أنقاض دولة ليست لها صلة رحم مع الإسلام.

وقلت إن ثورة الخميني قد قضت على عرش كسروي صفوي، وانتهى بها حكم السلاطين.

فأي أنصاف وأي انتصاف للتاريخ، ودفاع عن الشيعة العرب أجلى فصولاً، من هذا الكتاب لو كان لهؤلاء بعض حمية على سمعة الشيعة، في ظرف تحولت فيه الفضائيات إلى مراكز التقاط لأية هفوة، والتشهير بصاحبها فكيف وهناك من يعلنون عن شيعتهم وهم يسبون على الهواء وأمام أسماع المسلمين، عمر، وعائشة، وأبا بكر!!؟

مَنْ الحريص على أهله وقومه وشيعته...؟ هذا الشيخ القمي الذي يرفض الترحم على صحابي، ولا يدفع الأذى عن زوجة نبيه، أم كاتب عمر والتشيع، الذي يقول للمسلمين أنا الشيعي العلوي... وهذا كتابي في عمر.. أقول لهؤلاء.. ما قلته في الكتاب...

إن وقتاً غير بعيد سيأتي... ولا يجد الشيعي خارج مسقط رأسه منفذاً للحركة، والمسلمون في أغلبيتهم المطلقة من أهل السنة، والعراق محاط بدول سنية سوى إيران التي تعامل الشيعي على حدودها بصفته عراقياً أو عربياً فتطرده.

إن الشيعة العرب، بين السنة مثل جزيرة قبرص في البحر الأبيض، فعلى أي جانبيها تميل والبحر سني بالكامل؟!

إلى أين يذهب أبناؤنا وأحفادنا ونحن جزء من المحيط العربي، إذا أغلق هذا المحيط مرافئه أمامهم لأنهم شيعة يسبون الصحابة!

مشروعي في هذا الكتاب أن أقيم مصالحة بين العراقيين، وأن أجعل الموقف السلبي من عمر، جزءاً من الماضي.. والحاضر هذا الكتاب الذي يدونه علوي بن علوي إلى قيام الساعة.

وحاولت النظر إلى المحيط القومي ذات النظرة، ليصبح هذا الكتاب جواز سفر لأجيال قادمة، تبرئ ذممها أمام الله، وأمام شرطة الحدود ممن يسب عمر.

أن عمر بن الخطاب، لا يحتاج دفاعاً يكتبه محب أو خصم بعد أربعة عشر قرناً، وليس هو بمتهم حتى يبرأ بمرافعة وشهادة.

المتهمون أولئك الذين صاروا بالقتل الطائفي زعماء ورؤساء، ويريدون أن يستمر الصراع على هذه الصورة، لترفع صورهم على اللوائح الانتخابية.

والكتاب يثير الانتباه إلى منهج يستخدم أهل البيت وسائل بين يديه، في الهدف إلى مسبة عمر، وتنقيصه، فيبدو الإمام علي معزولاً، جليس الدار،

والمسلمون في خراسان شرقاً وبرقة غرباً... منهج غريب يسلب عن الإمام علي دوره، وفتوته، وإقدامه، ليثبت خبراً يشهر بعمر.. والأمثلة معروضة على صفحات كتابنا..

إذا كان لعربي، ومسلم وشيعي، أن يقدم مساهمة في إطفاء الفتنة فليس أقل من استلال صفحة من عمر والتشيع ولصقها على جدران الجوامع والحسينيات!.

«عمر والتشيع» كتاب لشيعة العراق وهم أهل المشاركة، والتجانس الوطني، وسيتعارض مع مناهج القطيعة، في سلطة القطيعة، وخطابها الذي يقطع الأوصال.

الكتاب ليس لهؤلاء... وما فكرت يوماً أن أخاطب أحداً منهم على سطر منه.

ولم يأت عمر والتشيع من فراغ.. وفيه روح من الجواهري، ومصطفى جمال الدين وعلي الوردي وعلي الخاقاني، وعلي الشرقي، وجواد علي الطاهر، ومهدي المخزومي، ومصطفى جواد، وجعفر الخليلي، وجعفر أبو التمن، وهادي العلوي، ومظفر النواب، ومحمد باقر الشبيبي، ومحمد رضا الشبيبي، وعبد الرزاق محي الدين وعبد الرزاق الحسني.

وهو كتاب لأجيال التأسيس الوطني، وشيوخه الأبرار، ولأجيال ستحمله هوية للتشيع العربي، وعنواناً لوحدة عراقية، ومرافعة دفاع لشيعة المشاركة، وقرار إدانة لسلطة القطيعة، التي بدلاً من أن تشهر هذا الكتاب راية للسلم الأهلي في العراق، غرقت وأغرقت من منعها في غمرات الضغينة.

الحق معها... فالانتخابات البرلمانية تحتاج لصناديق ديناميت وانتحاريين يدفعون الناخب للاحتماء بجدران الخرسانة، وحيطان الطوائف، وستعتبر دعوة السلم الأهلي، بدعاً من التاريخ، محاولة لسلب الأوراق من صندوق الاقتراع، والعلاقة حميمة بين صندوق الديناميت وصندوق الاقتراع، ومكان العراقيين.. صناديق الموتى..

• **القائم بالأعمال في دمشق:**

من يكتب عن عمر بن الخطاب مرتشٍ!.

وكمثال للانهيار السلوكي في السلك الدبلوماسي وممثليه في الخارج، فقد زارني الصديق القديم الدكتور عبد اللطيف رشيد وزير الموارد المائية حالياً في منزلي بدمشق للاطمئنان على صحتي، وبصحبته ثلاثة كان أحدهما مساعداً له والثاني دبلوماسي كردي، لكني لا أتذكر الثالث منهم حتى عندما تطفل بالمشاركة في حديث لم يستأذن الوزير به، ونحن نستعرض منعكسات كتابنا «عمر والتشييع» والذي كان الدكتور لطيف معجباً به، ومتعجباً من منتقديه، وإذا بهذا الثالث يقول:

إن الكاتب قد أستلم مليوني دولار من السعودية مقابل أن يضع كتاباً في عمر بن الخطاب.. أجبته:

لا، أن المبلغ أكبر من هذا، لأن عمر بالنسبة لك موضوع في خانة المنبوذين المشتومين الذين لا يمكن لصاحب ضمير حي أن يكتب فيه سطراً، إلا إذا كان قد قبض ثمناً ما لتحسين صورة عمر!.

لم أكن أعلم رغم أنه زارني في مرة سابقة، وكنت على فراش المرض، أن هذا المتحدث هو السيد حسن سوادي القائم بالأعمال العراقي في دمشق، إلا بعد دقائق، فاتصلت بوكيلي المحامية صفية داود لتقديم شكوى قانونية ضد هذا المتطاول، حيث يثبت أمام المحكمة أن عمر بن الخطاب من السوء بحيث لا يستطيع كاتب أن يكون معه إلا بمقابل مادي، كما أن عليه إثبات استلام كاتب عمر والتشيع مليوني دولار، وممن ومتى وكيف وأين، بما لديه من وثائق؟.

وبغير ذلك فعليه أن يدفع الأضرار الناجمة عن هذا التشهير بحضور شخصية كبيرة مثل وزير الموارد المائية وأربعة آخرين، وسأوجه دعوة صحفية وتلفزيونية لعدد من المحامين العراقيين للمرافعة ضد هذا القائم بالأعمال!

واقع الحال أن المذكور لم يكن إسلامياً، وإن كان شيعياً، ولعله أراد بذلك أن يكتب تقريراً لسيده في بغداد، سيعرضه على رئيسه عن شجاعة هذا الدبلوماسي الذي كشف سراً عن كاتب عمر والتشيع حقداً على الكاتب وموضوعه عمر بن الخطاب وسيكافأ بالمواقع العليا من قبل دولة رئيس الوزراء، ومعالي وزير الخارجية عندما يتاح لهذا الأخير زيارة بغداد!

وكان من القساة على الشيعة باعتباره عضو قيادة فرقة حزبية وله صلة طيبة مع الحزب حالياً وهو دائم الاتصال بقياداته ولطالما أبلغهم مشاعره الحسنة كما أخبرني قائد حزبي كبير زارني والكتاب تحت الطبع بمناسبة عيد الفطر في 5 ـ 10 ـ 2008.

لا شك أن كاتب السطور، قد هبط بإيراد حادثة الموما إليه بالكتاب إلى منزلة أدنى، لكن كشف مثل هذه المسالك، سيكون خدمة للرأي العام العربي، ليطلع على المستوى الهابط الذي تدحرجت إليه هذه السلطة، بحيث صار الرجل الأول بسفارتها في دمشق يتجرأ على شخصية عمر بن الخطاب ومن يكتب فيه كتاباً، وأن تأديبه قانونياً وإنزال الجزاء الذي تراه المحكمة بحقه سيكون سابقة قانونية يمكن أن تضع حداً للانهيارات الأخلاقية التي طفحت على هذا التابع فكيف هي حال الأتباع البسطاء؟

من جانبي فقد طلبت إلى المحامية صفية داود تقديم نسخة من هذه الشكوى إلى وزارة الخارجية السورية لكونها قد منحت الموما إليه إذناً بالعمل. ولا بد أن تكون على علم بما حصل.

أن هوشيار زيباري لا يعيش وسط رجال لهم ماض وحاضر، وقوة وشجاعة، وكبرياء... ولعل هذا المتطفل، شاتم عمر بن الخطاب، هو نموذج للعبودية التي يشترطها وزير الخارجية بموظفيه والقائمين بالأعمال.

فإذا لم يتخذ قرار بمعاقبته، فسأحيل القضية إلى إمامة الجامع الأزهر، لإصدار حكم شرعي بممثل السلطة في سورية!.

إلى أن يثبت السوء في عمر بن الخطاب، والارتشاء بالكاتب، عندها سيكون

القانون قد قال كلمته، ما دامت الدولة كما يقول السيد النائب الأول لرئيس الجمهورية... هي دولة القانون! ولتكون كل دولة عربية وإسلامية على بينة من أمر هؤلاء الدبلوماسيين الذين لا بد أنهم سيخدمون فيها يوماً ما.

● الرمثية... مستصغر الشرر!.

اليوم الثلاثاء الثاني من أيلول 2008 والرميثة مدينة القبائل العربية، ومركز العصب لشيعة العراق، ومسقط رأس ثورة العشرين التحررية الاستقلالية، وموطن شعلان أبو الجون، وغثيث الحرجان، وملتقى الأفخاذ والشاخات، وعنوان بني حجيم والظوالم والبوحسان والأزيرج والبوحسن... وآخر مدن الثورة الأولى التي لم تلق السلاح وإنما اضطرت بريطانيا لعقد هدنة، انتدب الثوار أحد زعمائهم للتفاوض، وهو السيد محمد بن السيد محمود بن السيد خلف... وكاتب السطور هو السيد حسن بن السيد نوري بن السيد سلمان بن السيد خلف، وتدعى العائلة في الرمثية بالشرع وهي تسمية شعبية تشير إلى مرجعية السيد محمد.

وكان ابنه السيد صالح الشرع أحد أبرز قادة الانتفاضة عام 1991، ولجأ مع أتباعه إلى مخيم رفحا السعودي، ومات في يوم استشهاد السيد محمد باقر الحكيم.

الرميثة في هذا اليوم، تقود تحركاً شعبياً ضد الفساد، لتعلن في يوم إرسال هذا الكتاب إلى المطبعة، أن القيمين على السلطة هم شيعة السلطة... وأن شيعة العراق، سيطردون الطارئ والغريب والمختلس، وسيحدث شيء بشرت به في المدن السنية قبل مقتل أبي مصعب الزرقاوي بستة شهور، في كتابنا العراق الأميركي، أن سنة العراق سيطردون سنة القاعدة، وستنتهي قصة الزرقاوي! وإن شيعة العراق ستطرد شيعة السلطة ليعود الناس شعباً عراقياً كما كان منذ عصر سرجون الأكدي.

انتفاضة الرميثة هذا اليوم تبدو مطلبية... وهكذا الأحداث الكبرى، تبدأ من مستصغر الشرر بتعبير الجواهري فتستحيل شعلة حرية وحركة الاستقلال.

إن الحديث الأميركي عن دولة أمنة، خدعة لغوية، والصحيح، أنها دولة مؤمنة، فالشركات الأمنية الخاصة، التي تضع استراتيجيا الأمن، والتي طرحت فكرة الجدار العازل لخنق الأحياء، وتقطيع الوشائج المحلية، بعد تقطيع الوشيجة الوطنية، قد تمكنت من تنفيذ مشروع تقطيع المدينة الواحدة والحي الواحد، فعرضت نظرية جديدة ومرعبة... أنك لكي تخنق الإرهاب أخنق المدينة، وتعامل مع سكانها كما لو كان كل واحد منهم إرهابياً.

هذه حالة مؤقتة تدخل في سياق التأمين المرحلي، القائم على إحساس المسؤول عن الخطة، بإفلاس روحي، وافتقار لحس وطني، بحيث لا يستقيم لحي بغدادي مثلاً أن يعود حياً، ولا لمحلة أن تستلهم تراثها في النخوة والشهامة، والمسؤولية المشتركة، فصارت جدران الخرسانة هي العامل الفاصل العازل، وليس الدافع الذاتي للشعب العراقي.

إن تحرك الرميثة هذا اليوم، يعطي إنذاراً بأن الدولة المؤمنة، هي ليست الدولة الآمنة التي تتحقق باعتراف دستوري، وسياسي، واجتماعي، بالانتماء الوطني، وبالهوية العربية لشيعة العراق، والتي منها يقود الشيعة هذا البلد مع أشقائهم العرب في المذاهب والأديان الأخرى، باعتبارهم (أغلبية عربية).

وإذ نتوقع أن يدفع الفزع هذه السلطة لتقديم تنازلات كبرى، والإعلان عن موازنات وهمية ستخصص لإعمار الفرات الأوسط، وإجراءات إدارية لذر الرماد في العيون، فالنتيجة أن الرميثة، قد أعلنت رأيها في هذه السلطة، وستخرج مدن الفرات الأوسط، لتشكل أهم وأخطر قوة عربية تتحالف مع الأكراد، باعتبارها عربية حريصة على مصالح الأمة، وليس تحالفاً سياسياً لتمرير صفقات على حساب العراق العربي. ومن منطلقها العربي قد لا تحتاج إلى تحالف مع سنة العراق فالأمة الواحدة لا تتحالف مع نفسها، وإنما التحالف مع الآخر القومي.

إن هدفاً أكبر من المطالب المعيشية والإدارية يحرك مدينة التحرر العراقي، التي أقصيت مع مدن الفرات الأوسط، من التمثيل الجغرافي المحصور بمدن صغيرة وبعائلات صغرى.

وكان تشكيل لوائح الائتلاف أول تجاوز على كبرياء العشائر العربية، وقد بات حملة الجواز الإيراني يشكلون 60 بالمائة من أعداد المرشحين على هذه القائمة، ما يعني أن القبائل العربية التي يتشكل منها شيعة العراق، قد فقدت هذه النسبة من حصتها.

وستكشف الأحداث أن القبائل العربية هذه لم تعد كما كانت في التاريخ القريب، ذراعاً ضارباً لصالح المعمم السياسي والإكليروس الديني الذي يستخدم تلك القبائل لاكتساب شرعية الأصوات.

● الاجتثاث وموقف أهل البيت.

مع أنهما يتجالسان على أرائك سلطانية واحدة وذات منشأ واحد، وكلاهما محمي بالمستوطنة الخضراء، فالفرق بين أكراد السلطة وشيعة السلطة في إدارة كل منهما لمحيطه القومي والاجتماعي يتسع للفرق بين تجربة روديسيا في عهد ما قبل نلسون مانديلا وبين جنوب إفريقيا بعد عهده.

والأكراد أخذوا بمبدأ مانديلا وأخذ العرب في عهد صدام والعرب ما بعد صدام بالأسلوب الروديسي القائم على (طر الجثث) و(طر الخصوم) و(اجتثاث) عروقهم واقتلاعهم من أرض الجذور إلى ما وراء الحدود وهو المشترك الوحيد بين العهدين.

إن الحركة الكردية ظلت هدفاً للأعمال العسكرية، كان جزءً منها محمولاً على أكتاف قبائل كردية منشقة عن أصولها متواطئة مع السلطة المركزية تشارك في مقاتلة أبناء عمومتهم وهم من تسميهم السلطة بالفرسان التي منها أشتق شيعة السلطة صولة الفرسان لهدف مماثل هو مقاتلة أبناء عمومتهم.

والمشاركون في صولة الفرسان الشيعية هم ذات الجحوش في المصطلح الكردي، لكن قراراً أو نيّةً لم تتحرك على الشفاه الكردية لإصدار قانون اجتثاث الجحوش أو اجتثاثات أحزاب على خلاف مع الحزبين الحاكمين في

كردستان، وذهبت الحركة الكردية إلى أبعد من ذلك عندما وقعت على المطويات السرية للإدارات السابقة في منطقة كردستان وأمسكت بلوائح المتعاملين مع نظام بغداد ودور كل واحد منهم وما كان يبعثه من تقارير بخط يده فتوقفت الإدارة الكردية للحزبين أمام أكداس الملفات تماماً كما تروي كتب التاريخ العربي عن مشهد مماثل عندما انتصر الأمويون على الزبيريين وقتل مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان في دار الخلافة بدمشق أن حاجب مصعب بن الزبير (أي مدير مكتبه) قد وصل مع قافلة محملة فأذن له وفي باحة دار الخلافة بركت الجمال وأفرغ الحمل فارتفع هرم من المجلدات والخليفة يتأمل وحاجب مصعب بن الزبير السابق يتقدم نحوه..

هذه يا أمير المؤمنين سجلات خاصة بالقادة والولاة وأهل الحكم ممن كانوا في دار الخلافة بدمشق ويراسلون مصعباً ويعطونه البيعة ولعل حاشية عبد الملك التي تحلّقت حول هرم المجلدات لم يكن معظمهم بريئاً وقد تكون أسماؤهم ستقرأ وما هي سوى لحظات حتى يصدر القرار المذهل..

أيها الرجال أضرموا النار في هذه السجلات وأنت أيها الحاجب اذهب إلى حيث كنت وانس أنك حاجب بن الزبير وتصرف رجلاً أعطى بيعته للخليفة الشرعي.

لم يقرأ عبد الملك هذه السجلات حتى لا يوغر قلبه بالضغينة فينتقم من أقرب مقربيه في وقت انتهى خصمه الزبيري رأساً محمولاً على الرماح إلى خزانة الرؤوس.

ولم يعد على الأرض حكم أو ولاية زبيرية يمكن أن يتعاون معها هؤلاء المتعاونون السابقون وكان إحراق السجلات قد أعطى الطمأنينة لمن كان مصيره معلقاً على فتح المخطوطات التي طواها قرار الحريق.

الرئيس المصري أنور السادات ربما استلهم موقف عبد الملك بن مروان حين وضع أكداس أشرطة التسجيل والتنصت التي كانت في عهد عبد الناصر وأثناء ولايته فأضرم فيها النار أمام عدسات التلفزيون...

الفرق بين حريق عبد الملك وحريق السادات أن عبد الملك لم يحتفظ بالنسخ الأصلية ولا غيرها من المحروقات.

معاذ الله أن أقع في الغفلة، فأطالب شيعة السلطة بتقصي خطوات عبد الملك بن مروان والتي سيتحول الاستشهاد بها إلى عناوين على موقع براثا بأموية كاتب السطور، مما يريح المشرفين على مثل هذه المواقع العامة في حقول الهتك، والداعية إلى الفتك آملاً أن تتقصى السياسية الكردية لشركاء التحالف الكردستاني وطبيعة تعامله مع بيئته القومية، وسأستبعد أن يستفيد المتحدثون عن مدرسة أهل البيت من هذه المدرسة من شيعة السلطة، لكننا كقراء لهذا الميراث الإنساني، فقد لا نغادر فصل الاجتثاثات دون أن نعرّج على تاريخ مدرسة أهل البيت وموقعها من الآخر، وهل كانت فكرة الاجتثاثات مصادقاً عليها عند هذه المدرسة؟

بالعودة إلى كتاب (عمر والتشيع) سنستنتج منه فصل الاجتثاثات ومضمونه عند عمرو بن الخطاب وفي مدرسة أهل البيت كما ورد في الصفحتين 128ـ 129.

وسياسة عمر كان لها أمثلة في الدعوات العلوية، إذا تعرض العلويون لسياسة الاستئصال والاجتثاث في الأوان الأموي، فاستثمرت ذلك الحركة العباسية للتشهير بالأمويين، وليس حباً أو احتراماً لحياة العلويين.

باشرت الدولة العباسية بسياسة الاستئصال واجتثاث جذري لكل أموي زعماً منها أنها تثأر للعلويين والهاشميين وكان القائد العباسي داود بن علي أكثر أقرانه حماسة لسياسة الاستئصال. وبعض الشعراء يشجعون عليها ويطالبون بالمزيد، فتبنى الزعيم العلوي الثائر عبد الله بن الحسن المعارضة العلنية ضد سياسة اجتثاث واستئصال الأمويين فقال لداود بن علي: «يا ابن أخي إذا قتلت هؤلاء كلهم فمن تباهى بملك الله»».

وكان هذا العلوي يظن أن إثارة هذا الجانب ستكون كافية لمنع سفك دماء الأمويين، لكن داود بن علي العباسي واصل حملة الاجتثاث والاستئصال حتى

النهاية. فيما واصل عبد الله بن الحسن العلوي احتجاجاته ضد الاستئصال الدموي لبني أمية.

لقد اجتمع رأي عمر والعلويين فيما بعد على رفض سياسة الاجتثاث وإن كان المطلوب اجتثاثه تائباً من أهل الردة أم أموياً متهماً بقتل العلويين. فيتصدى ضحاياه بعد حين لمنع وقوع الاستئصال عليه رحمة به وكرما علويا.

تقول سميرة الليثي في كتابها «جهاد الشيعة» إن عبد الله بن الحسن العلوي أبدى سخطه على السياسة التي انتهجها الوالي العباسي داود بن علي في التنكيل بأنصار بني أمية حيث أسرف في سفك دمائهم.

وعند فتح مكة وضع النبي (ص) لائحة بأحد عشر مطلوباً. كان منهم عبد الله بن أبي ربيعة. والحرث بن هاشم، ولم يشملا بالعفو العام فلجأ المطلوبان إلى بيت شقيقة الإمام، علي، وتكنى أم هاني بنت أبي طالب، فعثر عليهما الإمام علي، وكان مدججاً بالحديد، فلم تتعرف عليه أخته التي وقفت بين علي وبينهما وحالت دون قتلهما وذهبت إلى النبي (ص) وشكت إليه.

لقد نجح عمر في منع الاجتثاث، واخفق عبد الله بن الحسن وحفيده لأن الأخيرين لم يمتلكا السلطة. ولم يملك أي منهما بعضا من قوة عمر وإن سارا على سيرته.

والحمد لله أن العلوي كاتب السطور والذي طارده نظام البعث في العراق ربع قرن لاستئصاله وقف بعد سقوط نظام الحزب في 203/4/9 على منصات التلفزيون وأمام الميكروفونات ناصحا أصدقاءه في السلطة الجديدة بعدم المضي في سياسة الاستئصال وكان من أبرز معارضي قانون الاجتثاث، أما شيعة السلطة فهم على مذهب داود بن علي في الاجتثاث والانتقام وهذا هو الفرق بين شيعة السلطة وشيعة الإمام تمثلهم أم هاني بعد فتح مكة والثائر العلوي عبد الله بن الحسن.

التواطؤ مع كتيبة الكواتم في وزارة الخارجية!

- طالب السهيل وقومي تميم والفلاة ورائياً.
- المتهم بالقتل رئيس الدائرة العربية.
- المترافع عن القاتل في السلطة والإعلام العربي!.
  وزير الخارجية الحالي.
- المدعية، ولية الدم: سفيرة.
- القتيل الذي لم يدع به ولي الدم: السيد مهدي الحكيم.

● طالب السهيل: قومي تميم.. والفلاة ورائيا.

تميم قادمة مع الفتح العمري إلى الكوفة، ومنها إلى طف الفرات، وكأن القبيلة تأبى إلا أن تمد ذراعها الضاربة من اليمامة لتصافح ذراع بغداد على غربي دجلة.

وطالب السهيل منها، ومن مشيخة القبيلة السياسية، وفيه منها شمم تميم وعنفوانها. ومثل هذا سيفضل عزة الشمم على عز الحكومة ورضا رجالها. ففي عهد صدام حسين، لم يعط الرجل بيعته، ولم يحن قامته، وعنده إرث، وفي ذاكرته صورة التميمي المتمرد على سادة المركز الأموي وكأنه يصرخ في وجه النظام:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم، والفلاة ورائيا.

فيمم وجهه شطر الفلاة ما بين الشام.. ونجد، معارضاً على طريقة جده المتمرد على بني مروان ولم يمر على مكتب للمعارضة الإسلامية، وقد اختلف بينهما.. الوراء والأمام فمنع نفسه من البيعة لهم.

وصدام حسين رادار أمني قائم بذاته... وحركة الشيخ طالب السهيل تتسع، وذراع تميم ضاربة إلى أعماق الداخل البغدادي، وكان قرار تصفيته مصادقاً عليه، ومتروكاً أمر تنفيذه إلى وزارة الخارجية التي تمكن السفراء والقناصل، أن يحملوا الكاتم الدبلوماسي، المحصن! وكان هؤلاء منتشرين في العواصم، ينتظرون هفوة أمنية للشيخ المطلوب، فجاءتهم سهلة وميسورة عندما عاد الشيخ، إلى منزله في بيروت.. التي يمكن للقاتل والمناضل أن يتحرك فيها بحرية... واغتيل شيخ بني تميم، وعرف القاتل ومجموعته فطردت البعثة العراقية من بيروت، وعلى رأسها القائم بالأعمال عوض فخري الذي رقى إلى سفير، واحتضنه هوشيار فأعلى شأنه، وعينه رئيساً للدائرة العربية بدرجة سفير! ويدي لم تمتد لمصافحته وقد مد عيناه إلي، وكأني أرى دم الشيخ طالب السهيل يترقرق بين أصابعه! من هنا كان الفراق... ومن هنا

تبدأ رحلة لم أتوقف عنها يوماً في ربع قرن، وطالب السهيل، مثل مهدي الحكيم، قتيل الكواتم الدبلوماسية وعمودي يوم 1994/4/27 في جريدة السياسة، قد تحدد... عنوانه... القائم بالاغتيال؟

فهل كنت أنتظر ثلاثاً وعشرين سنة صراعاً ومواجهة مع حملة الكواتم الدبلوماسية، ومرور عشر سنوات على نشر مقالي هذا... للتشرف بحمل لقب سفير بأمرة عوض فخري... لا كنت ولا كانت ولا صرت يا روح! وقد كذبت شيعة السلطة وممثلو الحركة الإسلامية وزراء اليوم وقادة السلطة الجديدة... الذين يقفون خانعين بين يدي رئيس الدائرة العربية، السفير عوض فخري، داعين له بحسن المثاب! وللوكيل الإداري بحسن الإقامة في سفارة سيختارها لنفسه بنفسه، ويعين نفسه فيها بنفسه!

إذا كان من الضروري فتح سجل الأشخاص الذين قدموا هذا الولاء.. فسيكون السجل بين أعين القراء... وسأعترف لكتيبة الكواتم في الخارجية، أنهم أباة وشجعان ولولا أنهم خانوا حزبهم ونكثوا بالقسم، وخذلوا طائفتهم قبيل سقوط نظامهم، لأثنيت عليهم ثناء حميماً، وكل واحد منهم قد تحول من متهم مطلوب... إلى قائد إداري مطلوب، يتقرب إليه نائب الرئيس الأول، ونائب مجلس النواب وأكثر من مائة نائب في البرلمان، وكان أعضاء الكتيبة الخرساء بتعبير الجواهري، أفصح نطقاً في التعبير عن سيادتهم المطلقة على الخارجية في عصرها الجديد! وقد أقصوا ابنة الشيخ السهيل عن الخارجية، وسفارة القاهرة، وخصصوا لحملة الكواتم السابقين، الذين عينوا سفراء أجمل العواصم وأعلاها درجة... وجعلوا زعماء المعارضة وسادة الدولة الجديدة مجرد وسطاء يتشفعون عندهم!

أما شيعة السلطة فحسبهم اعترافاً بالجميل أن بنات لهم وأبناء وإصهاراً قد عينوا في سفارات العراق في الدول التي يحملون جنسيتها.

● **زيباري بدور محامي الدفاع عن القاتل:**

عوض فخري غير متهم باغتيال السهيل.

الكويت ــ من ريم الميع: قال وزير خارجية العراق هوشيار زيباري أن اتهام عائلة طالب السهيل للسفير عوض فخري الذي عين حديثاً مديراً للدائرة العربية في وزارة الخارجية بالتورط في اغتيال الشيخ طالب السهيل التميمي في لبنان «غير صحيح (...) هو غير متهم على الإطلاق».

وأوضح زيباري في اتصال هاتفي أجرته «الرأي العام» أن تلك الاتهامات «قائمة على معلومات غير دقيقة فهو (فخري) غير متهم إطلاقاً ولكن هذه (الاتهامات) تسريبات من بعض الناس غير المسؤولين لدينا ولقد تحققنا منها وثبت عدم صحتها».

وأضاف أن فخري «كان موظفاً دبلوماسياً أثناء اغتيال السهيل وليس كل موظف في السفارة (العراقية في بيروت) على علم بما تقوم به».

وبسؤاله عن طرد لبنان لفخري أجاب: «اللبنانيون طردوا جميع الدبلوماسيين أصلاً، بل أنهم قطعوا العلاقات الدبلوماسية تقريباً» وحول إقامة أسرة التميمي دعوى ضد فخري رد زيباري: «نحن نحترم القوانين المعمول بها ونطبقها، كذلك نلتزم بالاتفاقات المبرمة وننفذها في حال وجود حكم قضائي ولكن حتى اللحظة لا علم لدينا بهذه الدعوى».

وكانت صحف عربية قد تحدثت أن عائلة طالب السهيل تستغرب بقاء المتورط باغتياله مديراً في الخارجية العراقية

الكويت ــ من يوسف علاونة وحسن عبد الله، بغداد ــ من عصام فاهم: ذكرت مصادر سياسية في بغداد لـ«الرأي العام» أن تعيين السفير عوض فخري مديراً للدائرة العربية وهو متهم باغتيال الشيخ طالب السهيل التميمي في لبنان، عندما كان قائماً بأعمال السفارة العراقية في بيروت عام 1994» في منصبه الجديد «أشبه بفضيحة حقيقية، فهو من أركان النظام السابق المعروفين، وخرج

مطروداً من بيروت بعدما اعترف الجناة الذين نفذوا اغتيال التميمي، وهم المستشار في السفارة محمد فارس كاظم (أبو أحمد) والملحق التجاري خالد الجبوري (أبو الوليد) وعلي سلطان درويش القنصل في السفارة (أبو ملاك) وحارس أمن السفارة هادي الخفاجي، بدور لفخري في الجريمة، ما أدى إلى طرده وقطع العلاقات الدبلوماسية لفترة بين العراق ولبنان».

وترى المصادر أن «ما يزيد الأمور تعقيداً، هو الدور الذي بدأ فخري يقوم به حيث زار لبنان قبل فترة (البلد الذي طرد منه) بصحبة وكيل الوزارة سعد الحياني، ورافق وزير الخارجية هوشيار زيباري إلى القاهرة لحضور الاجتماعات التحضيرية لقمة شرم الشيخ الطارئة قبل تأجيلها، على أثر وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز» مشيرة إلى أن جريمة قتل طالب السهيل التميمي «واحدة من الجرائم التي تحقق فيها المحكمة الجنائية الخاصة للتحقيق في انتهاكات النظام العراقي، ومن ضمنها جرائم تصفية الخصوم السياسيين والمقابر الجماعية»

واعتبرت المصادر أن تعيين فخري في هذا المنصب الرفيع سيضر بعلاقات العراق العربية.

وفي اتصال هاتفي مع «الرأي العام» قالت «السفيرة» صفية طالب السهيل التميمي: «منذ عينت سفيرة لم أداوم في الوزارة ولم أتسلم رواتبي، والسبب في ذلك الكمية الكبيرة من الموظفين الذين يثيرون الجدل والخطر في الوقت نفسه».

الجعفري يتواطأ مع قاتلي السهيل إرضاء للوزير!.

صفية السهيل في رسالة للجعفري: كيف يصبح قاتل والدي دبلوماسياً؟

بغداد - عصام فاهم الحياة - 21/08/05//

بعثت السفيرة العراقية في القاهرة صفية السهيل، ابنة المعارض الشيخ طالب السهيل الذي اغتيل في لبنان عام 1994، رسالة إلى رئيس الوزراء

العراقي إبراهيم الجعفري، احتجت فيها على شغل عوض فخري منصباً في الخارجية العراقية، على رغم اتهامه بالتورط في اغتيال والدها عندما كان (عوض) قائماً بأعمال السفارة العراقية في بيروت.

وجاء في الرسالة: «منذ فترة نشعر بقلق وحرج كبيرين إزاء ظاهرة غريبة جداً في وضعنا الجديد بعد سقوط النظام وتحرير العراق، إذ أن أحد المشتبه بهم القتلة المغلفين بغلاف دبلوماسي... ما زال يحتفظ بدور كبير في وزارة الخارجية العراقية والقصد هنا عوض فخري»، الأمر الذي اعتبرته متناقضاً مع ما يفترض أن يمثله «العراق الجديد». وتابعت أن «هذا الشخص كان يشغل مركز القائم بأعمال السفارة العراقية في لبنان عام 1994 وفي عهده تمت جريمة اغتيال والدي الشيخ طالب السهيل وأجرت السلطات اللبنانية محاولات جدية من أجل اعتقاله، إلا أن نظام صدام استطاع إنقاذه وإعادته إلى العراق وظهر بعد الجريمة كأنه بطل في أعين ذلك العهد».

وأبدت استغرابها لوصول «القائم بأعمال الاغتيال اليوم إلى شغل منصب رئيس دائرة الشؤون العربية في وزارة خارجية العراق الجديد»، لافتة إلى أن «الفضيحة السياسية» تكمن في تكليفه من الخارجية العراقية «بالذهاب إلى بيروت قبل أسابيع ممثلاً للعراق الجديد في وفد مكون من الوكيل الإداري سعد الحياني وهو شخصياً للبحث مع وزارة الخارجية اللبنانية في العلاقات بين البلدين». وأشارت إلى أنها أثارت هذا الموضوع مع وزير الخارجية هوشيار زيباري الذي لم يتخذ «إجراء جدياً»، ما جعلها وعائلتها تشعر بالإهانة.

• سأدل هوشيار على عناوين السنة العرب.

كان هوشيار في لعبة الطوائف خاسراً... فقد أوحى لمعارضين ورافعي عقيرتهم ضد أعضاء كتيبة الكواتم، بأنه أنما يدافع عن العرب السنة ليس غير!

أجبته في أكثر من حديث صحفي ساعتها.. أن أبناء العرب السنة، ما يزالون محرومين من حمل جوازهم العراقي... من يمثل السنة العرب،

أحرارهم وليس هذا النفر الذي حمل ملفات الوزارة السرية وسربها إلى المصادر الأميركية، قبل الحرب، مقابل، احتفاظ كل من يقدم معلومات عن دائرته، بإبقائه في موقعه، وإعفائه من المتابعات القانونية،

إن العرب السنة يمثلهم أبناء السيد محمد الألوسي، وأشقاء الشيخ عبد العزيز البدري، وأبناء نعمان السامرائي، وفليح السامرائي المشردين منذ أربعين عاماً في المنافي.

وإذا أردت عرباً سنة.. فسأعطيك عنوان طارق العوسج ليكون أبناؤه ممثلين للسنة العرب!

والسنة العرب هم الناصريون الخلص، والبعثيون اللاجئون إلى سورية منذ السبعينات، هم أبناء عبد الستار عبد اللطيف، وصبحي عبد الحميد، وأبناء الضباط الأحرار.. رجب عبد المجيد وعبد الوهاب الأمين، وطاهر يحيى وعبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف.. الأتقياء... الخالصين لتراب لم يجد بعضهم فيه قبراً لجسده.

● الأداء الكردي لكردي الخارجية؟.

منذ أربع سنوات والسجال في مجلسي قائم، وإصراري قائم، أن الأكراد في وزارة الخارجية، يشغلون حصة اقل من حصصهم السكانية وأن ما يقال عن تكريد الوزارة ومؤسساتها، محض افتراء وأن وزيراً عربياً وبمنطق الحصص كان سيضخ إلى إدارات الخارجية عدداً أوفر من المدراء العامين الأكراد الذين يجد هوشيار زيباري في وجودهم معه، عيوناً لا يرتاح لنظراتها، وأصابع يشك في أنها ستمتد إلى الصناديق المغلقة بالديجيتال.

وقليل من المعنيين سيعترف أن السفراء الأكراد ظلوا يعانون من إهمال، وازدراء الوكيل الإداري إلى أن تمت المصافقة بينه وبين الوزير على عاصمة عربية. وأتذكر أن سفيراً كردياً في دولة استكندنافية قد كتب إلى الوزارة وشكا إلى زواره، من عدم قدرته على توفير كرسي وطاولة مكتبه.

● اليوسفي وعظم الضحية ريشتي!.

عندما بلغني خبر اغتيال شيخ الصحافة الكردية، صالح اليوسفي، وأنا في المنفى، كتبت في جريدة تشرين السورية، وعنها نقلته جريدة التيار الجديد في لندن، رثائية بعنوان.... قتلوا الوجه الأليف صالح اليوسفي.

وأخبرني السيد عبد القادر البريفكاني الذي أعاد نشر المقال مع إضافات أن ابن الفقيد اليوسفي، قد استعان بمقالي هذا عند حصوله على حق اللجوء السياسي في دولة أوروبية.

أضع هذه المفارقة أمام الزعامة الكردية ليقيسوا عليها، موقف شخصية كردية رسمية من اغتيال شيخ عربي، وموقف كاتب عربي من اغتيال شيخ كردي، ولمن سيحكم التاريخ.. وهل كان رد فعلي شخصياً؟

إذا كان كذلك فبماذا تفسير الزعامة الكردية، رد فعلي الساخن على اغتيال صالح اليوسفي والحملة العربية الواسعة للتعريف بهذه الشخصية الوطنية، وتسمية الجهة الفاعلة، وهذا شأني مع أية ضحية وكأني وصاحبي سيان...

فأنا عظم الضحية ريشتي!

واليوسفي ـ صلابة عظم، وثبات قلم ومسحة من التصوف الوطني يوحي به جسده، مع صرامة وكبرياء، وهذه عناصر تهدد منظومة الانصياع التي يعتمدها النظام الدكتاتوري أينما حل.

وعلى غرارها الوجداني والمعرفي، كانت حملتي على النظام وحاملي الكواتم الذين اغتالوا مهدي الحكيم في الخرطوم، وبمثل هذه الروحية كتبت عن ضحايا شيوعيين، كصباح الدرة وصفاء الحافظ. وأمامي وفوقي وحولي روح متمم بن نويرة ناشراً عباءته على أجداث الضحايا فيرى أخاه في كل قبر... ويكتب إنسانية الرثاء!

فهذا كله قبر مالك!...

ثلاثون عاماً والضحايا عنواني... فكأني صرت جامع قامات الشهداء.

ولعلي هذه اللحظة تنبهت إلى أن كتاباً قد يولد واستجمع فيه كتاباتي الخاصة بهم... ومنهم مثلاً.. القومي الناصري مؤسس حزب البعث في العراق فؤاد الركابي والبعثي عبد الخالق السامرائي والشيوعي صباح الدرة، والإسلامي الشيعي محمد باقر الحكيم، والإسلامي السني عبد العزيز البدري، والإسلامي الليبرالي مهدي الحكيم، وشيخ القبيلة طالب السهيل، والزعيم الكردي، شيخ الصحافة صالح اليوسفي، وعن شخصيات سياسية كالملا مصطفى البارزاني، وكامل الجادرجي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والمفكر الإسلامي – القومي، عبد الرحمن البزاز واليهودي العراقي الأديب العربي، سمير نقاش والتراثي السرياني ميخائيل عواد... وما أتذكره عن مدير مدرستي الابتدائية الحاج ناجي العاني، الذي فتح أمامي أبواب النحو واللغة وهؤلاء بعض من تناولتهم كتاباتي خلال نصف قرن.

أقول للزعامة الكردية، ماذا لو كان العكس قائماً، وكاتب السطور مكان هوشيار زيباري، فيبحث عن المتهم باغتيال الشيخ صالح اليوسفي. فيجده قد مات، لكن له ابناً أتعهده بالرعاية، وأضعه ليس مديراً للدائرة العربية بل مجرد ملحق يستقبل الزائرين في وزارة الخارجية... ماذا لو حدث ولو أنزل الله رجولته على وزير عربي حالي، فقرب إليه متهماً في الأنفال وقضى بتعيينه سكرتيراً له؟!

هذه الأسئلة والتساؤلات تصدر دائماً عن مصدر مغلوب، مجرد الكتابة عن هوشيار، اعتراف بأني من أمة مغلوبة!

• صراع مع كتيبة الكواتم.

صدر المرسوم الجمهوري بتعييني مع عدد آخر سفيراً في ديوان وزارة الخارجية، وتحدثت نيابة عن السفراء الجدد، للتعقيب على كلمة الوزير الذي ترك المنصة وأمسك بيدي في طريقنا لاجتماع مغلق، بدأه بالقول إنك أستاذنا وأنا لا أكتفي في أن تكون سفيراً للعراق في سوريا، بل الرجل الموجود في

كل مؤتمر واجتماع لوزارة الخارجية مع طرف آخر. وإنك الآن مكلف بالعودة إلى دمشق للتباحث مع المسؤولين السوريين حول استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وفي ذات اليوم سجلت مباشرة العمل، وأنا أشعر بالقشعريرة لوجودي في ذلك المكان، وكأني المتنبي مقيم في أرض نخلة. إذ الخارجية في كتاباتي وخارطتي وعقيدتي، تساوي مركزاً لإدارة عمليات المطاردة والاغتيال، ومن هذه الغرفة كلف دبلوماسي بذبح اثنين من الطلاب العراقيين الدارسين في الباكستان وإرسال رأسيهما إلى بغداد، ومن هنا خرج حامل الكاتم الدبلوماسي مع قرار اغتيال شيخ بني تميم الصديق طالب السهيل وقبله ومن الغرفة التي أمامي خرج قاتل السيد مهدي الحكيم في الخرطوم، ومن تلك.. الأخرى خرج إلى لندن قاتل عبد الرزاق النايف.

وكانت المفاجأة أكبر مما ترى العين وتسمع الأذن، فرئيس الدائرة العربية أي المسؤول عني وعن عشرين سفيراً في دولة عربية، هو قاتل صديقي السهيل فأنثني واتسمر هنا، ليتقدم عمود صحفي منشور في جريدة السياسة بعد اغتيال الشيخ السهيل بعنوان (القائم بالاغتيال)، ولعل رئيس الدائرة العربية عوض فخري الذي لم أكن أعرف اسمه فكتبته معكوساً في الجريدة، وعرفته الآن كان هو الآخر قد شرد بذهنه إلى القائم بالاغتيال وهذا نص المقال كما جاء في جريدة السياسة ليوم 1994/4/27.

• القائم بالاغتيال.

نفذت السفارة العراقية في بيروت أحدى وعشرين عملية اغتيال ناجحة بالكاتم الدبلوماسي، قبل أن يبادر شاب لبناني وليس معارضاً عراقياً، إلى تفجير السفارة عام 1982 وقتل من كان فيها من موظفين بمن فيهم السفير وملحقوه الأربعة.

ولخشية بغداد من عمل مماثل أقامت لها سفارة في الجانب المسيحي من لبنان بأقل من نصف ربع ملاك، وبلغ عدد العاملين فيها سبعة من القائم بالاغتيال فخري عوض إلى منفذ الاغتيال، وقد اشترك سبعتهم في عملية

واحدة لقتل رجل واحد.

أربعة منهم حملوا الكواتم إلى دار المجني عليه، والقائم بالاغتيال خامسهم، ينتظر النتيجة بفارغ الصبر في مكتبه والسادس يتحرق شوقاً، مثلما يتحرق اللاسلكي المجفور بانتظار أن يكون أول من يقدم بشرى النجاح إلى الرئيس في بغداد. أما السابع فهو المسؤول عن تسليم وتسلم الكواتم وتنظيفها وإعادتها إلى الخزانة.

الأربعة موقوفون والحكومة اللبنانية تصرفت بشجاعة في التعامل ليس مع القتلة عندما ألقت القبض على اثنين منهم، وهما في الطريق إلى المطار، فحسب، بل بشجاعة التعامل مع ثلاث مواد في اتفاقية فينا للحماية الدبلوماسية الموقع عليها عام 1961، والتي استخدمها صدام حسين غطاء دستورياً تتم خلفه وتحته أعمال إبادة الجنس المعارض.

سفارة بغداد في بيروت نموذجية في معايير السياسة العراقية الراهنة فليس فيها «غريب» ولم يدخل إليها سوى هؤلاء الذين تحولوا من بوليس سري ومحققين وعاملين في الهيئات المركزية للتعذيب إلى دبلوماسيين.

سألني وزير خارجية عراقي أسبق عما إذا كان تكليف الدبلوماسيين بعملية الاغتيال وعدم الاستعانة بآخرين عراقيين أو عرب من الخارج دليلاً على إفلاس صدام حسين؟

يبدو أن صاحبي لم يحضر اجتماعاً لصدام حسين منذ أن غادر العراق، ولم يسمعه يقول مثلاً أن السلطة ليست امتيازات فقط وأن الحزب عندما يرفع عامل للهاتف إلى منصب وزير للصناعة، وشرطي مخابرات إلى قنصل في باريس أو طوكيو فعلى هؤلاء أن يدفعوا ثمن نقلتهم، ويشتركوا شخصياً في مهمات كان يمكن أن يقوموا بها قبل أن يقفزوا إلى المواقع العليا.

وتنفيذاً لهذه (النظرية) فإن لكل وزير أو عضو في القيادة القطرية مكتباً في المخابرات العامة، ولم يصبح أحد منهم في الموقع الذي هو فيه ما لم يكن مشتركاً بعملية اغتيال أو بعملية محاكمة صورية لإصدار أحكام الموت.

ألم يتذكر الكويتيون اغتيال حردان التكريتي في مطلع السبعينيات وكيف قاد وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم الشيخلي تلك العملية؟

قد يكون ذلك غريباً!!

لكن الأغرب أن تطارد السفارة أعضاء المعارضة وتغتالهم في بيوتهم، فيما المعروف عالمياً أن المعارضة هي التي تلاحق رجال السلطة وتغتالهم، وفي معايير بغداد لا شيء غريب... ما دامت المنظمة السرية قد استبدلت المهمة الدبلوماسية لمسؤولها في السفارات من قائم بالأعمال إلى قائم بالاغتيال.

(انتهى المقال)

كانت تلك اللحظات في صالة الخارجية تنقلني إلى محجر الاعتقال في سجن الطيارة عام 1980، وأنا أهمس مغامراً بأذن المهندس الشاب الأنيق سامي طوبجي وكان والده معاوناً لمدير المالية العام في العهد الملكي، وهو معتقل معي وكان من مسيحيي العراق القدماء، وبأذن تاجر الموبيليا علي الدليمي.. أني سأقدم تنازلات كبيرة، وسأتآمر على سلطة صدام حتى أصل إلى المنفى وستسمعون صوتي في الإذاعات السرية الموجهة للعراق.

لقد عاد الهاتف من داخلي، وسأخرج من هذه الوزارة، وأقود حملة ضد من يتستر على القتلة، ويضعهم في هذه المراكز العليا، وضد من يسمح لنفسه بالعمل معهم، وكما هي العادة كان القرار قد أسررت به لكثيرين على أن أنفذه بنفسي. أين المعقول والمقبول في البراهين العقلية والشواهد النقلية يا مجلس الثورة الإسلامية أن يجلس مندوبك طالب أصفهاني (حامد البياتي) منفوخاً على وكالة الوزارة فيدخل إليه قاتل طالب السهيل ويخرج دون أن يحرك عضلة في وجهه وهذه طبيعة الأشخاص المغمورين المتعطشين للقب حكومي يمنحهم شيئاً من الوجاهة! وعلى دماء السهيل سلام!!

ومن سيكون السهيل، بل من يكون مهدي الحكيم المقتول بالكاتم الدبلوماسي، والقاتل واحد من هؤلاء المنتشرين حول الوكيل الجديد، الحالم

بالبعثة العراقية للأمم المتحدة مسفوح الماء لكسب رضا الوزير لتعيين شقيقه في سفارة بغداد بلندن! وبجيبه ترشيح المجلس الإسلامي لتمثيل العراق في الأمم المتحدة.

وتتوالى الأحداث في اليوم التالي، فيتقدم نحوي دبلوماسي قديم وسفير جديد، وهو من قبائل الرميثة العربية مع سفير من عائلة معروفة في الأنبار، وهما يعتقدان بإخلاص وحب أنهما يقدمان نصيحة لي شخصياً قائلين: ضع يدك يا أستاذ بيد وكيل الوزارة ورئيس الدائرة العربية وانس علاقتك الخاصة بالوزير، ومن هم فوق الوزير، والأمور بيد الوكيل الإداري الأول الذي يصدر الموافقات للوكلاء الآخرين والسفراء.

وعدت إلى دمشق ولم أزر السفارة إلى يومنا هذا، وكانت آخر مرة دخلت إليها في شتاء عام 1979 مع صدام حسين، أثناء مفاوضات الوحدة مع سوريا، ولم أكتب وأهاتف أحداً في الخارجية حتى هذه الساعة لكن كتاباً وصل حمله لي موظف في السفارة صادراً من الخارجية عن قسم الدائرة العربية الذي يرأسه عوض فخري المتهم بقتل طالب السهيل، موقعاً من قبل حامد البياتي ليكون رأس حربة، فلم يجرأ القائم بالاغتيال على مواجهة كاتب السطور لمنعي من أي نشاط فكري وسياسي وإعلامي. وكان جوابي فوق ما يتصور هوشيار ومساعدوه من العاملين السابقين في كتيبة الاغتيال.

أجبت على الكتاب بمقابلة تلفزيونية وأكثر من حوار صحفي، وأفهمت هوشيار أن محاولة منعي من الأحاديث الصحفية والكتابة ستبدو بائسة. وإذا لم تكن أنت قد دخلت بيتي في دمشق، فأسأل رئيسك الأخ مسعود، وسيرد عليك بأن منزل العلوي هو منتدى سياسي وفكري، وأن الكتاب والصحفيين والسياسيين يقصدونه، ليستمعوا إلى الحوارات عالية القيمة في أي شأن بعيداً عن الكذب الدبلوماسي، وكان مضمون كتاب هوشيار ليس فقط منعي من الحديث الصحفي، وإنما يمتد ذلك المنع إلى نشاطي الفكري والسياسي.

● ردي عليه في العراق الأميركي.

كان مفيداً لوزير الخارجية أن يكون ردي على كتابه مدوناً، وفيه ما يشبه رسالة إليه، وردت في كتابي (العراق الأميركي) الصادر عام 2005، أي بعد شهور قليلة من صدور المرسوم الجمهوري. والكتاب الثلاثي القاضي بإعدام أوراقي، وتكميم فمي، وإغلاق رأسي، لأن ذلك المرسوم البائس قد أعطى لكاتب السطور لقباً وظيفياً.

وكان الرد جواباً على سؤال وجهه الكاتب العراقي عمار البغدادي لكون الوظيفة إياها فيما لو سرى مفعولها، فإنها تتعارض مع ما أنشده من حرية وتطلعات في مراقبة الوضع السياسي العام، فقلت في الصفحات 18-19-20 ما يلي بالنص:

كان الشاعر العراقي عبد الغفار الأخرس (عاش في القرن التاسع عشر) يشكو من حبسة في لسانه فأشار إليه أحد أصدقائه بالسفر إلى الهند حيث يوجد أطباء بريطانيون يمكن لهم إجراء عملية لإزالة هذه الحبسة. فسألهم:

وهل هناك من أخطار على حياتي قالوا له: نعم.

قال: أنا لا أبيع كلي ببعضي.

وأنا الآن أردد كلمة الأخرس وأسألك من هو الأقدم والأصعب والأكثر عرقاً وجهداً... لقب الكاتب الذي رعيته ورعاني خمسين عاماً أم لقب الوظيفة الذي التحق بي قبل أشهر... كيف أستبدل كلي ببعضي؟

ولذا اشترط على الإعلاميين الذين يتحدثون معي أن لا يشيروا إلى موقعي الوظيفي. ويكفيني قناعة أن هذا اللقب المؤقت قد يزول عن صاحبه أسوة بما هو أكبر منه من ألقاب فيقال الملك السابق والرئيس السابق والسفير السابق.

فهل سمعت أحداً يقول الكاتب السابق أو الشاعر السابق وقد مضى ألف عام على الجاحظ والمتنبي وأبو العلاء وألف وخمسمائة عام على امرؤ القيس ولم يصبح لحد الآن سابقاً فما زال الشاعر امرؤ القيس زميل الطلاب

على مقاعد المدرسة.

واسمح لي بالعودة إلى سؤالك مرة أخرى فالدبلوماسيون في العالم الديمقراطي يختلفون في وظائفهم وصلاحياتهم عن الدبلوماسيين في الدول الشمولية والدكتاتورية التي كما تحرم على مواطنيها التفكير والحديث فإنها تحرم على موظفيها حق التفكير والكتابة، وتحصر ذلك بما يسمى المركز، والمركز يستقي صلاحياته من مركز المخابرات، فلا سفير يحاضر، ولا سفير يناقش بندوة تلفزيونية، إلا بما يلقنه به المركز، لكننا في العراق الأميركي شيء آخر، فنحن ننتمي إلى المدرسة الليبرالية الحرة، حيث تفتخر الخارجية بسفرائها المبدعين، فترسل فرنسا أفضل شعرائها ليكونوا سفراء لا ليلجموا عن الشعرو الكلام. وحتى في دول عربية محافظة كالسعودية، فإن الشاعر الأديب الكبير غازي القصيبي قد ملأ صالات لندن الثقافية والأدبية بحضوره الذي طغى على لقب السفير، وبدأ الناس يتعرفون على السفارة بالشاعر الكبير وليس بكاتب التقارير، وحتى هذه اللحظة فهناك دبلوماسي سعودي يدعى جمال خاشقجي يسأل ويجيب في أجهزة الإعلام العالمي بشكل شبه يومي وبما يراه مقنعاً.

إن تغيير النظام، لا يعني تغيير عقل النظام الذي يستمر لسنوات، لاسيما عندما يحتفظ النظام الجديد بعقلية النظام السابق، وهو ما يحدث حالياً في العراق. ينبغي التحلي بالشجاعة والجرأة والإعلان إن نظاماً جديداً يبنى في العراق ولن يكون من بناته هؤلاء القادمون من أقبية التعذيب المدججين بالعقل الأحادي الذي يرى في العراقيين خارج أحاديتهم كأنهم خصوم، فصارت السفارة العراقية في أي عاصمة مخفر شرطة، أو مكاناً يتجنب العراقيون المرور في الشارع الذي تقع فيه، وما زال الخوف يطغى على مراجعي السفارات لأنهم يشاهدون ذات الوجوه.

نحن بناة النظام الجديد الذين أمضينا ربع قرن كاملاً في عملية تغيير ذاتي لتجديد أفكارنا ومشاعرنا حتى تستوعب العراقيين جميعاً وسيحتاج النظام الجديد إلى أشخاص لا يقل وجودهم في المعارضة عن عشر سنوات، مؤهلين للإدارة الجديدة في وزاراتها أو سفاراتها...

• يقايضون دم السهيل بتعيين أبنائهم في السفارات .

لم أقايض ولم أهادن صدام حسين ثلاثاً وعشرين سنة، فهل سأهادن قاتلاً أجيراً، وأقايضه مثلما يفعل جميع من كلفهم حزب الدعوة والمجلس الإسلامي الأعلى ممثلين عنهما في الدولة لاسيما وزارة الخارجية؟

أما موقف ممثل المجلس في الدولة الدكتور عادل عبد المهدي النائب الأول لرئيس الجمهورية، وقد أبلغته بالتفاصيل فقد توارى عن الجواب، مكتفياً من وزارة الخارجية بقرار الوزير تعيين ابنته وزوجها وخال زوجها في السفارة العراقية بباريس فمن منا الباحث عن القضايا الشخصية؟

المقاتل ربع قرن أم الساكت ربع قرن والمتواطئ لربع قرن قادم؟

ويفسر صمت المجلسي وزير المالية أن استجاب لتوسطه بتعيين شقيقه في القاهرة.

وتواطأ عادل عبد المهدي كما أسلفنا وقبض طالب أصفهاني الثمن، وقدم رئيس دائرة المراسيم في مجلس الوزراء معروضاً لتعيين ابنه في جاكارتا فتم له ذلك.

وقدم وزير التربية خضير الخزاعي تشكره للوزير بتعيين ابنته في كندا حيث تقيم العائلة، وأعطي لوالد زوجها أفضلية في عقود الورق. واستجاب هوشيار لاستعطاف خالد العطية نائب رئيس مجلس النواب لتعيين سبعة من أقربائه دبلوماسيين في سفارات العراق المختلفة.

وفي شهادة لله أنا مسؤول عنها: أن أربعين مسؤولاً في حزب الدعوة والمجلس الأعلى قد توسطوا لدى هوشيار زيباري بتعيين ابن أو أخ أو زوج ابنة أو ابن أخت في سفارات العراق فاستجاب لهم واعترفوا له بالجميل مقابل وقوفهم معه ضد عائلة طالب السهيل.

ولهذا فقد خان شيعة السلطة بدلالة هذا الفعل الشائن دماء شهدائهم، كما خانوا مصالح شيعة العراق مقابل تمشية أمورهم الشخصية، وهم يعلنون

للناس أن مشكلة كاتب السطور معهم كانت شخصية..

وهذه أوراق وشاشات التلفزيون وكتبي وعشرات المحاورين يوماً بعد يوم ووثيقة تلو أخرى تدين المتواطئ وتعلن أن من قاتل صدام حسين (23) عاماً هو الذي يقاتل البغاة الجدد منذ اليوم الأول لمروري على مؤسسة حكومية، بعد ربع قرن من غربة النفي القسري.

غير أن التواطؤ الأوطأ، إنما تم بتجميد أية محاولة للتحقيق في وثائق الخارجية، والعثور على حامل الكاتم الدبلوماسي الذي اغتيل به السيد مهدي الحكيم في الخرطوم.

وقد بدا هذا الرجل وكأن ليس له ولي دم!

• شيعة السلطة تتواطأ مع قاتلي مهدي الحكيم!.

كان مهدي الحكيم سياسياً يعتمر العمامة، أو عالم دين يشتغل بأمور السياسة منذ صبوته ويفاعته، وهو أميل إلى دعاة النظام المفتوح، غير المقيد بأيديولوجيا صارمة، إسلامية أم علمانية.

ولهذا فقد كانت بيئته السياسية يمينية وكان ينسق ويتشاور مع حكومة الرئيس عبد السلام عارف وإذا صح أنه من مؤسسي حزب الدعوة، فلأنه يسعى إلى رؤية العراق نظاماً بلا يساريين، وذات توجهات شبه ليبرالية، ولعل هذا هو كل ما كان يفكر به، وهو يفسر سهولة هجران الحزب الناشئ في سنوات مبكرة.

يعتقد السيد مهدي الحكيم، وهو مصيب، أن لا حركة سياسية يمكن أن تنهض في بلد شمولي، دون دعم خارجي من جهات لا يروق لها ذلك النظام، ولم يكن الرجل قد طرح مشروعاً إسلامياً، ولعله سبق ظهوره، الحركة الإسلامية المدعومة بالثورة الإيرانية وموحياتها بما يقرب من عشر سنوات، وطورد في المنافى حتى تم اغتياله من قبل كتيبة الكواتم في الخارجية العراقية التي انتدبت اثنين من دبلوماسييها الكبار في سفارة العراق بالخرطوم

أواخر الثمانينات، وكان يقيم في لندن، وقد دعي إلى المشاركة بمؤتمر إسلامي في السودان.

أغرب ما في شيعة السلطة أنهم تبرأوا من السيد مهدي الحكيم، ومن بينهم، ومعهم، أشقاؤه في قيادة المجلس الإسلامي، ومؤسساته، فلم يحتفل برحيله.. ولم يدع أحد منهم به، وهم يعرفون بعد سقوط نظام صدام حسين، من هما الدبلوماسيان، اللذان أصبحا فيما بعد سفراء لدى وزارة زيباري.

هذا التواطؤ مع قاتلي السيد مهدي، قد يخفف من أهمية اعتراضنا على تواطئهم مع قاتلي الشيخ طالب السهيل ما دام ذلك يوفر للمتواطئ، مناخاً طيباً دخله الإسلاميون، مع التحالف الكردستاني الذي ينتمي إليه وزير الخارجية، ولأن المصالح الخاصة لمن انتدبوا لتمثيل الشيعة في السلطة، قد قضت هي الأخرى، بترجيح التواطؤ مع كتيبة القتلة التي تدير وزارة الخارجية... والوزير الحالي غطاؤها الدستوري والإداري قبل أن يصبح المترافع قضائياً بلا جلسات محاكم عن المتهمين بالاغتيال.

• اقترحت رئيساً كردياً للعراق.

لطمأنة فئة من عابري الكتاب، فإن فكرة أن يكون رئيس الجمهورية القادم بعد صدام، كردياً قد صدرت مني شخصياً في مراسلات ومحادثات مع الأكراد وجوار العراق العربي، قبل أن أودعها في كتابي بقية الصوت الصادر عام 2000 جواباً لسؤال عن مرشحي المفضل لرئاسة الجمهورية قبل ثماني سنوات من الآن، وثلاث سنوات قبل سقوط صدام حسين، والمرشحون الذين يرمزون إلى حالة عراقية وليست لذواتهم فحسب كانوا عشرة، خمسة منهم ليسوا على قيد الحياة، وإنما أردت تكريس قيم ديمقراطية، فحيث لا يوجد أمامي صابئي عراقي، فسيكون الدكتور عبد الجبار عبد الله مثلاً، وكذلك السرياني كوركيس عواد، والكردي مصطفى البارزاني والإسلامي مهدي الحكيم، ومن الأحياء، كان الفقيه الدستوري حسن الجلبي، والزعيم الكردي جلال الطالباني واللواء عبد الوهاب الأمين وشرعت بحركة لتسمية كردي رئيساً للجمهورية، في حوارات ثنائية على

مشارف غرف القرار العربي، فسألني زعيم عربي، ولماذا لا يكون ابن البارزاني هو الرئيس بعد أن اعترض أول الأمر على الفكرة أساساً فأوضحت له، كما أوضحت لمن حادثتهم، أن الخارطة السياسية القادمة ستتغير كلياً، وأن الشيعة الذين يشكلون الكتلة الرئيسية، لا يستسيغون رؤية رئيس جمهورية سني بعد ثمانينَ عاماً، حكم فيها سنة السلطة، باسم سنة العراق ظلماً.

وسيأتي الرئيس الكردي وهو سني، فكأن رأس العراق سيبقى كما كان الوضع سابقاً.

وسيؤدي اختيار الكردي لرئاسة الجمهورية إلى تعزيز مركزية الدولة وقد تقطع الحجة على من يدعو لتشكيل دولة كردية، ما دام الأكراد على رأس الدولة المركزية... وهو حل يرضي الشيعة، المتحالفين مع الأكراد، وبعد عودتي من جولة عربية، غادرت دمشق إلى أربيل والالتقاء بالأخ مسعود البارزاني ومعي ملف القضية التي أسعى إليها، وأبلغته أن أكثر من مركز عربي ممن اقتنع بالفكرة، ربما يفضل رؤيتك رئيساً، فوجدت منه إصغاء ممزوجاً بتواضع القبول بالمقترح.

أي أنني عرضت المقترح مبدئياً على دول عربية وكتل سياسية قبل أن أعرضه على صاحب الشأن، وإن كنت في وقت سابق، قد أبلغت الصديق جلال الطالباني بضرورة استثمار الفراغ في الزعامة العراقية ونزوله من السليمانية إلى بغداد.

وفي خاطري أن انتخابات رئيس جمهورية العراق، إذا تمت بعد سقوط النظام، فإنها ستكون مجالاً لتنافس عربي وإقليمي، وستنفق لهذا الغرض ملايين عربية وغربية قدرتها بما يربو على المائتين! وهذا رقم أنفق لاحقاً في حملة الانتخابات البرلمانية، وكانت حصة عشر فضائيات منها يربو على العشرة بالمائة من مجمل النفقات! ولم يستوعب الأخ مسعود بارزاني هذه الرؤية، التي صدقت في انتخابات البرلمان ولم تصدق مع الرئيس الذي انتخب مجاناً، وهو أول رئيس جمهورية منتخب، لم يعط من ماله شيئاً لحملة انتخابية.

أما لماذا كان جلال رئيساً وليس مسعود؟ فالجواب عند مسعود الذي فضل زعامة الأكراد المباشرة على رئاسة بروتوكولية.

وفي غمرة مستشاريه لا أظن الرئيس جلال الطالباني سينكر أن فكرة رئاسته ـ باعتباره كردياً ـ صدرت عن كاتب سياسي يعرف عنوانه الدائم، وأن فكرة في مخيلة هذا الكاتب تحولت إلى واقع دستوري شاخص، قد تكون سبباً مقنعاً لمخالفة الرئيس الخطوط الحمراء التي وضعها مستشارون يضمرون الضغينة لثلاثة أرباع الكتل والتيارات السياسية.

إن رئيس جمهورية العراق في أسرع دستور عربي ينجز لدولة صاخبة، وشعب شائك لقبٌ كبير لدور صغير،،، وكنت أظن أن مام جلال سيرفض هذه المعادلة.

● في مذكرة إلى الرئيس جلال طالباني:

الخارجية يجب أن تعود للعرب.

في 2006/2/20 بعثت من قبرص مذكرة مفصلة إلى الرئيس جلال طالباني، عرضت عليه نتائج جهودي في الدعوة إلى تعريب وزارة الخارجية، إذ لا مصلحة للأكراد في حيازة الوزارة، وليس لهم عالم كردي آخر أو دول كردية يمكن الاستفادة من وزارة الخارجية في الوصول إلى مصالح مشتركة، كما أن شخصية وزير الخارجية ودوره خلال السنوات الأربع الماضية لا تشجع على الاعتزاز به، فإذا كانت المقادير قد رسمت حدود الوزارات العراقية، وأن تكون الخارجية داخل الحد الكردي فلدى الشعب الكردي كفايات وتكنوقراط وساسة ومثقفون يمكن أن يخفف وجودهم في الخارجية من أزمة التعاطي العربي مع الوزير الحالي.

وهذه نصوص من المذكرة:

السيد الرئيس:

ولأن شخصيتي لم تكن في يوم ما شخصية موظف ممتثل في الدولة

العراقية بحيث أخضع لقوانينها المتخلفة على حساب نشاطي الفكري حتى وأنا مدرس في مطلع تخرجي من الجامعة، فهل سأخضع لحالة لا أرى فيها نفعاً ولا مصلحة لأن مرسوماً جمهورياً اعتز بموقعه صدر بتكليفي سفيراً في مهمة تحولت منذ أكثر من ثلاثين عاماً إلى شبيهة بوظيفة مخلص جمركي لرجال المركز ونسائهم، أم تراني سأخف بقدمي إلى المطار في اليوم مرتين لاستقبال يافع لم يتشرف بعد بأن يكون قارئاً لصحيفة يومية فيستوزر على حين غفلة من أهلنا؟

وكان مما يقيدني أن وزير الخارجية محسوب على الأكراد، وقد بدأت بالدفاع عن القضية الكردية منذ ربيع عام 1961 عندما كنت معتقلاً مع كوكبة من المناضلين الأكراد كان من بينهم المرحوم عمر دبابة والمرحوم مصطفى ناريمان وآخرون.

لكن من قال أن ملاحظة تقال أو تكتب في السيد هوشيار زيباري، هي تعريض بالأكراد وزعاماتهم وحقوقهم القومية، فيما نحن نعلم أن السيد هوشيار زيباري لو رشح في كردستان فسوف لا يجد من الأصوات ما يساعده على انتخابه عضواً في المجلس البلدي لمدينة قتل أطفالها بهواء السيانيد وهو الذي لم يعرف عري أهله وجوع قومه ولم يحمل يوماً جثة طفل مسموم؟

لقد تحدثت أكثر من مرة مع الرئيس البارزاني حول خطورة أن يكون هوشيار زيباري ممثلاً للأكراد في السلطة الجديدة، وأن تكون الخارجية من حصة الأكراد، وهي التعامل مع المحيط العربي مما يثير الحساسيات القومية التي إذا ما تجاوزناها في العراق، فإن أعضاء الجامعة العربية ما زالوا يخضعون لقوة نفوذها عليهم، ولقد أخبرت الأستاذ مسعود كما أخبرتك في اجتماعنا بدوكان، أن الوزراء العرب لا يطيقون رؤية هوشيار، لأسباب وليس فقط لأنه من غير قوميتهم، وهم يتحاشون الحديث معه، ولهذا لم تفتح سفارة جديدة في دولة عربية لم يكن لها تمثيل مع النظام السابق، فحتى هذه اللحظة، وبعد مرور أربع سنوات على تغيير النظام لم تستقبل القاهرة

ودمشق والرياض والكويت سفيراً عراقياً ولم يسجل أي نشاط دبلوماسي عراقي في أي عاصمة عربية، حتى على مستوى الدعوات والاحتفالات، والدبلوماسية العراقية مهمشة ولا يكترث بها، وقد تحول بعض الدبلوماسيين العراقيين للعمل لمصلحة الدول التي يعملون بها أملاً في الحصول على لجوء سياسي فيها إذا ما نقل أحدهم إلى بغداد، أو انتهت مدة عمله ولم يعد دبلوماسي عراقي إلى بغداد ممن شملهم قرار النقل أو انتهاء مدة الخدمة، وهذه ظاهرة لم تمر بها دولة في تاريخ الدبلوماسية إلا مرة واحدة عند انهيار الدولة الأفغانية في أثناء الاحتلال السوفيتي. وسمعة العراق التاريخية تهدر بلا شفقة إلى منازل دنيا في ترتيب الدول.

والأفضل والأصح أن تعاد الخارجية العراقية إلى العرب انسجاماً مع أعراف عربية نشأت مع ظهور الدولة العربية الحديثة بجعل الخارجية حصة لشخصيات معروفة بتوجهاتها القومية العربية، وهكذا اختار العراق في العهد الملكي والجمهوري وزراء الخارجية، مثلما اختارت الجزائر بوتفليقة والمملكة العربية السعودية عند تأسيسها الأمير فيصل بن عبد العزيز المعروف بتوجهاته العربية وأناطت الكويت عند استقلالها مسؤولية بناء الخارجية لزعيم الحركة القومية العربية فيها الأستاذ جاسم القطامي أطال الله عمره.

أما الخارجية المصرية فحسبها أنها خرجت على سياسة الرئيس عندما فكر بالذهاب إلى إسرائيل، فاستقال وزير الخارجية والعرب تتحدث عن حقائق أو أساطير تتصل بزيارات عراقية سرية لإسرائيل في سياق المردود الطبيعي للحساسيات القومية لوجود هوشيار زيباري رئيساً للدبلوماسية العراقية، وكأنكم كأكراد شاركتم في تأجيج المشاعر ضد قضيتك، العدالة وكان أمامكم متسع، وقد أصبح الكردي رئيساً للجمهورية كما دعا كاتب هذه الرسالة في كتابه (بقية الصوت) الصادر عام 2000، وكما وضع ملفاً للرئيس مسعود البارزاني بأهمية أن يكون الرئيس الجديد للعراق كردياً، أما أن تجتمع الرئاسة والخارجية برأسين كرديين بمؤتمر عربي فالخاسر هم الأكراد.

أن الأمر يتطلب شجاعة لا تتم إلا بطرفيها: شجاعة المقترح عليكم بتعريف الخارجية وشجاعة الكردي الذي يستجيب إلى هذا المقترح، والمسألة لا تتصل بالتفاضل القومي وإنما باحترام التقاليد السياسية وعدم إثارة الحساسيات القومية المضادة، إذ لا مصلحة للشعب الكردي على الإطلاق في أن يكون وزير الخارجية كردياً، ما دامت لا توجد دول كردية تستفيد من هوية الوزير ولأن المجال الحيوي لعمل الخارجية هو عربي بالدرجة الأولى ثم إقليمي ثم دولي.

أما حقوق الأكراد في السلك الدبلوماسي فهي محفوظة دستورياً وعرفياً.

وفي ظروف الحط من كرامة الضحايا وتزييف لإرادة الشرفاء المتصدين للظلم وتعارض عقيدتي السياسية مع سلوك السلطة واتجاهاتها وشذوذ الخارجية العراقية عن مبادئ العمل العربي، أقدم استقالتي التي هي تحصيل حاصل ولم يسبق لي الدوام في هذه المؤسسة محتفظاً بصوتي المستقل، وانحيازي لصفوف الأحرار الذين لم انقطع عنهم يوماً في مواجهة التزييف والفساد والانحراف في أي مستوى للعمل الدبلوماسي يمكن أن تتقبل به دولة في الدرجات الدنيا. وكم أتمنى عليك إيها الرئيس أن تسبقني بتقديم استقالتك فليس موقفك معهم أفضل من موقفي وما كانت أفكاري في يوم ما أفضل من أفكارك، ولا كان إحساسك بالعدالة إلا عالياً واضعاً نفسي وتجربتي تحت تصرف أي حكومة وطنية قادمة أو فئة سياسية تضع وحدة العراق ومصالحه الوطنية والقومية فوق كل الاعتبارات.

2006/2/20

• وزير الشؤون الخارجية في غرفة الفندق؟.

جاهدت قائمة التوافق لإيجاد توازن قومي باستحداث وزارة للشؤون الخارجية أسوة بما هو معمول به في دول كثيرة، وإناطة مسؤولياتها لشخصية عربية، لكن هوشيار زيباري رفض أن يشارك في المبنى مسؤول غيره منذ البدء بتنفيذه الفكرة. وكنت قد عرضت على رجال التوافق أن تكون لوزير الشؤون الخارجية صلاحيات ومكاتب مستقلة ولائقة به إكراما لانتمائه

القومي. وعندما انسحبت التوافق ثم عادت إلى الحكومة بوزراء جدد، عيّن الدكتور محمد مناشد وهو أستاذ جامعي وزيراً للشؤون الخارجية، لكن هوشيار زيباري وبلغة فيها الكثير من التسامي والتعاظم رفض تخصيص غرفة في مبنى الخارجية، للوزير الذي آثر الدوام بلا مكتب ولا عمل في غرفته بفندق الرشيد حالياً..

فأين الخطأ..؟

أنا مع هوشيار زيباري واعتزازه بالسيادة الشخصية الكاملة، ما دامت الخارجية ملك يمينه وكان على الكتلة التي رشحت الوزير «العربي» أن تدعمه بما يحفظ كبرياء الأمة التي ينتمي إليها في معادلة التوازن القومي، فإن لم تفعل التوافق ذلك، فليس على وزير الشؤون الخارجية سوى الاستعانة بكبريائه القومي والشخصي وإعلان استقالته وتبيان أسبابها. وإلا فهو المسؤول عن الضرر الذي يصيب العرب ويصيبه بالذات.

ذلك أن قبول وزير للشؤون الخارجية العراقية الدوام بغرفة الفندق، إنما هو إذلال إذا لم تشعر به جهة الترشيح؟ حتى الآن. فالإحساس بالتراجع والهزيمة في هذه القضية يمليان عليه ألّا يكون سبباً في زيادة كفة الخسران العربي مقابل الحصول على غرفة في فندق الرشيد!.

• المشهداني وبري.

ولكي يزول الالتباس الذي يوحي كأن خالد العطية هو رئيس مجلس النواب وليس نائبه نذكّر بأنّ الرئيس الرسمي لمجلس النوّاب، هو الدكتور محمود المشهداني، إذ تقضي الأعراف السياسية الجديدة بعد الاحتلال بأن يسمّى لرئاسة البرلمان شخص من السنة العرب.

والدكتور المشهداني طبيب محسوب على التيار السلفي. وكان الرجل مستهدفاً ومطارداً في عهد صدام حسين فاعتقل أكثر من مرة، والرجل تغلب عليه البساطة والعفوية والأسلوب البغدادي في إدارة العمل، وهو كثير الشبه بأسلوب مختار باب الشيخ فسجّلت على إدارته أكثر من ملاحظة من قبل

الشيعة والسنة.

زار الدكتور المشهداني دمشق وهو يلقى فيها قبولاً طيباً، ولعله أراد أن يشغل حيزاً في الفراغ العربي للسلطة العراقية الموقوفة على ذاتها فزرته في مقر إقامته ولم أزر قبله مسؤولاً عراقياً إلا إذا أبلغني بأنه يريد الاجتماع بي قبل وصوله إلى دمشق في لقائنا، لمست في الرجل مكنوناً من الخير والنوايا الطيبة والعروبة والصدق مع النفس حتى أنه قال.. هذه شغلة طارئة علي وأنا لا أجيدها ونحن ساسة ناشئون وإداريون ناشئون.

قلت.. يكفيك صدقاً ونبلاً أنك قد توصلت إلى ما يرفض الاعتراف به سواك.

قال.. لكني أريد منك مشورةً حول ما ينبغي أن أفعله...

قلت له.. لست الذي سيعطيك جدولاً بالخطوات، ولن تجد في كتاب مثل ذلك، وإذا وجدت فقد يكون فكرة رائعة لكنها ليست واقعية.

إذا أردت دليل عمل وخارطة طريق، فاحجز نفسك خلال فترة ما لمتابعة شاشة (الـ أن بي أن) لترى كيف يعمل نبيه بري؟

كيف يمثل نوعه المذهبي ووطنه الصغير وعروبته الكبيرة؟!

وكيف يعقد الجلسة المخصصة لمساءلة رئيس الوزراء العائد من روما وعن حديثه هناك وهل هو ينسجم مع البيان الوزاري الذي وافق عليه البرلمان الذي رئيسه بري؟.

فرفع مطرقته أثناء الحديث وخرج خلفه رئيس الوزراء.

وأنت يا محمود المشهداني.. حتى تكون ممثلاً لنوعك المذهبي، وللسنة الذين كنت حصتهم في الرئاسة الثلاثية، أن تدعو المالكي وتسأله بعد كل سفرة عن كل سفرة، وما إذا كانت منسجمة مع ما اتفق عليه التوافق أم كان سراً آخر؟!

• عندما يُخرب لبنان وعندما يخرب العراق!.

لبنان ظاهرة عربية حديثة، والعراق ظاهرة عربية قديمة، ويستطيع العراق تجميع الأهواء العربية المتفرقة في محور بغداد العباسية وأدبها وفلسفتها وأئمتها وزنادقتها وبابلها وموصلها وكربلائها، ويستطيع لبنان أن يجذب لشاشاته المشعة، وجغرافيته الممتعة، وحريته الشاسعة، والذي يبدو أن بعض زعماء العراق قد تنبه إلى أهمية أن يكون للعراق حاضر يجاري جانباً من ماضيه، ففكر حكامه بدور مُنتحل لهارون الرشيد، ولم يفكروا بدور الجاحظ والفراهيدي، لكن هذا الجانب كان موضع اهتمام المثقفين العراقيين الذين عزلتهم السلطة، أو نأوا بأنفسهم عنها، فأقاموا في فترات من تاريخنا المعاصر، طرازاً بغدادياً يستحضر أمجاد بغداد، فكان محمد رضا الشبيبي ومحمود شكري الألوسي ومعروف الرصافي والأب انستاس الكرملي ثم الجواهري والبياتي والسياب ومحمد مكية وجواد سليم، ولم تنقطع سلسلة المبدعين وإن انقطعت سبلهم إلى مساقط رؤوسهم فحملوا الكوفة وبغداد والبصرة معهم إلى منافي الغربة.

تتفوق الظاهرة اللبنانية على الظاهرة العراقية بحريتها، لكنها تتفوق أيضاً بصناعة الإعلام والصحافة حتى صارت بيروت أخطر مصنع عربي للإعلام المضاد الذي يخشاه أثرياء النفط أو لا .. فصاروا ينزلقون إليه ويغرون من يتقبل الإغراء ويتفاهمون مع من يرضى منهم بهذا القدر، واللبنانيون مدينون لإعلامهم في المركز الذي تحتله بلادهم، والقوة التي يتمتعون بها إلى ما يفرضه جاذب الجغرافيا ومجال الطبيعة، وإن كان دور الجغرافيا الجميلة سيكون الأوسع.

الإعلام اللبناني المتفوق والجريء والحيوي هو رأسمال اللبنانيين الأوّل. والإعلام العراقي الخاسر الخائب المتراجع المتواجع الكسول، هو نقطة الخيبة والتراجع، ولهذا تسارع العرب لنجدة لبنان، ولم تسارع لنجدة العراق، وستبنى المدن المهدمة في لبنان، وتبقى الفلوجة ببيوتها الطينية أثاراً من ماضي الغارات الأمريكية.

ومن الإنصاف، أن الإعلاميين العراقيين لا يتحملون مسؤولية الخور والخيبة والتراجع، وإنما تتحملها الدولة التي استحوذت على الإعلام، وكبستهم في مكابس الرقابة والعوز والاضطهاد.

لا أُخفي إحساساً بالغبن، يسيطر عليَّ كلما دخلت إحدى مدن الخليج، وعاينت شوارعها وبيوتها، وكان ممكناً أن تكون مدن العراق أجمل، لأنها اعرق وأغنى وأثرى، والشعور بالغبن يلاحقني حتى في مقارنة بؤس الخراب اللبناني تحت صواريخ إسرائيل، مع بؤس الخراب العراقي تحت صواريخ ذات الطائرات من طراز اف 16 واف 18 وذات الدبابات التي ضربت مدينتي الجملية، ومهد أول تجربة حياة مع نُواح النواعير في حديثه شبه المهجورة، وفراتها المفجوع بأبنائها وخرائبها ومن حديثه انتقلت في ثاني تجربة إلى الرمادي (عاصمة الأنبار)، ولي فيها مراح وتلامذة وأثر طيب.

من سيتبرع لخرائب العراق التي لم تنهض مرة، وإن نهضت هامات الأدباء والمفكرين وانتشرت ضحاياهم المؤنسات شواطئ الأنهار.

اكتب عن الضحية الجنوبية في بيروت، وبلدة على النهري التي هي مقطع كامل الشروط والسمات من مدينتي الكرادة في بغداد والتي تسمى اليوم بالمنطقة الخضراء، وقلبي عند منارة الغزل. وعند آخر فقهاء بغداد وحملة تراثها البغدادي الشيخ جلال الحنفي الذي زارني نجله عقيل بدمشق، وأبلغني بعض وصيته له ووضعني شاهداً فيها.

قلبي مع ضيعة يونين الفقيرة في البقاع وعلى ما سميت بمدينة الصدر في بغداد وهي أعشاش الصفيح، والفقر الأزلي على ضواحي بغداد. ستبنى لبنان بحيوتها وبإعلامها وبأمراء التمويل، ويبقى الخراب في مدن بني العباس، وستذكر مدينة الصدر في أخبار الانتحاريين الذين يستكثرون على الفقراء أعشاش الأسواق الفقيرة.

مدن العراق المنكوبة ليس فيها هلال أحمر ولا صليب أحمر ولا علم أزرق للأمم المتحدة فاحمدوا الله يا أهل الضحية الجنوبية على بؤس غير بؤس أشقائكم في مدن الصفيح الدائمة.

قد تنهض بلدات الجنوب العادية بمهارة الساسة أو بشواهد الفنادق وألوان الشاشات، وستحمل دول ومؤسسات عن رضا أم نفاق، حقائب المال وتصاميم الخرائط، وتتكاسر براميل النفط الشيعي الإيراني مع براميل النفط السني السعودي، ويتنافس الماليون والفنانون والأحرار واللصوص للنجدة، براءة لذمم غير برئية، فيصبون المالَ صَّباً وتَعَب لصوص بيروت من هذا المال عبّاً وقليلهُ للناس، وليس لأهل العراق شيءً من هذا القليل، مع أنه التحق بلبنان واستبدل جغرافيته الوطنية، وتبرأ من هويتها فتصبح الفلوجة سنيّة، وبابل شيعّية. لكن سنة النفط العربي لم يسمعوا أنين الفلوجة، ولا يسمع أنين بابل شيعة النفط الإيراني.

عدت للعراق بعد 23 عاماً. وطريق الشام إلى بغداد يمر بالرمادي عاصمة الأنبار، وبالفلوجة أكبر مدنها، وكنت قد عملت مدرساً في ثانوية الرمادي لأربع سنوات والفلوجة محطة ليس لمسافر أن يمر عليها دون أن يتذوق من مطاعمها الشعبية نكهة المدينة الخاصة.

ويتزود منها المغادرون إلى الشام والقادمون إلى بغداد. وكانت المفاجأة صادمة... فما قيل في إعلام المعارضة عن اهتمام صدام حسين بالمدن السنية التي اسماها البيضاء لعدم مساهمتها في الانتفاضة عام 1991. وتحويل الرمادي إلى مدينة أخرى بتغيير التخطيط الأساسي للمدينة، وتحويل الفلوجة إلى ما يشبه مدينة إسبانية على المتوسط، كان خداعاً لتضليل العراقيين... فلم يتغير في الرمادي والفلوجة سوى وجهها الخارجي، وقد أقامت عائلات موسرة معروفة، قصوراً لا علاقة لها بالطابع العام للمدينة كما غادرناها عام 1963.

لم يقم صدام حسين مدناً حديثة للفقراء، ولم ينقل مخطط الرمادي والفلوجة من عشوائية البناء إلى مدينة عصرية فيها ملاعب، وأسواق، ومسطحات خضراء، ومدارس مكيفة. كما افترض أعلام المعارضة السابقة.

وقد كشفت صور التقطتها كاميرات الطائرات الأمريكية القاصفة، عن بيوت طينية تتعالى بعد قصفها غبرة حمراء، ولا أثر لزجاج متطاير على الأرض..

فالبيوت لم تعرف بعد هندسة الواجهات الزجاجية.

شيء وحيد كان جديداً عليَّ وقد انعكس على اقتصاديات الرمادي والفلوجة، وهي مدن تعتمد على اقتصاد الطريق، فشبكة الطرق السريعة التي كانت انجازاً ممتازاً لصدام حسين، قد عطلت الطريق القديم، فتعطلت مصالح اقتصادية استمرت منذ العهد العثماني.

ليت مدن الخراب الشيعي تنعم بمكارم النفط الإيراني الذي يصب في الضاحية الجنوبية وبلدات الجنوب اللبناني!.

وليت خرائب الفقر السني في العراق تتساوى مع شقيقاتها في لبنان عند مالكي النفط الخليجي والعراق تقتله الطائفية مرتين!.

الحل الأخير.. إحراق الدستور ومحاكمة واضعيه

إذا كان القانون حارس المجتمع ومنظم فروع الحياة، فإن الدستور هو حارس القوانين، وشيخ مشايخ القوانين، والخيمة التي إذا اختلفت القوانين وتصارعت مع بعضها جاءت إليها كما يأتي الشيخ لفض نزاعات الزرع والضرع!.

والدستور عنوان وحدوي وعامل تجميع الناس، ومانح الثقة والطمأنينة وموزع المسؤولية بالقسطاس.

إنه الوالد العادل، ورب العائلة الحريص على سلامة أبنائه وانتظام حياتهم في دار الأسرة! والبلاد دار الدستور. والشعب أسرته.

فكيف حال الدستور الدائم الذي ولد على عجل، ولفُلف في قماطه، وكأنه بيان سياسي! فصار أبو القوانين أبا المشاكل ومثير الأزمات، ومشعل الفتن، والمتفرج على صراع الأبناء، والمنحاز للمنشق عن دار الأسرة ومحيطها. والمفرق بين الأبناء والمتعاطف مع المتمرد والمنشق، المنتصر للعصاة على البناة... فاتق الفتوق!.

هذا الدستور وبعد أربع سنوات، هو غول البلاء والشقاء. ولعله الأكثر عداء لوحدة البلد، والعائق الأكبر لتقدمه ففي بلد غير متجانس، ودولة بلا دستور دائم منذ نصف قرن، يُسلق الدستور الدائم وكأن لجنة وضعه، كانت من تجار دفن الموتى، وقد دفنوا العراق حياً تحت مواده الأساسية!.

هذا الدستور ولد ملفوفاً بالكفن، كما يولد اللقيط، ولا عجب فهو جنين ساقط من رحم السقوط.. وبغداد تئن.. والناس في غيبوبة الصدمة.. فرحاً بسقوط النظام.. أم حزناً عليه. وهذا يفسر بعض أسباب إنجازه بسرعة. إذ المطلوب تمريره والناس في غيابة الوعي، قبل أن يستفيقوا ويعودوا إلى رشدهم فيتأثم الفرحان، ويأنس الحزنان.

لقد طُبخ الدستور الدائم بلا نكهة عراقية، واخرج من الماء الآسن مسلوقاً، قبل أن يستعيد العراقيون وعيهم الجماعي بعد الاحتلال والسقوط.

وهكذا الحال في حكومات السقوط.. فتسقط الشهامة والنخوة، ونخلة

الدار.. وباص المصلحة، وتنهض الكوليرا ويستعيد الطاعون أمجاده البغدادية.

في هذه الظروف ماذا سيكون شكل الدستور، واتجاهاته والغالب مغلوب، والمهمش حاكم، والحاكم متورط؟ والأرض محتلة والدولة ملغية؟.

لقد وضع المكلفون بإعداده، مجموعة أهداف أخطرها الاتفاق على إنهاك المركز وسحب أعصابه وتقطيع شرايينه الممتدة إلى المدن وعزله منزوع الإرادة!. كان هدف الدستور الحجز على بغداد وهي الأخ الأكبر والعصب المركزي لشقيقاتها الصاعدات إلى غربها وشمالها. والنازلات إلى جنوبها، ومنح الشقيقة الصغرى حق التمرد عليها. والعصيان، واعتبار قرار الصغرى أعلى مقاماً من مقامها!.

ولم يصدر في خمسين دولة فدرالية دستور يعطي للولاية أو المحافظة.. أو الإقليم حق العصيان على حكومة المركز، وجعل الجزء يبطل الكل، فيعطل قرار الإقليم، قرارَ الوطن الأم..

الدستور الجديد، تجربة جديدة في التآمر الدولي والمحلي على سلامة الوطن. إذ يصبح الانقسام فعلاً دستورياً، والاستئثار بالثروة العامة نصاً دستورياً، وتغليب الإقليم على الوطن، من احترام الدستور. ومن احترامه والعمل بنصوصه أن تعقد المحافظة معاهدة مع دولة خارجية، وتبرم الاتفاقيات، وتوقع البروتوكولات الثقافية، والاقتصادية، فإذا اعترضت الحكومة المركزية على شيء من ذلك، فالاحتكام إلى الدستور، والدستور يقف إلى جانب المحافظة ضد المركز!.وبفعل الدستور واحترام نصوصه، يؤكل العراق مثلما الجبنة في أفواه القرود!.

صار الفعل الجنائي.. الخياني بمنطوق قانون محاكمة المتآمرين على سلامة الوطن لعام 1958، فعلاً قانونياً مصادقاً عليه بالدستور... ومن سيرسل إلى المحكمة كاتب سياسي يمثل دور المدعي العام في محاكمة المتآمرين على سلامة الوطن.

إذا لم تكن هذه الفعلة الشنعاء من فعلة الجواسيس، فمن يكون الجاسوس؟

ـ وما الصهيونية في أي دور وتعريف، سوى هذه التي رسمت خطوط دستور يفكك الدولة، ويغري المدن بالانقضاض على المركز، ويعطي لها حق العمل السياسي والحكومة المركزية مرغمة.. وأية حكومة ورئيس حكومة مركزية هذا المهان المرغم، سوى أنه عضو في شبكة تفكيك العراق برغبة جوار عربي وإقليمي.. ودولي!

فمن هم صانعوا الدستور؟ من هم آباءه، والموقعون عليه!؟.

هل يمكن أن يوقع عبد الرزاق السنهوري، وبونهام كارتر وحسين جميل، وحسن الجلبي، على دستور يلغي الوطن لصالح الإقليم، ويعطي ثروة الأمة كلها، للمنطقة التي يُكتشف فيها المنجم أو الحقل النفطي، من يفعل ذلك سوى ساقط الهمة، وعديم الذمة؟

ـ هل في المُوقع على هذا الدستور بقية من انتماء إلى أرض وعلاقة نسب بشعب؟!

هل كان بونهام كارتر.. الإنكليزي ـ البريطاني، المكلف من حكومة احتلال أيضا سيوافق على دستور يفرق المدن ويشتت الثروة ويحرم الناس مما رزقهم الله. ويحصر حق الانتفاع من الحقل النفطي والمنجم الذهبي... بالمواقع الصغرى!

هل لهؤلاء الموقعين علاقة بقوانين الإرث في الأديان ومنها الإسلام وحق الوارثين الشرعيين!.

كيف جعلوا مدن العراق، لقيطة، والعراقيين صنفين والأبناء صنفين، صنفاً يرث أباه وصنفاً يُحرم من الإرث سوى أن واضعي الدستور هم ليسوا من هذا البلد، فلا شأن لهم في وحدة الأسرة أم في تمزيقها.

إن حل الأزمات الكبرى عادة يرتبط بالذهاب إلى الدستور، أما الدستور اللقيط، فحل الأزمات في حله.. وإطفاء الفتن في حرقه وإتلافه، وإحالة

الموقعين عليه إلى محكمة وطنية باعتبارهم متآمرين على سلامة الوطن، وفق قانون محكمة الشعب الصادر في عام 1958.

يلاحظ أن المتآمرين على سلامة البلد، يكررون التصريح بالعودة إلى الدستور والاحتكام إليه لفض نزاعات العقود النفطية، ومشكلات كركوك وخانقين، وهم يعلمون، أن الدستور هو المسؤول عن هذه النزاعات، التي ستستمر وتظهر في أية بقعة جغرافية، تظهر عليها بقعة نفط، وقد يفاجأ هؤلاء الذين صمموا الدستور لحرمان المدن العراقية التي لم يستكشف فيها النفط بعد، بأخبار الاكتشافات القادمة وستكون المدن المطلة على الصحراء في الأنبار والسماوة والديوانية، مثل الإمارات العربية وقطر والكويت!.

أما الحديث عن تعديل الدستور، وتعديل الوزارة، والإتيان بخباز أم بعبقري، بالشيخ ضاري أم بالشيخ أبو الجون، وبكاتب السطور رئيساً للوزراء. أم بعلي الوردي، بمظفر النواب أم بسعدي يوسف.. فلا شيء سيتغير.. ولا جدوى لحزب معارض وكاتب معارض وشاعر معارض، وتلفزيون معارض.. فهذه معارضة على الهواء.. وبالهواء.. إذا لم نمزق الدستور في مهرجان شعبي ونضع واضعيه في قفص المحكمة الدستورية العليا، عندها سيسأل المتآمرون بالدستور على سلامة الوطن باعتبار الدستور الحالي طابوراً سادساً وطاعوناً جغرافياً... وشيزوفرينيا فدرالية.

ويسجل على أكثر من نظام سياسي مرّ على العراق، أنه أعطى أهمية خاصة لبناء سلطة قوية، دون أن يولي الدولة العراقية ذات الاهتمام. وبرزت ظاهرة سياسية غريبة... ففي العراق قد تكون السلطة قوية والدولة ضعيفة، خلافاً لقوانين عامة. إذ لا سلطة قوية في دولة ضعيفة!.

إن توهين الدولة، وتمتين السلطة أصبح أقرب إلى نظرية عمل النظام السياسي لصدام حسين في سنواته الأخيرة، ونجم عن ذلك، ظهور جيشين: واحد للدولة مهمل، وآخر للسلطة مدلل، وجهازان للشرطة: واحد محترف بعيش داخل المخافر الفقيرة، وآخر مترف بالصلاحيات والإكراميات!.

وكان الجنرال المدني يتحكم بالجنرال العسكري.. ويحكم عليه بالحياة أم بالموت.

أما في العراق الأمريكي.. فنظرية العمل أن وجود الاحتلال وحده قد أنهى الدولة ودفعها للانهيار، وأزال معالمها ومؤسساتها، فلم يكتفِ بإضعافها وتوهينها!.

وفي التعامل مع السلطة التي كانت قوية وشاخصة، فقد صيّرها رسماً كاريكاتيرياً، وحجز عليها مثلما حجزها المعارضون، في المستوطنة الخضراء، يتحكم بحركة رجالها ونسائها، جنود من شرق آسيا يعملون في شركات الأمن الخاصة.

لقد تعاون الدستور والكتل السياسية والاحتلال، وظروف المعارضة المسلحة على تشكيل صورة لدولة وهمية، وسلطة موهومة تعمل بلا أرض، وتمشي على الهواء. سلطة تنسب إلى العراق، ونظرية عملها ودستورها يسعيان لإلغاء هذا البلد.

إن الدستور الحالي يمنع قيام دولة عراقية بأية مواصفات مركزية أم فدرالية، ولعله يمنع قيام دولة ديمقراطية، لأنه مُشرع ضد فكرة الدولة ووظيفتها السياسية والاجتماعية.

فهل يدلنا أحد المشاركين في إعداده على نموذج أُستلهم منه؟

وهل استغرق دستور دائم غيره وقتاً أقصر من مدة إعداده؟

أما السرعة التي أنجز فيها، فهي كلمة السر.. إذ خشي فريق وفريق مساند أن يستريح العراقيون ويستعيدون وعياً اغتالته مفخخات المسلحين، وأحذية الجنود الأمريكان، وقرارات الإدارة العسكرية، فيتفقوا على دستور عراقي يعزز وحدتهم الوطنية، ونسيجها الاجتماعي، ويفتح بعد ذلك آفاق الحرية وأبوابها الموصدة.

كان الإسراع في إصدار الدستور مقصوداً لاستثمار ظروف شاذة، تنتج في

أحسن النوايا، دستوراً شاذاً.

وفي المقارنة بين دستور يضعه رجال يحملون نوايا لقيمومة دولة عراقية، لها صوت. وعنوان، واسم وممثلون ومؤسسات، وعقل يدير الأطراف ويعالج الانشقاق، وجيش محترم، فيستغرق إعداد الدستور ما بين إعلان تأسيس الدولة في 23 آب 1921، وعام 1925 الذي ظهر فيه الدستور العراقي الدائم لأول مرة. وسيكون مؤذياً للحس الوطني وجارحاً لمشاعر الناس، أن يطبخ الدستور الدائم الحالي بعد انتظار أربعين عاماً، في قدور غير راسيات، وبنكهة غير عراقية، فيأتي ليكون هو الأزمة والمشكلة، والفتنة والحرب الأهلية على مستوى الهواء التلفزيوني أم على أرض كركوك وخانقين، والبصرة والعمارة.. بعد أن حُشرت بغداد تحت أنقاض السلطة ومعارضتها المفخخة.!.

● المعاهدة الأمنية: العودة إلى حلف بغداد!.

بعد خمسين سنة مدججة بالصراع والحرية والاستقلال.. وبعد يوم الشهيد وأسطورة الأحلاف، تعود غاشية الخنوع أمامي!.

فحسبها الجواهري، عشية وطأت قدماه على تراب الشام – هنا بدمشق – أن الأحلاف خرجت من عالم الواقع إلى تهويم الأساطير، مثلها.. مثل العنقاء.. والسعلاة!.

وبعد نصف قرن كامل على صدور قرار الانسحاب العراقي من حلف بغداد بتوقيع الزعيم عبد الكريم قاسم عام **1958**، يعود حلف بغداد إلى المنطقة محمولا على عمائم شيعة السلطة وسراويل الأكراد وبصمت الشريك السني وبدور أساسي لحزب الدعوة – فرع المالكي –

وحلف بغداد الجديد لا يقارن مع حلفها القديم سوى أن العراق في الحالتين سَيُسلُ من أمنه العربي ومحيطه الجغرافي، ليكون مجنداً في مشروع

الأمن البريطاني سابقا والأمن القومي الأميركي حالياً.

في الحلف الأول تعاملت بريطانيا مع العراق بمفهوم الدولة الضامنة، الحريصة على وحدة شعبه وترابه، وحدوده الجغرافية، وعنوانه الاعتباري.

وفي الحلف الثاني تتصرف الإدارة الأمريكية بمفهوم آخر، أقرب إلى شرعنة الوصاية الدائمة على مجموعة ولايات وهيئات يرمز إليها بمصطلح العراق، وهذه الإدارة لا يبدو أنها تمتلك حرص الإنكليز القديم على سلامة الثغور العراقية من تسلل الجوار إليها وإقامة نفوذ رغم أن دول الجوار في حلف بغداد الأول كانت تتشارك جميعها في المعاهدة المركزية، غير أن حدود العراق لم تخترق مرة، لا من بوابتها الشرقية، ولا من جبالها الشمالية. فيما تتفرج الإدارة الأمريكية على أي نفوذ لأية دولة داخل العراق، حليفة لسياستها، أم خصما أيديولوجياً!.

ومن أعظم ما سينجم عن المعاهدة الأمنية في حلف بغداد الثاني أن العراق يتحول إلى قاعدة عسكرية وميدان صراع عالمي، وإقليمي، لاسيما أن مرحلة بناء القاعدة اللوجستية قد انتهت منذ شهور بإقامة مطار أمريكي جنوب سامراء وعلى امتداد شرق بغداد، وآخر جنوب بغداد، من اللطيفية حتى جوار الفرات الأوسط.

والمعروف أن بنود المعاهدات العسكرية قد تقضي بعد التوقيع عليها بالسماح لإقامة قاعدة عسكرية أو أكثر كما حدث في معاهدات بريطانيا مع العراق، فإن الإدارة الأمريكية، قد أنجزت بناء القواعد العسكرية لها، قبل توقيع المعاهدة الأمنية بسنوات!.

وستظهر قريبا بعض ملامح المعاهدة الأمنية التي تحول العراق إلى قاعدة أمريكية، تستعيض بها عن قاعدة (أنجرلك) في تركيا، والمحكومة بموافقات

دورية لمجلس النواب، ونفقات مالية باهظة. فيما القواعد الأمريكية في العراق ومعاهدة حلف بغداد الثانية، سوف لا تترتب على العمل بها التزامات ونفقات كالتي تخضع لها القواعد الأمريكية في العالم.

إن العراق في حلف بغداد الجديد معسكر مجاني يقدم لدولة أجنبية يتمتع بها كل جندي فيها بحصانة دبلوماسية. وبهذا ينفرد الملف الجديد بمبدأ جديد لم تتوصل إليه غاشيات الخنوع الأولى.

وما ينبغي التأكيد عليه – أن المعاهدة الأمريكية تأتي في سياقها الطبيعي الذي يبدأ من إلغاء الدولة العراقية، ونهب ميراثها العريق واستباحة متحفها الوطني ومصرفها المركزي، ومؤسساتها الأمنية وإعلان دستور الانشقاق نزولا إلى هابطة الشعوب.

أما البند الأهم على الصعيد الاستراتيجي في الصراع العربي – الإسرائيلي. فالمعاهدة الأمنية وضعت دور العراق خلف جدار عازل، لحماية الأمن الإسرائيلي، سواء بقوة القواعد الأمريكية أم بإقصاء العراق عن محيطه التاريخي والجغرافي.

وستكون هذه المعاهدة عاملاً إضافياً لتقليص الدور العراقي القائم منذ العصور السومرية والعباسية.

والكتاب تحت الطبع، أعلن جواد المالكي بحماسة خادعة، عن وجوب تعديل الدستور لتوسيع صلاحيات الحكومة المركزية، أمام ما تتمتع به الأقاليم من صلاحيات على حساب المركز.

يذكر أن المومأ إليه وفرعه الحزبي، كان من أشد المتحمسين لوضع دستور الانشقاق الوطني، يوم لم يكن يتخيل أنه سيصبح رئيساً للحكومة المركزية، فعاد مطالباً بتوسيع صلاحياته كمسؤول وليس من موقع الحرص على وحدة العراق

الوطنية، في مناورة لخداع الرأي العام العربي بأن التحالف الكردستاني هو المسؤول عن هذا الدستور الانشقاقي.

ويليه الجزء الثاني بعنوان:

السلطة السالبة

توثيق لاتجاهات الانهيار في العراق الأمريكي

صدر للعلوي:

1 ـ عزيز علي: اللحن الساخر ـ بغداد، 1967.

2 ـ دماء على نهر الكرخا ـ بغداد، 1980.

3 ـ عبد الكريم قاسم: رؤية بعد العشرين ـ لندن 1983 / 12 طبعة.

4 ـ التأثيرات التركية في المشروع القومي ـ لندن 1986.

5 ـ الجواهري ديوان العصر ـ وزارة الثقافة السورية 1986.

6 ـ فرائد السلطان ـ دمشق 1985.

7 ـ الشيعة والدولة القومية ـ لندن ـ باريس ـ بغداد 1990/ 9 طبعات.

8 ـ دولة المنظمة السرية ـ لندن ـ القاهرة 1991 ـ 9 طبعات.

9 ـ دولة الاستعارة القومية ـ لندن 1990.

10ـ أسوار الطين في أيديلولوجيا الضم وعقدة الكويت ـ الرياض ـ بيروت 1995 / 3 طبعات.

11ـ بقية الصوت: حوار صحفي ـ بيروت 2000.

12ـ العراق الأمريكي: حوار صحفي ـ لعمار البغدادي ـ دمشق 2005.

13ـ عمر والتشيع ـ لندن ـ الرياض ـ دمشق 2007 / 3 طبعات.

14ـ عبد العزيز التويجري الروح الجامعة ـ دمشق 2008.

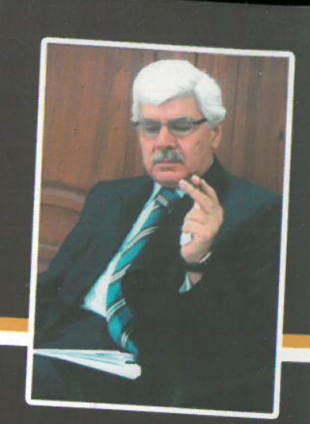
15ـ شيعة السلطة وشيعة العراق ـ دمشق 2009.

كتب مخطوطة:

- السلطة السالبة: توثيق لاتجاهات الانهيار في العراق الأمريكي
- الجواهري نبتة البلوى
- يوميات محمد ابن الليث
- الاستيطان تحت أعمدة الصحافة

الفهرس

Hassan Al-Alawi



SHIA OF POWER AND SHIA OF IRAQ

الكتاب مشروع لفصل شيعة السلطة عن شيعة العراق، وتبني كاتب وسياسي شيعي فكرة أن ينهض شيعة العراق لتصحيح أوضاعهم مثلما حدث لسنة العراق الذين أنهوا عصر العراق البريطاني، وإشاعة مفهوم شعبي لدى عامة الشيعة بضرورة العمل على نيل حريتهم، ورفاههم، وتمتعهم بخيرات بلد نفطي، وشمولهم بتوزيع ديمقراطي عادل لتمثيل عادل في إدارة الدولة، وإخراجها من حيازة ضيقة وفاسدة.

إن شيعة السلطة أجناس وسلالات سحيقة... وشيعة العراق جنس واحد، وباسمه الساحق كتبنا العشرة السائرة، ومن أجل بقائه تبقى الأقلام.. ويبقى الكتاب.. فإذا بلينا فلا تبلى السطور الطوالع.

أما الدستور فقد ولد ملفوفاً بالكفن، كما يولد اللقيط، ولا عجب فهو جنين ساقط من رحم السقوط.. وبغداد تئن.. والناس في غيبوبة الصدمة.. فرحاً بذهاب النظام.. أم حزناً عليه.

وهكذا الحال في حكومات السقوط.. فتسقط الشهامة والنخوة، ونخلة الدار.. ودستور البلاد.

